الدوحة

صفر ١٣٩٧ هـ - فبراير ١٩٧٧ م
مجلة شهرية ثقافية جامعة

معنى التقدم الحضاري

د. يحيى الجمل

مؤتمر لم تلتفت إليه الصحافة

رجاء النقاش

عروبة هذا المغرب





الشهر الذي مضى

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

العرب وسماسرة الإعلان

تسيء الينا الصحف وتكسب من ورائنا

مغامروا العالم الثالث يتحولون الى حيث تمارس اللعبة المربحة

صحفية يهودية مغمورة لم تكتب كتابا في حياتها تسعى الثورة على تبديل مفاهيم الغرب عنا ونصدقها

من كثرة ما اوغلنا ، كتابا وصحفيين ومذيعين وخطباء واعلاميين ، مذعورين خائفين أو راغبين متطلعين ، في المبالغة والتهويل واستعمال اللغة في غير موضعها بلا حساسية ولا مسئولية ولا احترام ، نمدح بها من لا يرقى حتى الى مستوى الذم ، ونتاجر بالفاظها بابخس الاثمان ، اصبحت لغتنا كعملات بعض اشباه الدول لا تسوى الورقة التي تطبع عليها •

ولاننا لم نعد نصدق أنفسنا ولم يعد يصدقنا احد تورطنا أكثر واكثر في المبالغة والتهويل ، لا تكتفي بكلمة مفردة حتى نأتي لها بتشبيه يدعمها ويقويها ثم نلحقها بمترادفات التشبيه لمزيد من الدعم للغة ما عادت مفرداتها تعني شيئا بغير دعم مكثف •

لم يكن غريبا اذن ان ينصرف الذين يريدون الدعاية لانفسهم ، والذين يريدون ان يعرف الناس بلادهم ويصدقون الذي يقال عن تطورها وقفزتها ، والذين يريدون أن يتعرف الناس على جهودهم في بناء امتهم بأسلوب مقنع وفي اطار يصدقه الناس ، بعد ان شبعوا واتخموا من كل قول أجوف فخيم يسمعونه حولهم في كل حين بمناسبة وبغير مناسبة ، الى الآخرين ، اولئك الذين يتحدثون بلغة غير لغتنا ويكتبون في صحف غير صحفنا وفي بلاد غير بلادنا • اولئك الذين ما زالت عملة بلادهم اللفظية متماسكة غير هابطة ، وما زال الذي تنشره صحفهم السحرية حتى وان كان دعاية ماجورة ومعلنة بالبنط العريض على كل الصفحات ، له رنينه وله قيمته وله سحره يدفعون فيه أضعاف الذي يدفعونه لمن ابتذل القول ، وابتذل النفس وابتذل اللغة وما عاد في الذي يقول نفع •

مكاتب العلاقات العامة

وادرك بعض اذكياء الغرب بحاستهم التجارية الحادة هذا الكنز الذي لا ينفد معينه فانكب عليه بكل قواهم وثقلهم زبانية عتاة اشداء يعبون منه عبا ، وانتشرت كالوباء في اوربا بالمئات مؤسسات الدعاية الوسيطة يسمونها تعمية مؤسسات العلاقات العامة ، تعمل وتكسب بلا رأسمال ، تبيع مساحات الصحف لتملؤها في أغلب الاحايين أحاديث مكررة ممجوجة وتصمم المواد الاعلامية الثابتة (الثابتة لكثرة ما تكررت ونقلت من صحيفة الى أخرى ومن فترة لاخرى) ، وتعد الصور والرسومات المعدة اصلا بواسطة مؤسسات متخصصة لهذا الغرض، وتغطي الزيارات والرحلات المغطاة أصلا بالوفود أو المكاتب الاعلامية • وتربح من كل ذلك كثيرا ، تبيع الترام لا مرة واحدة وانما عشرات المرات، وتدعي انها تعرف الناس بدول لا تحتاج الى تعريف وتصنع دعاية لامم لا تحتاج الى دعاية • وتضع فوق اعيننا غشاوة لا نرى معها ما تفعل هذه الصحف بنا وهي تكتنز اموالنا ، والتي بلغ من استهتار بعضها بنا انها كانت تنشر أحاديث نهضتنا باعتبارها اعلانا مدفوعا معلنة ذلك بالبنط العريض في كل صفحة تنفيرا للقارىء ولا تكتفي بذلك وانما تذهب كما فعلت صحيفة التايمز ذات يوم الى حد تسخيف اعلان مدفوع ثمنه عن القضية العربية باقلام كتاب غربيين شرفاء ومعارضته في افتتاحيتها ، والناس يقرأون الافتتاحية ويصدقون الافتتاحية ولكنهم لا يقرأون الاعلان ولا يصدقون الاعلان • وهكذا ظلت هذه الصحف بفضل وسطاء الدعاية والعلاقات العامة في بحبوحة من العيش ، تسيء الينا بالقدر الذي يرضي اولئك الذين يهمها ارضاءهم دون ان تخسر شيئا •

شيء من الذكاء

وهكذا أصبحت « العلاقات العامة » من أربح المعاملات التجارية في عالم النشر والصحافة في الغرب لا تحتاج الى اكثر من اتصالات واسعة مع شيء من الذكاء ، وتوسعت المكاتب ونشط التجنيد وازدادت الحركة ،

ماذا يضير صحافة الغرب من نشر مايسىء الينا

نسج الحكايات العنصرية في اطار تجربة واقعية

شابات فى مقتبل العمر يجبن بلاد العالم الثالث الحنون العطوف الذى يستحى ان يرفض طلبا لفتاة ٠

وتطورت « العلاقات العامة » الى علم خاص يمارسه اناس ليسوا متخصصين فى امور الصحافة والنشر وأساليب الدعاية فقط ، وانما علماء نفسيون يعرفون ويدرسون نفسيات وطبائع الذين يتعاملون معهم ، أحلامهم ، طموحاتهم ، نقاط ضعفهم ويعرفون الذين يريدون والذى لا يريدون ويهتمون بوسائل اقناع هؤلاء اكثر مما هم مهتمون باقناع الذين يفترض توجيه الاعلان لهم ويهتمون بالمشروعات التى تجد قبولا ـ لاسباب يعرفونها جيدا ـ أكثر مما يهتمون بالمشروعات ذات النفع ٠

اذا لم تغلبهم

وعندما حاول نفر من مواطني دول العالم النامي من الطموحين المغامرين ركوب هذه الموجة العارمة فى بلادهم وبجوارهم وارادوا ممارسة هذه اللعبة الرابحة ، ادركوا أنهم ازاء سهل ممتنع ، كما ادركوا انهم ازاء فن لا يمارس باللغة التى يتحدثون ، ولا ينطلق من حيث يقيمون ٠ ولهذا لم يكن غريبا ان يتحولوا هم أيضا الى حيث تمارس اللعبة ، مستقلين بانفسهم ان آنسوا فى انفسهم قدرة ، أو مشاركين أو مساهمين مع الآخرين ان كانوا أكثر تواضعا وأقل طموحا ـ وعقلاء الانجليز يقولون ان لم تستطع ان تغلبهم فانضم اليهم ٠

الصحفية المعجزة

وتحت ستار « العلاقات العامة » هذه جاءت الى بلادنا قبل فترة وجيزة فتاة صغيرة صحفية مغمورة ناشئة لم يسمع بها أحد يهودية الديانة عنصرية التفكير تدعى « لندا بلاندفورد » أرادت كما تقول ان تدافع عن وجهة نظرنا وان تغير الصورة المشوهة التى انطبعت فى اذهان الغرب عن العرب ، نعم تريد ان ترسم صورتنا الحقيقية الواقعية على اثر أيام قليلة تقضيها بين هذا الفندق وذاك ٠

ولاننا شغوفون بان يحبنا الناس فى العالم الخارجى وفي الغرب خاصة ، ونريدهم ان يغيروا رايهم غير الحسن فينا ، ولان ثقتنا عظيمة فى هؤلاء الذين يكتبون بغير اللغة التى هبطت قيمتها فى نظرنا ، ولاننا نحترم كثيرا ما تكتبه صحافة الآخرين عنا ، فقد صدقنا وآمنا ان هذه الفتاة المعجزة التى لم يسمع بها أحد ولم تكتب كتابا فى حياتها من قبل ، قادرة فى بضعة أيام وليال على ان تسبر غورنا وتكشفنا للآخرين ، وتبدل مفاهيم الغرب عنا بما لم تستطعه أقلام آلاف الدكاترة الجامعيين والصحفيين المتمرسين والكتاب والاعلاميين المنتشرين وسط المائة مليون عربى أو يزيدون ٠

نعم ، صدقنا وآمنا وفتحنا لها أبوابنا ولم نكتف بادخالها بلادنا وانما فتحنا لها بيوتنا ويسرنا لها لقاءات اناس لا يتيسر لقاؤهم بسهولة ، لم تسأل ولم تستقص اى من مكاتب اعلامنا فى الخارج ـ والتى يصرف عليها لمثل هذا الغرض ـ عن هويتها أو شخصيتها او الذين يقفون من ورائها ٠ وبكرمنا الحاتمى الذى تحدثت عنه كتب التراث أعطيناها كل شىء ومنحناها ما لا مزيد لمانح عليه ، تقول فى تبجح :

« ولمدى أسابيع اقمت فى افخم الفنادق مجانا وخصصت لى سيارات خاصة وتدفقت على الضيافة بصورة لم اشهدها فى اى مكان آخر فى العالم ٠ ولقد تكلفت الدول التي زرتها مبالغ كبيرة لضيافتى ، كما منحتني شركة طيران الخليج تذاكر مجانية » ٠

سائق سيارة خاصة عالم الاسرار والخبايا

هذه الصحفية ليست الا دمية صغيرة في لعبة كبيرة

طريق الشهرة

وكانت النتيجة كتابا عنصريا بغيضا محقرا للعرب نشرته مؤسسة نشر « ويدنفيلد ونكلسون » فى نفس الفترة التى نشرت فيها ترهات موشى ديان • وسارعت صحيفة « الصنداى تايمز » (المحترمة جدا) الى نشر سلسلة مقالات من كتاب هذه الصحفية التى ظلت تعمل فى الصفوف الخلفية لهذه الصحيفة نفسها دون ان تابه لها ثم تكشفت لها عبقريتها فجاة • وفى الاساءة الينا كما يبدو اكثر من طريق الى الشهرة والمجد فى صحافة الغرب•

خيال عنصرى

ولم تكن هذه الصحفية تحتاج الى اكثر من هذه الزيارة العابرة والتعرف الى بعض الشخصيات المعروفة ليكون لكتابها قيمة ـ كانت الزيارة بمثابة الذخيرة الحية التى جعلت لسلاحها فعالية • فالاطار العام للكتاب موضوع سلفا ومرسوم ومخطط حتى قبل ان تطا الكاتبة أرضنا ومادته فى حملتها لا تتعدى مجموعة السفاسف والسخف



الذى ظلت تطالعنا به صحف الغرب وكتابها ورساموا الكاريكاتير فيها والذى ظلت تغذيه وتنميه أجهزة الدعاية الصهيونية وافعال قلة مارقة منا ، حين يخلو لها الجو او هكذا تظن فى شوارع العالم الفسيح وفنادقه وملاهيه•

مجموعة قصص من نسج خيال عنصرى مريض تغذى به هيئات اعلامية متخصصة (هى ايضا مؤسسات علاقات عامة فى الجانب الآخر) صحف الاثارة والصحف المأجورة وتنشره هذه بأجر وبغير اجر لاضحاك قرائها وتسليتهم او لاثارة سخطهم ، غير عابئة برضانا وسخطنا وماذا يضيرها من سخطنا وغضبنا مادمنا نواصل شراء المساحات الاعلانية ونشر المواد الاعلامية التى نشرناها قليلا بايعاز وتزكية من مؤسسات العلاقات العامة التى لا تشغلها سياسات هذه الصحف بقدر ما يهمها ما تحصل عليه من كسب ، ومادامت العملية كلها تجارية وليست سياسية ، وفى النهاية ماذا تنفع المواد الاعلامية والمساحات الاعلانية وسط هذا الفيض الذى لا ينقطع من الحكايات والقصص•

النسج المحكم

نعم كانت هنالك حاجة ماسة الى ربط هذه الحكايات والقصص المتفرقة فى نسج واحد محكم يربطها جميعا ويجعلها تبدو كما لو كانت نتاج تجربة واقعية ، ومشاهدة صحفية (ذاتية طيبة) لم تفعل أكثر من رصد الواقع واظهار العرب بمظهرهم الحقيقي • وهكذا تصبح كل الحكايات الخيالية التى ظلت تشيعها أجهزة الاعلام الصهيونية عن اهتماماتنا الجنسية الزائدة عن الحد ، ومعاناة المرأة المحجبة الاسيرة وممارساتنا غير المتحضرة فى حياتنا الرسمية والخاصة جزءا من تجارب شخصية مرت بهذه الصحفية شخصيا اما بطريق مباشر او بمراقبتها كشاهدة عيان • كما لو أن المقادير شاءت لكل عيوبنا ان تبرز ابان زيارة هذه الصحفية سعيدة الحظ التى تكتب كما تقول المقدمة اول كتاب فى حياتها •

مالك الاسرار

ولما كانت هنالك قصص وحكايات عديدة حول العرب لا تدخل فى نطاق هذه الجولة الصحفية اذ يفترض انها قد حدثت فى لندن وريف أنجلترا ونيويورك • ولما كانت أجهزة الدعاية الصهيونية لاتريد لهذه القصص ان تفلت، فقد ضمتها كمقدمة لابد منها للكتاب • وكلها من نوع تلك القصص المكررة التى مجها الناس عن بيع العقارات فى المدن والارياف وما يحيط ذلك من حكايات الف ليلة وليلة ، والاجارات الخيالية ، وما يحس به المواطنون المتحضرون ازاء جيرانهم الجدد وممارساتهم العجيبة الغريبة ، وما ينتاب القرويين من ذهول ازاء هذا الغزو

غير المتحضر ، وسيارات الليموزين المستاجرة والمهداة وزوار هاروس وماركس آند اسبنسر الذين يبعثرون الآلاف في طآئق معدودة ، والنساء اللاتي يحملن حقائب مليئة بأوراق البنكنوت وزبائن هارلى استريت وفندق ولنقتون (استغفر الله مستشفى ولنقتون) الذى يبلغ دخله اثنين مليون جنيه في العام كما تقول الكاتبة وغير ذلك من قصص الخيال الاعلامى الصهيونى ....

وحتى بالنسبة لهذه المجموعة من القصص لم تشا ان تخرجها من دائرة تجربتها الشخصية ومشاهداتها الخاصة فابتدعت شخصية وهمية ادعت معرفتها بلندن واختارت لها دور سائق سيارة اجرة باعتباره اكثر الماما بالاسرار ، اسرار الزيارات الغامضة والتحركات المشبوهة وزيارات المستشفيات والحوانيت وما يشترى وقيمة ما يشترى . وهذه الشخصية الوهمية المفتعلة تكسب من زبائنها كما تقول هذه الصحفية راوية حكايات الاعلام الصهيونى خمسمائة جنيه فى الاسبوع عدا ما يحصل عليه من « بغشيش » وصل فى وقت ما الى ثلاثة آلاف جنيه استرلينى اشترى بها سيارة ديملر مستعملة هى التى يكسب منها « الخمسمائة جنيه اسبوعيا » . هذا الشخص الوهمى ، على لسانه وبواسطته تقايأت هذه الصحفية كل ما تجمع لديها من قصص اوحاها خيال غبى مريض لو حكاها شخص لى لنصحت بادخاله فى مستشفى المجاذيب .

لكن ربما كان الاعلام الصهيونى القدر منا على معرفة عقلية من يخاطب . ولقد كان مجىء هذه الصحفية الى بلادنا حتى وان بقيت حبيسة حجرتها فى احدى الفنادق هو النسج المطلوب لربط هذه القصص الخرافية حتى تبدو واقعا مقنعا لعقول مستعدة بطبعها وبما غرس فيها طوال اعوام طويلة لتصديق كل ما يقال .

وما كنا لنحفل بصحفية مغمورة تفسح لها كل هذا المجال من وقتنا ووقت القراء وليست الا دمية صغيرة فى لعبة كبيرة ، وما كنا لنحفل بهذا الذى ساقته وليس فيه من جديد لم نقراه فى صحف الغرب فى رتابة وتكرار ممل الا ما احتواه من قذف شخصى تجرأت عليه فى حق اناس من حقهم بل من واجبهم مقاضاة مؤسسة النشر البريطانية التى تجرأت على نشر هذا الغثاء حتى لا يصبح القذف فينا والاساءة الينا حقا وتجارة رابحة .

لـو أنـنـا

نعم : ما كان لنا ان نحفل بهذه الحادثة لولا انها جزء من ظاهرة تتم فى اطار وبسبب هذا التطلع الذى لا مبرر له فى الدول النامية والذى نماه وغذاه بغرض الكسب التجارى المحض سماسرة الاعلان والعلاقات العامة ، الى كسب الود وانتزاع كلمة طيبة تكتب عنا فى صحف الغرب حتى وان كانت اعلانا مدفوع الثمن او صدر من صحفية مغمورة لا علم لها ولا تجربة ولا اهمية ، تبدى الرغبة ، مجرد الرغبة ، لتغيير صورتنا فى اذهان الغرب فنفتح لها صدورنا وابواب منازلنا لا نسالها مجرد سؤال رقيق عن المؤهلات التي تملك بها تغيير صورتنا .

سماسرة الاعلان يوهموننا ان كتاب الغرب هم وحدهم الذين يملكون اذان العالم

ولان المنتفعين من سماسرة الاعلان والعلاقات العامة فى الغرب ظلوا يوهموننا بان صحفيي وكتاب الغرب هم وحدهم الذين يملكون آذان العالم بدانا نصدق بان صورتنا فى اذهان الآخرين يمكن ان تجلوها وتزينها صحفية لم يسمع بها احد ولا وزن لها فى الشرق او فى الغرب ، لا تعرف بلادنا من بلاد الواق الواق ولم تقرا سطرا واحدا عن تاريخنا البعيد او القريب ، لمجرد ان تزورنا لاسبوع او اسبوعين . وبين ظهرانينا المئات من الكتاب والصحفيين والجامعيين الذين يملكون كل الامكانات لجلاء صورتنا امام العالم وبكل اللغات الحية لو كنا فقط نمنحهم ونمنح انفسنا شيئا من الثقة ونهيىء الفرصة لهم ، والذى يكتبونه من نبع عواطفهم وواقعهم وتاريخهم وتفاعلهم وتعاطفهم ووطنيتهم يساوى قيمة كل الاعلانات التى يجلب لها الكتاب بثمن .

اقول هذا وامامى كتاب اهدانى اياه فى الشهر الذى مضى الصديق الصحفى الكبير ناصر الدين النشاشيبي اسماه (لا رمل ولا جمل) يروى قصة المملكة العربية السعودية عام ١٩٧٦ ودخولها بخطى حثيثة واثقة دنيا العلم والتكنولوجيا فى اطار الاحتفاظ الواعى المثقف بتراثها العربى والاسلامى . هو خيرة ما قرات عن المملكة وخيرة ما كتبه النشاشيبى ولقد كان هذا الكتاب الرائع بحق هو موضوع حديث هذا الشهر . لكن الحديث كان ذا شجون وفى النفس أشياء كثيرة فلنرجىء القول عنها وعن الكتاب الى لقاء العدد القادم .

د. محمد ابراهيم الشوش





العدد القادم العدد القادم العدد القادم العدد القادم



ماذا يحدث للابناء عندما يكون الاب او الام شخصية مرموقة مشهورة في ميدانها ذات نفوذ ووجود يطغى على كل شيء •

الى اى احد يمكن ان تلقي هذه الشهرة بظلالها على الابناء فتخنق اصالتهم وتغطي شخصيتهم فيستحيلون في نظر انفسهم ونظر الاخرين الى مجرد صورة باهتة لهذه الشهرة ليس لها كيان مستقل •

من هذه العقدة ظل يعاني بطل قصة الكاتب الكبير احسان عبد القدوس باحثا عن الطريق الاخر في محاولة عنيدة ومثيرة ليتخلص من اسار هذه الشخصية الطاغية ولتاكيد ذاته المستقلة المنفردة •

انها تجربة يتعرض لها الكثيرون في كل مجالات الحياة وفي كل زمان ومكان، وقد تعرض لها كاتب القصة نفسه الاستاذ احسان عبد القدوس كما يحدثنا في مقدمته لهذه القصة الفذة وبهذه النبرة الودودة ،والتى يشرك فيها قراءه في اخص خصوصياته :

« وقد تعرضت انا شخصيا لهذا الوضع المتعب ، فانا ابن صاحبة المجلة التي بدأت العمل بها •• ابن روزاليوسف •• ومضت فترة كنت لا اعرف فيها بين الناس الا بانى ابن روزاليوسف وكان كل مجهود صحفي أبذله ينسب الى امي •• وكانت مشكلتي الرئيسية هي ان اثبت لنفسي شخصية قائمة بذاتها بعيداً عن شخصية أمي •• وكنت أتعمد أن أترك مجلة روز اليوسف واعمل في صحف أخرى ، رغم حاجة العمل الى ، لمجرد ان احرر نفسي من اسم امي ، وفي الوقت نفسه كانت أمي تعاملني بحزم لا تعامل به بقية المحررين وتحدد لي دائما اقل اجر حتى لا يعرف عنها انها تحابيني او تستثنيني من بين بقية الزملاء لمجرد اني ابنها •• وهكذا ظلمت أمي وظلمتني امي ••

وبعد ذلك أصبحت انا ابـــا لابن يصر على أن يكون صحفيا •• وقد كنت اتمنى الا يكون صحفيا فاى اب يخيل اليه ان عمله هو العمل الوحيد الذى يجلب المتاعب والمخاطر ويتمنى أن يبعد اولاده عن مثل هذا العمل •• ولكن ابني محمد أصر على أن يكون صحفيا ، فاصررت على ألا يعمل في اى جريدة أعمل بها خصوصا اذا كنت اتولى فيها منصبا رئيسيا سواء كرئيس تحرير او كرئيس مجلس ادارة •• وجاءت فترة كنت انا أعمل في مؤسسة « أخبار اليوم » وابني محمد يعمل في مؤسسة «الاهرام» ، الى أن جاءني يوما وقال لي أنهم في الاهرام يعاملونه ويحذرونه كانه جاسوس لي •• فاضطررت ان أسمح له بأن يعمل معي في « أخبار اليوم » ، وعهدت به الى مدير التحرير الاستاذ سعيد سنبل دون ان أسمح له بالاتصال بي في كل ما يخص العمل ولم اكن اوافق على اى اجراء خاص به الا اذا وافق سعيد سنبل •• أتعبت ابني وأتعبني• ولم يجد محمد حريته ولم يتقدم في عمله باخبار اليوم الا بعد ان تركتها انا ••

انه موضوع طويل سبق ان كتبت فيه كثيرا وانا اتساءل عن ابناء المشــاهير هل هم مظلومون بآبائهم ام انهم يظلمون آباءهم ؟ •

وهذه القصة من وحي هذا الموضوع •• »

د. يحي الجمل

معنى التقدم الحضاري

ما الذي نعنيه عندما نقول أن هذا الشعب متقدم أو ان ذلك الشعب متخلف ؟..

او بعبارة اخرى ما معنى التقدم وما معنى التخلف ؟؟

واذا كان التقدم هو بالضرورة نقيض التخلف فان البحث عن معنى واحد منهما لابد وأن يوضح معنى النقيض الاخر .

ونحن هنا لا نريد أن نتحدث عن معنى التقدم مطلقا او بغير وصف يحدده ويضبطه وانما نريد أن نتحدث عن معنى التقدم الحضاري ، وهذا يجعل الموضوع اكثر تركيبا وشمولا .

ذلك أن التقدم قد يكون تقدما علميا ، وقد يكون تقدما اقتصاديا ، وقد يكون تقدما سياسيا وهذه كلها صور من صور التقدم ، ولكن التقدم الحضاري أعم من ذلك كله وأشمل اذ انه يوشك أن يحتوي كل هذه الصور جميعا ويزيد ، وهو يحتويها متفاعلة متداخلة في ذات الوقت وليس قصاراه أن يجمع بينها صورا متراصة منفصلة ان جاز تصور ذلك .

معيار مركب :

ومن هنا فان معيار التقدم الحضاري الذي نهتدي به الى معناه يبدو معيارا مركبا .

ذلك اننا لا نستطيع أن نكتفي بالمعيار الاقتصادي وحده للحكم على وجود التقدم الحضاري اذ قد يوجد التقدم الاقتصادي والذي يقاس عادة بمتوسط دخل الفرد ـ مع ادخال بعض العوامل الاخرى عليه





المجتمع الحضاري يوفر الشعور بالأمن لغالبية الناس
كل انسان قابل للتحضر مهما كان متخلفا
خرق نظام شارة المرور .. سلوك غير متحضر

كمتوسط استعمال الكهرباء ونوعية استعمالها في الصناعة او في مجرد الاستهلاك ـ ومع ذلك لا يوجد بالضرورة تقدم حضاري .

وليس يخاف ان بعض البلاد في الوطن العربي وفي غيره قفز دخل الفرد فيها قفزة بالغة الارتفاع مما يقطع بارتفاع المستوى الاقتصادي في جانب من جوانبه ، ولكن ذلك الارتفاع وحده لا يؤدي بالضرورة الى القول بوجود او بعدم وجود تقدم حضاري مما يدعونا الى ان نقرر ان التقدم الحضاري ليس مرتبطا بالضرورة بالتقدم الاقتصادي او بارتفاع متوسط دخل الفرد وبمعنى اكثر تحديدا ـ فقد يوجد ذلك المتوسط المرتفع في الدخل ويوجد التقدم الحضاري او لا يوجد ذلك ان المعنيين ليسا مترادفين .

وبالمقابل فان وجود بلد من البلاد في ضائقة اقتصادية لا يعني بالضرورة ان ذلك البلد متخلف حضاريا .

المعيار السياسي :

واذا كان هذا هو الشان بالنسبة للمعيار الاقتصادي فان الامر يقترب من ذلك ايضا بالنسبة للمعيار السياسي اي المعيار المتعلق بنظام الحكم .

فنظام الحكم في الولايات المتحدة الامريكية يختلف في كثير من التفاصيل عن نظام الحكم في المملكة المتحدة ـ وان اتحدا في الاساس وكونه الديموقراطية الكلاسيكية او هذان النظامان بدورهما يختلفان اختلافا كليا عن نظام الحكم في الاتحاد السوفيتي ، ومع ذلك فانه لا يمكن القول ان هذا النظام بذاته او ان ذاك النظام بذاته دليل على التقدم الحضاري او على عكسه

المعيار التكنولوجي :

وحتى التقدم التكنولوجي لا يصلح بدوره معيارا وحيدا للقول بوجود التقدم الحضاري ذلك انه لا شبهة في ان البون شاسع بين التقدم التكنولوجي في الولايات المتحدة الامريكية وبين هذا التقدم نفسه في بلد كفرنسا او كانجلترا ومع ذلك فانه من العسير ان يقال ترتيبا على ذلك ان الولايات المتحدة الامريكية تعتبر من الناحية الحضارية اكثر تقدما من انجلترا او من فرنسا .

وهكذا نستطيع ان نقول ان ايا من هذه المعايير ـ على اهميته ـ لا يمكن ان نركن اليه « وحده » لتقيس به مدى التقدم الحضاري في بلد من البلاد ، وان التقدم الحضاري لابد وان يقاس بمعيار فيه نوع من الشمول والاحاطة .

فما هو ذلك المعيار وكيف نهتدي اليه ؟

قد يحتاج الامر الى نوع اخر من الاستطراد قبل الحديث المباشر عن ذلك المعيار او ما نتصور انه المعيار السليم .

معنى التقدم الحضاري

تساؤل :

وقد يجمل بنا هنا أن نطرح تساؤلا يدخل في صميم الموضوع وقد يقربنا خطوات من المعيار الذي نبحث عنه . هذا التساؤل هو :

ما الفارق بين الشعوب الحضارية والشعوب المتقدمة حضاريا ؟

واطلاق التساؤل على هذا النحو يعني اننا نفرق بين كون شعب من الشعوب يعد شعبا حضاريا من ناحية وكون شعب اخر يعد شعبا متقدما حضاريا من ناحية اخرى .

وهذه التفرقة صحيحة في تقديري فما الذي تعنيه تلك التفرقة .

الشعب العربي شعب حضاري بيقين . ذلك لان الشعب العربي انتج حضارات انسانية عظيمة كانت بمثابة خطوات واسعة على طريق التقدم الانساني . حقيقة ذبلت تلك الحضارات واندثرت نتيجة عوامل كثيرة ولكن الشعب الذي يفرز حضارة أو عدة حضارات ويعيش في ظلها قرونا ويضيء بها الطريق امام البشرية ردحا من الزمن هو بالضرورة شعب حضاري وان رأي البعض انه في هذه المرحلة أو تلك لا يمكن اعتباره متقدما حضاريا .

الشعب الحضاري اذن هو الشعب الذي استطاع في مرحلة من مراحل تطوره ان يفرز حضارة معينة وأن يعيش في ظل تلك الحضارة وان يشع على غيره اشعاعا حضاريا .

وقد يكون الشعب حضاريا بمعنى اخر . قد يكون الشعب بمعنى انه قابل للتحضر حتى وان لم يسبق له ان ينتج حضارة معينة أو ان يعيش في ظل نوع من التقدم الحضاري .

ويدفعنا ذلك الى أن نتساءل هل يوجد شعب من الشعوب ــ أيا كانت درجة تخلفه ــ يمكن أن يقال عنه انه شعب غير حضاري !!؟

لست من الذين يرون هذا الرأي ، ذلك أنني لا ارى فارقا نوعيا بين شعب وشعب اخر من بني الانسان وانما هو فارق في الدرجة أو الكم . وأكثر القبائل تخلفا في الغابات الافريقية أو في جنوب شرق اسيا لا يوجد بينها وبين امكانية التحضر سد منيع يفرض عليها التخلف دائما وابدا وانما هي ظروف موضوعية قضت بذلك التخلف وتتغير تلك الظروف فتتغير الاوضاع وينفتح الباب وتسير تلك الشعوب خطوة خطوة في مدارج التقدم والتحضر .

وهذا يعني أن كل بني الانسان قابلون للتحضر ــ مهما بلغت درجة تخلفهم حاليا ــ ويعني على نحو او على اخر ان كل الشعوب هي شعوب حضارية بالامكان ان لم تكن بالفعل ان جاز لنا أن نستعيد تعبير المعلم الاول « ارسطو » .

ونعود من هذا الاستطراد الى تساؤلنا الاول عن المعيار الذي يمكن أن نقيس به التقدم الحضاري بالنسبة لشعب من الشعوب أو امة من الامم أو دولة من الدول .

وقد قلنا ان هذا المعيار متعلقا بالتقدم التكنولوجي وحده دون غيره ولكنه معيار يحتوي ذلك كله ويضيف عليه معاني تتصل بسلوك الانسان الفرد من ناحية وبقيمة الانسان الفرد من ناحية اخرى مع وعي بالحقيقة الاجتماعية التي لا يمكن للفرد أن يعيش بمعزل عنها ..

الشعور بالامن :

فالانسان الفرد الذي يستبيح لنفسه أن يغتصب حق غيره او حتى ان يخرق اشارة مرور أو يلقي ورقة في طريق يسلك سلوكا غير متحضر ، فاذا اشاع مثل هذا السلوك واصبح شبه قاعدة عند الغالبية من الناس وبالتالي لم يعتبر سلوكا مستهجنا فان المجتمع كله لا يمكن ان يعتبر مجتمعا متحضرا .

والمجتمع الذي يسمح لفرد او قلة من افراده ان تستحوذ على الخير كله او اغلبه ويترك جماهير الناس او غالبيتهم يعانون من الحرمان لا يمكن ان يعد مجتمعا متحضرا .

والمجتمع الذي يتحول الافراد فيه الى الات خرساء ولا يكون فيه اعتبار الا للمجتمع او بالادق لمن يدعون انهم يعبرون عن المجتمع ــ وهو ما نطلق عليه المجتمعات الشمولية في مقابل المجتمعات التي تقوم على أساس المذهب الفردي ــ هو بدوره لا يمكن ان



ليس كل تقدم

يعتبر تقدما حضاريا

يكون مجتمعا متحضرا ·

ونعني بالمجتمع المتحضر هنا التقدم حضاريا · اذن ما هو المجتمع الذي يصدق عليه في تقديرنا وصف التقدم الحضاري ·

المعيار الشامل عندي الذي يمكن ان يقاس به هذا الامر هو معيار يتعلق بالشعور بالامن · والشعور بالامن معنى واسع وكبير ·

المجتمع المتقدم حضاريا هو ذلك المجتمع الذي يوفر أوسع مشاعر الامن للغالبية العظمى من مواطنيه ·

والشعور بالامن هنا شعور متعدد المصادر متعدد الجوانب ·

والحقيقة أن ظاهرة السلطة ـ ومن ثم ظاهرة الدولة في المجتمع الانساني ـ ارتبطت اساسا بالمقدرة على تحقيق ذلك الشعور بالامن لدى الناس ·

وفي الماضي كان الناس يخافون من مخاطر الطبيعة وكواسر الحيوان والتعرض للجوع وكان سعيهم كله من أجل تحقيق الشعور بالامن في مواجهة ما توجده تلك المخاوف من شعور بانعدام الامن ·

وفي مسيرة الانسانية الطويلة كانت مصادر الخوف تتنوع وتتعدد وكانت حاجة الانسان الى الامن قائمة متجددة·وكان المبرر الاساسي لوجود سلطة الدولة هو اشباع ذلك الشعور وتحقيقه لدى الغالبية من الناس : الشعور بالامن ·

وبقدر ما تتسع مساحة الشعور بالامن وتضيق مساحة الشعور بالخوف بقدر ما يتحقق التقدم الحضاري في مجتمع من المجتمعات ·

والحاجة الى الشعور بالامن متعددة الصور في وقتنا الراهن ·

فالانسان في حاجة الى ان يشعر بالامن على لقمة عيشه في صورة توفير مستوى اقتصادي معين ، وفي حاجة الى ان يشعر بالامن على صحته في صورة توفير الرعاية الطبية ، وفي حاجة الى ان يشعر بالامن على حقه في ان يبدي رأيه وان يعبر عن نفسه في مواجهة السلطة ، وفي حاجة الى ان يشعر بالامن في مواجهة غيره من الافراد بأن يحترموا حقوقه وحريته الشخصية وأن لا يتدخلوا فيما لا يعنيهم من شئون غيرهم ، وهذه الحاجة الى الشعور بالامن هي حاجة قائمة بالنسبة لكل فرد من افراد المجتمع ·

وكلما زاد ذلك الاحساس بالامن لدى الجماهير الواسعة من افراد الشعب من ناحية وكلما زادت مساحة الامن المتحققة في صوره المتعددة من ناحية اخرى كلما زاد التقدم الحضاري في ذلك المجتمع ·

الشعور بالامن بمعناه الواسع وبصورة المتعددة والمتطورة هو في رأيي خير معيار يقاس به التقدم الحضاري ·

وعلى ذلك فاذا وجدنا شعبا من الشعوب أو بلدا من البلاد يتحقق للفرد فيه متوسط مرتفع من الدخل ولكنه لا يستطيع ان يأمن على نفسه اذا قال رأيه في مواجهة السلطة هنا لا نستطيع أن نقول اننا في مجتمع متقدم حضاريا ·

واذا وجدنا دولة من الدول يأمن الانسان فيها على كلمة يقولها في مواجهة اصحاب السلطات ولكنه يعيش مهددا بالبطالة والعوز ولا يجد لنفسه سريرا في مستشفى اذا داهمه المرض هنا ايضا لا نستطيع ان نقول اننا في مجتمع متقدم حضاريا ·

والامور نسبية والامور درجات بعضها فوق بعض ·

ولكن الذي لا شك فيه عندي ان خير معيار لقياس التقدم الحضاري هو ذلك المعيار الذي يستند الى مدى الشعور بالامن واتساع ذلك المدى وشموله وتحقق ذلك بالنسبة للجماهير الواسعة من الناس ·

القاعدة القديمة

● ليس الفن ان تنقل الاحداث كما هي ·· ولكن الفن هو الانفعال بالاحداث والتعبير عنها بشعورك الذاتي ·· والفن الواقعي هو اعادة بناء الواقع بخيال شديد ·

الفن الاصيل شجاع وعنيد لانه يستطيع وحده ان يقتحم الخلود ·· ويتحدى الزمن والفن الزائف قد ينتفض ويزدهر يوما أو عاما ولكنه لا يلبث أن يهمد ويزوى ·

وهناك قاعدة قديمة تقول ان الكثرة تغلب الشجاعة ·· ويمكن تطبيق هذه القاعدة في مجالات كثيرة الا مجال الفن ·

كامل الشناوي







أجرى المقابلة: عبد الوهاب الأسواني

استقبلني في صخب محبب ٠٠ تلك الترحيبات التلقائية ـ شأن من ولدوا في الاحياء الشعبية ـ والحديث في عدة موضوعات في وقت واحد ، و « العزومة » على شرب القهوة التي لابد منها والا حدث خلل في نظام الكون ، وقطع الحديث فجأة لفتح الباب الزجاجي المؤدي الى الشرفة كي يدخل قطه السنجابي ، لان « سيادته » قرر أن يدخل علينا ، ثم العودة الى موضوع جديد ـ كطبيعة من اكتظوا بالثقافة ـ ونهر النيل على مرمى حجر منا يتدفق بعطائه هو ايضا ٠

وقلت له :

● **شيء غريب ومثير للدهشة ان يجمع انسان بين الكتابة القصصية والنقدية والتاريخية ، وادب الرحلات ، وشرح الموسيقى ٠٠ كل هذا بمستوى رفيع جليل ، ثم يكون في نفس الوقت طبيبا للعيون وعالما في الاحياء المائية ٠٠ فما « دفاعك » عن نفسك ؟!٠٠**

قلب يديه وقال باسما :

ـ ما حيلة المرء في طبيعته ، وهي عندي منذ الطفولة ٠٠ التوق الى المعرفة بمعناها المجرد ٠٠؟

ربما بدأت بلعب الاطفال ، فأذكر أواخرها ، وشغفي باكتشاف سر حركتها الالية ذات الزنبرك ٠ ومحاولة فهم حركة الساعة في « منبه » قديم ٠٠ والاغلب ان الكشف كان ينتهي بتحول اللعب والمنبه الى « خردة » ٠٠ وأي بأس ؟ وقد توصلت الى فهم حركة هذه الالات؟

٠٠ تعلمت ركوب الدراجة مبكرا ، وهويت التصوير الشمسي في سن الحادية عشرة ٠ تصويرا وتحميضا ، وطبع الموجبة من السلبية ، وتحميضها ٠٠ ولعبت كرة القدم في المرحلتين الابتدائية والثانوية ٠٠ وكان هذا الاصل في فهمي أصولها وحبي حتى الان لمشاهدة مبارياتها الكبيرة ٠٠ وكنت في فرقة الجمباز المخصوصة الابتدائية ٠٠ ولان بالبيت كتبا ، فقد بدأت المطالعة الحرة باكرا ٠٠ وعشقت التمثيل في الرابعة عشرة ، وقرأت أدبه من أول الاغريق ٠٠ وهويت الرسم بالفحم وبالالوان المائية ٠٠ وكنت في الثانوية عضوا في أغلب او كل الجمعيات ، وكانت تمثل نشاطا خاصا غير مفروض علينا ، يشرف على كل جمعية أستاذ متخصص للرحلات وللجغرافيا ، وللفوتوغرافيا ، وللتمثيل ، وللعلوم ٠٠ وللصناعة ٠٠!

طبق هذا على ما حدث فيما بعد : واصلت الاطلاع على الادب العربي ، والاداب الاجنبية في اللغتين



موسيقى الحضارة الغربية نتاج عبقرية القرون الستة الأخيرة

الانجليزية والفرنسية (توصلت باللغتين الى ادب الالمان والروس والطليان والاسبان والفرس والهند) وتعلمت الالمانية (على كبرة) ودربت نفسي على اسلوب في الكتابة العربية نثرا وشعرا : بالترجمة من الانجليزية ، محاولا نقل العروض الانجليزي الى شعري العربي (بترجم لبيرون وتنيسون) وترجمة النثر من تمثيليات (ابسن وتولستوي) ومن قصص (تشيكوف) . وكان نموذجي ترجمات محمد السباعي مع كتاب مجلة « البيان » ــ لصاحبها الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ــ الذين كانوا قدوة لي .

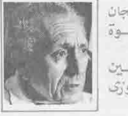
وقعت بيدي نسخة من موسيقى اوبرا « عايده » ، (للغناء باصطحاب البيانو) وكان النص بالايطالية التي لا اعرفها .. والموسيقى مكتوبة برموز سحرية ، وان كنت اعرف انها الكتابة الموسيقية ، لاني رأيتها على حوامل موسيقى « حسب الله » .

واطلاعي على مجلات « المقتطف » و « الهلال » كشف لي عن قصة هذه الاوبرا ، وعلاقتها بمصر ، وبافتتاح قناة السويس ، ثم عثرت على ترجمة « عايده » بالعربية ، من عصر اسماعيل .. كنت احب الموسيقى ولا يسمح لي بتعلمها ، فدرجت على شراء صفارات رخيصة ، وموسيقى فم ، وجاءتني في لعب العيد « اكورديون » للاولاد . وظلت مدونة « عايده » سرا مغلقا حتى لانت الظروف ، والوالد ، بشراء كمنجة ، وعلمت نفسي قراءة النوتة من كتيب فرنسي [illegible] ثم توجهت الى مدرس ايطالي ، وما برحت المدونة تحت نظري الى جانب مدونات اخرى .. الا ترى ان مجرد « الشغف بالاستطلاع » هو الشرارة التي انتهت بي هاويا موسيقيا طويل الباع ؟..

وعلم البحار ؟.. كيف توصل اليه طفل ولد في حارة قميئة « بجوار » المشهد الحسيني رضى الله عنه » ولم ير البحر الا في مراهقته ؟.. لقد طالع على حائط مبنى عند محطة الشاطبي بالاسكندرية (مكان جمعية الشبان المسلمين الان) هذه الجملة : « المعهد السلطاني للاحياء المائية » وتحتها ترجمتها بالفرنسية .. فأثار فيه ذلك حب استطلاع البحر الجديد عليه .

واذ كان في اوائل الحائزين على شهادة الدراسة الثانوية ، فما اعتراضه على ان يسجله والده بمدرسة الطب المصرية (قصر العيني) ــ واذ حصل في الامتحان النهائي منها على ميدالية في مادة طب العيون ، الا يكون من الطبيعي ان يدفعه اهله ومعارفه الى الالتحاق بمستشفيات الرمد الاميرية ؟..

فنجان قهوة مع د. حسين فوزي



بين المادية والنشوة

● **لكن ٠٠ ألم يحدث صدام في داخلك بين مادية العلم ونشوة الفن ؟**

ـ الصدام بين مادية العلم ونشوة الفن وقع فعلا عندما كانت دراسة التاريخ الطبيعي « بسنة اولى طب » مجرد مذاكرة مبنية على محاضرات ، واجراء بعض التجارب ، وتشريح نماذج من الحيوان والنبات ٠

ويوم دفعني « التوق » الى مجر مستشفيات الرمد ـ بعد أن حقق لي فيها رؤسائي الاعلام مرانا وتخصصا مرموقا ـ الى الالتحاق بالبعثة العلمية الخاصة بالاحياء المائية ، بجامعتي باريس وتولوز على التوالي تغير وجه العلم عندما وجدتني مع زملائي الفرنسيين على شاطىء البحر الابيض (بمعمل بانيولز البحرى) ثم على شاطىء بحر المانش (بمعمل ردسكوف البحري) وشاهدت احواض الاكواريوم ، وخرجنا من معمل ردسكوف (باقليم البريتاني) لنرتاد المنبسط الفسيح من قاع البحر ، يكشف عنه الجزر لمسافات شاسعة ٠٠ والاستاذ يعلمنا كيف نكشف عن الاحياء البحرية الملتصقة بالصخور ، أو المختبئة تحتها ، أو المدفونة في طينة القاع ، ويعرفنا باسمائها العلمية (وقد درسناها مذاكرة ، ورؤية في البرطمانات ، وتشريحا لبعضها ، كما يجرى عليه التعليم بكلية العلوم) ٠٠

وعندما طلبت من الاستاذ (في ردسكوف حيث لبثت ثلاثة اشهر) موضوعا للبحث ، اختار لي نقطة مجهولة في طريقة تكوين بعض الديدان البحرية لاغطيتها الكلسية في شكل انابيب بيضاء لاصقة بالصخور ٠٠

اقول ٠٠ عندما حدث كل هذا ، وتحول العلم تنقيبا ، وبحثا ، وكشفا ، اصبح جهدا عقليا ، اقرب ما يكون الى ما تصفه بنشوة الفن ٠٠ وخاصة حينما يقف بك البحث عند عقدة صعبة الحل ، فتحسن بالقلق ، وقد تقع فريسة السهاد ، واذا بك فجأة تصحو على بصيص ضوء ، يكشف لك عن المدخل الى الحل ، فان تلك لحظة باهرة من الفرح العلوي ، تعرفونها يا أهل الابداع الفني !٠٠

الفرق بينهما

● **جمعت بين الثقافتين ، الشرقية والغربية ٠٠ ترى ٠٠ ما أهم الفوارق بينهما في رأيك ؟**

ـ الثقافة الغربية كيان حي معاصر ٠٠ بدأ بالتحرر من قيود العصر الوسيط بالعودة الى الحضارة الكلاسيكية ، اثينا وروما ، فيما يعرف « بعصر الاحياء » ، فعهد التنوير ، فالثورة الفرنسية ، ثم بدء العصر الحديث بنهاية امبراطورية نابليون ، فالعودة الى الملكية ، فثورات القرن التاسع عشر ، فالمذاهب الاشتراكية ، وفجر العصر الصناعي ، فثورة الكوميون بباريس ، فالثورة الروسية ٠٠ وتحركات الفنون والاداب تصاحب كل هذه الاحقاب : الكلاسيكية ، والرومانتيكية ، والطبيعية ، والانطباعية ، والتأثيرية ، مع التقدم العلمي الخطير الذي كاد يغلب المادة على الروح ، لولا الشعراء والكتاب واهل الفن والفلاسفة ٠

والثقافة الشرقية حضارة باهرة في مطلعها وازدهارها وعطائها ٠ ولكنها توقفت ، وسكنت نأمتها تحت سنابك خيل البرابرة من اسيا الوسطى ٠٠ انها أس تكويننا ونشأتنا وموضع حبنا وفخارنا كتراث ثمين نحرص عليه اشد الحرص ، بشرط أن لا تحول بيننا وبين التحرك نحو ثقافة الغرب ٠ وكلمة ثقافة في سؤالك ترجمة لكلمة « كولتور » الالمانية ٠٠ لم يستعملها اللاتين الا مؤخرا ، فهي عندهم موازية لكلمة الحضارة ٠٠ والحضارة ظاهرة اجتماعية يتيقظ فيها العقل والاحساس لاسباب ندرك بعضها ويغيب عنا البعض الاخر ٠ حياتها في تحرك العقل وتنبه الاحساس ٠ موتها في جمود العقل والاحساس ٠ والجمود غير الموت ، ولكنه التبلد ، والتعلق بالسلفية ٠٠ وتلكم أضل سبيلا ٠

انطباعات وملاحظات

● **انت احد مؤسسي « المدرسة الحديثة » التي زرعت فن القصة القصيرة في التربة العربية ٠٠ فلماذا توقفت عن كتابتها ؟٠٠ ثم ٠٠ كتابك « سندباد عصري» أكثر « صوره » قصص قصيرة ، بكل المقاييس الفنية للقصة القصيرة ٠٠ فلماذا لم تقل ذلك في صدر الكتاب ؟**

ـ توقفت عن الكتابة الادبية طوال اشتغالي المتحمس بالعلم ، مكتفيا بالاطلاع ، ومداومة التزود بالثقافة الادبية والفنية والفكرية ٠ ولم اعد الى الكتابة الا بعد رجوعي من رحلة السفينة « مباحث » مع بعثة السير



« جون موري » لدراسة البحر الاحمر ، وخليج عدن ، والبحر العربي ، وبحر عمان ، والمحيط الهندي ، حتى أس تكويننا ونشأتنا وموضع حبنا وفخارنا كتراث خط عرض ١٠ درجة جنوبي خط الاستواء · كتبت انطباعاتي عما شهدت في البحر وشواطئه وجزره · وهي صفحات نشر بعضها الاستاذ احمد الصاوي محمد في « مجلتي » ونشرتها كاملة في كتاب « سندباد عصري » وواصلت بعد ذلك كتابة الرحلات تحت اسم استاذي الاول : السندباد البحري · وهي ليست وصفا بعينه ، ولا تفصيلا للرؤية ، وانما هي انطباعات وملاحظات ، وخطرات أوحت بها رحلاتي في المكان (سندباد عصري ـ سندباد الى الغرب ـ سندباد في سيارة ـ سندباد عصري يعود الى الهند) او في الازمان ـ حديث السندباد القديم ـ سندباد مصري ـ سندباد في رحلة الحياة ··

رواية لم تكتمل

● **الخطة التي اتبعتها في كتابك العظيم « سندباد مصري » تشعرنا أننا أمام روائي مجدد ·· واسلوبك في كل كتاباتك يعطينا نفس الاحساس باننا أمام روائي فذ ·· فلماذا لم تطرق فن الرواية ؟**

ـ فقدت الكلف بكتابة القصة القصيرة منذ انشغالي بالعلم ، وتحت يدي رواية بداتها منذ سنتين ، انتهز فرصة الفراغ الكامل ـ وهذا أمسى نادرا فيما تبقى لي من فرص الحياة ـ لاضعها في الصيغة التي ترضيني نهائيا ··



مطالعاتي لا تقتصر على شيء محدد

● **درست الموسيقى السيمفونية وقدمتها لنا فاحببناها من خلالك ·· ما قصتك معها ؟··**

ـ قصتي مع الموسيقى السيمفونية هي قصتي مع « ظمأ المعرفة » بالاضافة الى تحرري الكامل من السلفية · تحرري منها لا ينفى اهتمامي بالماضي ، اثراء للحاضر : ماضي الفرعوني ، والمسيحي ، والاسلامي العربي · هذا الاهتمام هو كياني الاجتماعي والفردى ورباطي بوطني وتراثي · واذا كنت اعني بدراسة الحضارات الكبرى ، فان حضارة اجدادي هي الاساس في تكوين عقلي وحسي ·

الموسيقى الشرقية

● **اذن ·· نريد ان نعرف رايك في موسيقانا الشرقية ·**

ـ كل انسان محب لموسيقى قومه ·· القديم منها والمستحدث ، يحس بها احساسا عميقا بدنيا ماديا ، لا يعرفه الغريب عنها ولا يطرب لها حتى وان فهمها ·· قصتي معها هي قصة كل مصري او عربي مع موسيقاه القومية : الاحساس العميق بها ·· ولا فضل لنا في هذا الاحساس ، فقد نشأ معنا من المهد ، في هدهدة الام ا··

اما موسيقى الحضارة الغربية ، فهي نتاج عبقريات القرون الستة الاخيرة : عبقرية صناع الالات الموسيقية ومطوريها ، وعبقرية العازفين والمغنين ، وعبقرية المؤلفين الموسيقيين ، منذ القرن الرابع عشر ·· حققوا فنا لم يعرف له مثيل ، أو شبيه ، في أية حضارة سابقة ·· شاركت في تكوين هذا الفن الرفيع اغلب الشعوب الاوروبية ، بدءا بايطاليا مهد « الاحياء » · اخرجت ضروبا من النغم المفرد والمتآلف والمتنافر ، لها قدرة واسعة على التعبير ، مصطحبة بالالات التي تطورت الى ما نراه ونسمعه اليوم في الاوركسترا السيمفوني ، والموسيقات العسكرية · وقدرة التعبير بالالات وحدها ، مجتمعة ومنفردة ، لا تقف عند المشاعر البدائية ، بل تغوص الى أعمق ، وترتفع الى أسمى ما يبلغه الشعر والنثر والفن التشكيلي ·· وأقرب الفنون التشكيلية الى هذه الموسيقى هو فن العمارة ، لان موسيقى الالات ـ دون الغناء لا قوام لها الا بفن البناء ·· والات الاوركسترا ـ بتنوع الوان صورتها ـ السيمفوني ـ اي قالب الصوناتة ـ يقربها من الدراما ·· موسيقى الحضارة الغربية ، بدون الكلمة المغناة ، تبلغ في التعبير عن الخوالج الدفينة ، والافكار المتسامية ، مدى لا تستطيعه الكلمة ، مكتوبة او منطوقة ـ وهذا

الحضارة الغربية ليست شرا كلها وليست خيرا كلها



فنجان قهوة مع د. حسين فوزي

يستبين خاصة في السيمفونيات والرباعيات الوترية الكبرى ..

هؤلاء صنعوا وجداني

● من هم الذين تعتقد أنهم صنعوا وجدانك ؟

ـ هي الظروف : بيئة مصرية ، قاهرية أصيلة ، وفرص أتاحتها الحياة لصاحبها في البيت والمدرسة ، من « كتاب » سليمان جاويش بباب الشعرية ، فالمدرسة السعيدية بالجيزة ، حتى جامعتي تولوز وباريس ، وعلى أيدي الممتازين من أساتذتي في كل المعاهد ، وأساتذتي في الموسيقى وفيهم الايطالي ، والنمسوي ، والفرنسي ، والروسي .

صدق التعبير

● ما سر استخدامك للتعبيرات الشعبية في كتاباتك رغم انك تخاطب خاصة المثقفين ؟

ـ يا سيدي !.. هذه لغتنا البلدية التي نتحدث بها ، ونرتفع منها في مراقيء التعبير الى العربية الفصحى « لغتنا الجميلة » .. واختياري لبعض الكلمات العامية دافعه صدق التعبير . لان العربية الفصحى فيها كلمات تجريدية عرفناها من قراءاتنا في الادب العربي الكلاسيكي ، وفي قواميسنا ، ولم نسمعها في حياتنا اليومية .. ونشاتي الشعبية شحذت حاستي باللفظ العامي والتعبير الشعبي .. ولو رجعت الى كتابي (سندباد مصري ـ ١٩٦١) ستجد فيه : « فتحولي الى العامية في بعض الالفاظ والتراكيب ، مذهب قديم ، وضعته موضع الامتحان في أول كتاب لي ، وزادتني الايام تمسكا به ، فهو لا يبدو اليوم ناشزا ، كما كان يبدو منذنيف وعشرين عاما ، لان الجيل الحي من الكتاب اخذ به وأبدع فيه .. » .

أصدقاء الدكتور

● كل كاتب يداوم على قراءة كتاب معينين يطلق عليهم عادة « الاصدقاء » .. ترى .. من هم أصدقاء الدكتور حسين فوزي ؟

ـ « الايكلكتية صفتي .. ترجمتها في القواميس : انتقائية ، اصطفائية ، لكنها في الـ , أوسع من ذلك .. فهي تعني من لا يقصر حبه على كاتب أو فنان أو شيء بعينه .. ومطالعاتي تتناول حضارات الفرس والهند واليونان ، والرومان ، وبقية الاوروبيين والامريكان .. فنا وادبا وفكرا .. لا فضل لحضارة على حضارة فـ كويني ، الا فضل العربية ـ لغتي ـ وحضارتها .

وأخيرا : المدينة الفاضلة

● ما تفسيرك لتناقض الحضارة الغربية العجيب .. من ناحية قدمت للعالم خير ما انتج العقل البشري من علم وفن ومن ناحية قدمت له أعنف ما عرف الانسان من حروب .. في مقدمتها حربان عالميتان لم تشهد لهما الدنيا مثيلا ؟..

ـ لا تنس ان كل الحضارات عرفت الخير والشر .. ومن أسف ان الانسان ، صانع كل هذه الحضارات لم يتخل عن « أسهم » البهيمية فيه ، واشك في أنه يقترب من التخلي عنها .. واذا أردت ان تتصور « مدينة فاضلة » فاحشد لها الانبياء والرسل المعصومين ، أو انظر الى يوم الفردوس وحضارته .. وهذه لن تقوم الا بعد قيام الساعة ، وبعد يوم الحساب .. مع التحفظ على الحور العين والحذر منهن !..

● اذا بدا لك كل ما لديك قليلا .. فاعلم انك لو امتلكت الدنيا باسرها .. لكان ما لديك ايضا قليلا .

« فيلسوف روماني »

● ان دعوتي لعدم العنف لا يمكن الا ان تنتصر في النهاية فليس هناك عدد مهما كانت قوته يستطيع أن يقاوم نيران الحب ..

« غاندي »

زاوية الرأي



أمنيتنا التي بدأت تتحقق

في العدد الماضي من « الدوحة » وفي هذه الزاوية كتبنا مجموعة أفكار بمناسبة بدء العام الجديد ١٩٧٧، ومعناه التاريخي لامتنا العربية في وضعها الراهن . وكانت آخر فكرة من تلك الافكار هي التالية :ـ

« رغم مشاكلنا المرحلية التي فرضها العدو والقوى الطامعة ، فنحن امة لها آمالها في الوحدة والتحرر وبناء الكيان العربي الكبير . وفي غمرة المواجهة اليومية للتعديات يجب أن يتأصل هذا الكيان وينمو ويكبر . هذا الهدف القومي الكبير لا يجوز تأجيله ، بل يجب العمل على تحقيقه من خلال كل خطوة نخطوها في حل مشاكلنا ، وتحقيق تقدمنا ، فهو الاطار الشامل الذي يقي جهود امتنا من الضياع في عالم اليوم ، عالم التكتل الكبرى ، الذي لا مكان فيه للضعفاء المتفرقين » .. كانت هذه امنية من امانينا للعام العربي الجديد ..

في هذه الاثناء حدث اللقاء المصري ـ السوري وتم اعلان القيادة السياسية الموحدة بين البلدين العربيين الرائدين والمواجهين للعدو وشريكي حرب رمضان المجيدة .. فجاء هذا الحدث ليعبر بقوة عما اختلج في خاطرنا في تلك الفكرة . وهكذا مرة اخرى يكتشف العرب ، في لحظات التصافي والصفاء ، ان التفكير الوحدوي هو بداية التفكير المنطقي الشامل لمواجهة العدو وتحقيق المصير . الوحدة هي البداية وهي النهاية ، هي الوسيلة وهي الغاية . بها نبدأ اولى خطواتنا لمواجهة العدوان والمصاعب والمعضلات ، واليها تتجه تطلعاتنا وآمال اجيالنا في النهاية لاقامة الكيان العربي الكبير ..

اما الذين يتصورون ان هدف الوحدة هدف بعيد ومثالي ويجب أن نؤجله للمستقبل عندما ننتهي من كل مشاكلنا فهم واهمون ومخطئون . لاننا ـ ببساطة ـ لن نتخلص من مشاكلنا ولن نتغلب عليها الا بتحقيق الوحدة، حيث ان معظم مصاعبنا الحالية ناجمة عن أوضاع التجزئة والتشتت الناتج عنها والضعف المتولد منها .

واذا كانت بعض الاشكال الاتحادية والتجارب الوحدوية قد اخفقت في تاريخنا الحديث ، فان هذا لا يعني التخلي عن المضمون بسبب اخفاق الشكل ، ولا يعني التنكر للغاية بدعوى تخبط الوسيلة . بل يتحتم اصلاح الشكل ليتطابق مع مضمونه ، والارتفاع بالوسيلة لتتوازى مع سمو الغاية .

ان القيادة السياسية الموحدة بين سوريا ومصر ، وهما البلدان اللذان انبثقت منهما أول دولة للوحدة العربية قبل حوالي عشرين سنة ، لهي دليل جديد على حقيقة قديمة .. وهي انه لا مفر من التقاء هذين القطرين العربيين في اطار وحدوي ـ أيا كان شكله ـ لمواجهة العدو وتحريك الوطن العربي الكبير نحو غاياته القومية والحضارية الكبرى . ويكفي ان نتذكر ان حرب رمضان بدأت بوحدة قتالية بين سوريا ومصر ، دون اعلان لاي شكل دستوري من اشكال الوحدة والاتحاد ، فكان ذلك كافيا لتحريك الوطن العربي كله في معركة المواجهة ومعركة النفط والمعركة السياسية الدولية .

والمهم ان يكون التكتيك والاستراتيجية مترابطين متلازمين في هذه الخطوات الوحدوية ، بحيث نوظف تكتلنا الجديد لتحقيق السلم العربي العادل ، دون ان يغيب عن ناظرنا هدف الوحدة الابعد ، باعتباره الهدف الاستراتيجي الاكبر بعد هدف السلام . بذلك تخدم الوحدة تحقيق السلام ، ثم يؤدي السلام الى مزيد من الوحدة . من هذا المنظور يكمن ان يكتسب العمل الوحدوي الجديد بين مصر وسوريا ابعاده القومية الكبيرة ..

والساحة العربية تشهد توجهات وحدوية اخرى بين اكثر من قطرين عربيين . وهذه الخطوات كلها ينطبق عليها المنظور ذاته ...

واذا كانت جبهة المواجهة قد توصلت الى ان منطق الوحدة هو في صلب منطق المواجهة ، فان جبهة المساندة النفطية في الجزيرة العربية والخليج لابد وانها متيقنة ايضا ان المنطق الوحدوي هو الخطوة الاولى في رحلة الالف ميل ..

فهل نشهد خطوات وحدوية مماثلة في مهد العروبة ومهد الوحدة ؟

محمد جابر الانصاري

عبد الكريم غلاب

عروبة هذا المغرب



حقيقة لا يعرفها الكثيرون : بلاد المغرب تنتمي الى بلاد العروبة عن طريق السلالة

المغرب هو الجناح الثاني لعالم العروبة والاسلام منذ التاريخ المبكر

قد يكون من الغريب أن نتحدث عن عروبة المغرب في وقت لا يتحدث أحد بغير هذه العروبة ، وفي وقت يقوم فيه المغرب بكل التزاماته العربية من عمله في الجامعة العربية ، الى استضافته لمؤتمر القمة العربي ، الى مشاركته العملية في حرب اكتوبر على جبهتي الجولان وسيناء ، الى تبنيه للدفاع عن القضية العربية الكبرى ، قضية فلسطين ، ومساندته العملية للشعب الفلسطيني وثورته المناضلة · ولكن مع ذلك ما تزال الفكرة عن عروبة البلاد التي تبتعد عن قلب الوطن العربي ـ ومنها بلاد المغرب جميعها ـ مضببة عند الكثير من المواطنين العرب ، رغم ظهور الاجيال الجديدة التي عاشت في أحضان الثورة العربية والدعوة الى القومية العربية · فما نزال نذكر علامة الاستغراب التي كانت تبدو على كثير من المواطنين العرب في المشرق العربي ، ومنهم مثقفون كانت لهم مكانتهم في عالم الثقافة ـ حينما نتحدث لهم عن عروبة المغرب ، وحينما كنا ندعو ـ قبل استقلال المغرب ـ الى تبنى الجامعة العربية والدول العربية المستقلة آنذاك لقضايا المغرب العربي · كان بالطبع نتيجة عاملين اثنين :

أولهما : جهل مطبق بالوطن العربي في تاريخه وحضارته وواقعه ·

وثانيهما : خطأ واضح في فهم معنى العروبة التي كانت الدعوة اليها قد اجتازت مرحلة التفكير الى مرحلة العمل ·

ويمكن أن نضيف عاملا ثالثا هو هذه الدعوات الرجعية الناشئة هنا وهناك المعتمدة على قومية ضيقة تستعيض عن العروبة بالفينيقية أو الفرعونية أو الزنجية أو البربرية ·



أحفاد علي بن طالب ينشئون دولة مغربية عربية في قلب المغرب

الرؤية غير واضحة :

نتيجة لكل هذه العوامل لم تتضح الرؤية لدى كثير من المواطنين عن عروبة المغرب حتى كان كثير من المثقفين العرب في المشرق يخامرهم شك غامر ، يطفح أحيانا على ألسنتهم وأقلامهم ، في عروبة المغرب ، وحتى كان بعضهم يقول عن البلاد العربية الواقعة خارج الجزيرة : بلاد العربية ، وليست البلاد العربية ٠

ربما كانت المساهمة السياسية في العقدين الاخيرين ـ ومنذ استقلال المغرب بخاصة ـ قد خفضت من حدة التشكك في عروبة بلاد المغرب ، عند المهتمين بالقضايا السياسية ، وعند الذين زاروا هذه البلاد واتصلوا بشعب المغرب عن قرب ، وعند الدارسين الذين عادوا الى التاريخ ليعرفوا أن هذه البلاد ساهمت في التراث الثقافي والادبي والحضاري للبلاد العربية والاسلامية بحظ وافر ٠ ومع ذلك ما تزال الفكرة العامة عند عموم المواطنين العرب أن بلاد المغرب عضو في الوطن العربي بحكم الانتماء السياسي ، وأن اللغة المفضلة فيها هي الفرنسية ، وأن من لا يتقن هذه اللغة قد يجد صعوبة في التفاهم مع شعب المغرب ٠

والحقيقة المفترى عليها في هذه المقولة أن بلاد المغرب تنتمي الى العروبة عن طريق السلالة ٠ فقد هاجرت الى المغرب قبل الميلاد مجموعات من القبائل العربية اليمنية والكنعانية والفينيقية ، ومع هؤلاء كثير من اهل الشام ٠ واذا عدنا الى النسابين العرب نجد ان بعضهم يؤكد أن البربر من السلالة الحامية ، وبعضهم يؤكد انهم ساميون ، وبعض الباحثين يؤكد أن اصلهم من اليمن ، بينما يؤكد اخرون أنهم من فلسطين قدموا الى المغرب في هجرات متوالية ، لاسباب في مقدمتها : الصراع الذي حدث في هذه المنطقة ٠ ويعود بعض المؤرخون العرب بالبربر الى القبائل المعروفة في التاريخ كحمير ومضر والعمالقة وكنعان وقريش ، اجتمعوا جميعهم بالشام وهاجروا في هجرات متوالية الى بلاد المغرب الكبير ، أي ما يعرف الان بالمغرب العربي ٠

وتؤكد الابحاث الانثروبولوجية أن هناك صلات قوية بين البربر والشعوب التي سكنت اليمن ٠

المؤرخون يؤكدون :

وهناك أدلة علمية على قوة التشابه بين اللهجات البربرية واللغات السامية ، ومنها وجود الحروف الابجدية المنطوقة المتشابهة كحروف الحلق مثلا ، ومنها التشابه في الانغام الموسيقية والغناء ، وخاصة التشابه الواضح بين اغاني الجنوب العربي والاغاني البربرية المتوارثة ، وكذلك التشابه في البناء بين اليمن والمباني البربرية التي تحفل بها القرى في جبال المغرب وكذلك التشابه في العادات والتقاليد الخ ٠٠

كل ذلك يؤكد ما ذهب اليه النسابون والمؤرخون وعلماء الانثروبولوجيا من أن السلالة البربرية تعود الى اصول عربية ٠

ومهما يكن في هذه الابحاث من افتراضات علمية تارة ، مروية تارة اخرى فان المرحلة التاريخية القريبة التي لا يمكن التشكك في حقائقها تؤكد تعريب المغرب ، سواء عن طريق الهجرات العربية أو عن طريق اللغة والثقافة والفكر والحضارة ٠ تلك هي مرحلة الفتح العربي للمغرب الذي بدأ بفتح مصر وليبيا ثم تونس منذ بداية العقد الثالث للهجرة في خلافة عمر بن الخطاب ثم في خلافة عثمان سنة ٦٤٣م ٠ وقد كان عقبة بن نافع الرجل الذي حط الرحال على شاطىء المحيط سنة ٦٢هـ ٦٨٢م وبعد ارتداد ومعارك متلاحقة بين البربر والعرب ، ثم الفتح النهائي بقيادة حسان بن النعمان سنة ٨٢هـ ٧٠١م ٠

المهم ان الفتح العربي للمغرب ـ كالفتوح التي تمت لاطراف الجزيرة ومصر ـ أنه لم يكن فتحا عسكريا بمقدار ما كان يحمل في طياته العقيدة واللغة والثقافة والفكر ، ويحمل معه مجموعة من المهاجرين العرب يقيمون في هذه البلاد ، لا اقامة مستعمر أو سيد أجنبي ، ولكن اقامة تعاون وتكامل في بناء المجتمع الاسلامي الجديد بكل ما يحفل به من قيم ٠ وهكذا

عروبة هذا المغرب





نجد أن الوافدين على المغرب مع الفتح الاسلامي اختلطوا بالسكان الاصليين عن طريق الزواج والعمل المشترك فأنتجوا مجتمعا جديدا يختلف كامل الاختلاف عن المجتمع القديم · ادخلوا الدم الجديد والدين واللغة والثقافة العربية الاسلامية عن طريق الصحابة والتابعين الذين أخذوا يفقهون الناس في قضايا الدين، والذين نشروا القران وتعاليمه ، ونشروا المفاهيم الاسلامية الجديدة ·

قبائل عربية :

ومع الفاتحين كان هناك جنود وموظفون وتجار ورجال أعمال ، ووفدت قبائل وعشائر عربية بدافع التطلع الى العالم الجديد الذي فتحه الاسلام · ومن العناصر العربية التي دخلت المغرب مجموعات من قبائل معروفة ، منها : بنو هاشم ، وبنو تيم ، وبنو عدى وبنو أسد ، وبنو سهم ، وبنو أمية ، وبنو زهرة ، وبنو عامر ، وبنو هذيل ، وجهينة وأسلم ، ومزينة ، وبنو سليم ، وضمرة ، وغطفان ، واشجع ، وفزارة ، وبنو كعب ، وبنو حذيفة · وأسماء بعض القبائل أو الانتساب اليها ما تزال موجودة الى الان ·

المجموعات التي تواردت على المغرب من هذه القبائل اثرت تاثيرا كبيرا في تعريب المغرب · وقد يكون للاختلاط أثر عكسي كذلك ، فما نزال نجد اسماء عربية ، بل تنتمي الى الاشراف من بيت النبي ، تقطن المناطق البربرية وتتحدث باللهجات البربرية · ولكل ذلك دلالة مهمة على التجاوب والامتزاج الذي حدث في المغرب بين العناصر البربرية والعناصر العربية ·

ولعل تعريب المغرب كان يسير وفق تخطيط محكم وضعه سير التاريخ لهذه البلاد · فقد اصبح المغرب الجناح الثاني لعالم العروبة والاسلام منذ التاريخ المبكر ، رغم بعد المسافات بين مركز الدولة العربية في المدينة ثم في الشام وبغداد · زاد في تدعيم هذا المركز أن المغرب قام بدور مهم في نشر الاسلام والعروبة واجتيازهما البحر ــ ولو كان زقاقا ــ من افريقيا الى اوروبا · ونحن نعرف أن فتح الاندلس على يد طارق بن زياد البربري المغربي الاصيل سنة ٩٢هـ ٧١١م ، ومعه جيش مهم من البربر قدره المؤرخون باثنى عشر الف مجاهد وبضع مئات من العرب ، هذا الفتح كان صداه في مركز الخلافة من جهة ، وعند القبائل العربية التي كانت تتوق الى العالم الجديد : عالم ما وراء البحر ·

وما من شك في أن الفتح لم يكن الا بداية فقد توافد على المغرب الاف من العرب استقر بعضهم واستمر اخرون في طريقهم نحو الاندلس ، التي قام فيها حكم عربي مغربي مشترك نتيجة هجرة كثير من المغاربة · واجتاز الحكم في الاندلس مرحلة الولاة ــ عرب وبربر ــ الى أن قامت دولة عربية أموية في الاندلس بعد انهزام الامويين في الشام افتتحها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٨هـ ٧٥٥م · وقد كان قيام هذه الدولة الاموية بعد انتصار العباسيين مدعاة لهجرة عدد كبير من القبائل العربية التي كانت تدين بالولاء للامويين · وكثير من المهاجرين استقروا في المغرب وكثير منهم اقاموا فيه ، ولو كمرحلة ، وبذلك كان لهم تأثير في تعريب المغرب عن طريق الاختلاط والامتزاج ·

مرحلة تاريخية اخرى كان لها أثر كبير في تعريب المغرب هي وجود الادارسة من أحفاد علي بن أبي طالب ، وانشاؤهم دولة مغربية عربية بربرية في قلب المغرب ، وبناؤهم لمدينة كان لها شأن كبير في تاريخ المغرب السياسي والحضاري والثقافي هي مدينة فاس · كان ذلك حينما فر ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بي أبي طالب من العباسيين الى المغرب بعد انهزام اخيه محمد النفس الزكية سنة ١٧٢هـ ــ ٧٨٨م · وكانت شخصية ادريس قادرة على استنفار عدد من المهاجرين العرب ليكونوا بجانبه بالاضافة الى البربر مستعربين وغير مستعربين ، وقد استطاع أن ينشر الاسلام ، ومعه العربية ، في مختلف اقاليم المغرب ما بين تلمسان شرقا ــ التي كانت تابعة في كثير من فترات التاريخ للمغرب ــ حتى اقليم سوس جنوبا · واذا كانت سلطة الدولة العباسية (هارون الرشيد على الاخص) قد استطاعت أن تغتاله ، فقد

اكمل رسالته ابنه ادريس الثاني الذي أسس مدينة فاس سنة ١٩٢هـ ـ ٨٠٨م واستقبل فيها كثيرا من القبائل العربية من الازرد وقيس ويحصب والخزرج وغيرها .

وضوح وجه المغرب :

وفي العهد الادريسي بدا وجه المغرب واضحا ، لا في الدولة فحسب ، ولكن كذلك في المجتمع الذي تعرب ، وانتشرت فيه الثقافة العربية الاسلامية وأخذ يؤسس مراكز العلم كجامع القرويين التي تطورت فيما بعد الى جامعة اشرفت على الثقافة والعلم في الجناح الغربي من الوطن العربي أزيد من ألف ومائة سنة .

وحينما تذكر هذه الجامعة ـ التي يصفها كثير من المستشرقين بأنها اول جامعة في العالم ـ نستشرف لمرحلة مهمة من مساهمة المغرب في الثقافة العربية ، التي تقتصر على ما يمكن أن يسمى اليوم بالثقافة التقليدية .

فقد بدأت الدراسة في الجامع منذ نشأته في منتصف القرن الثالث الهجري (منتصف القرن التاسع الميلادي) واحتضنت العلماء المغاربة والوافدين من المشرق العربي . وازدهرت الدراسة في المسجد ، واصبح كجامعة ، في القرن السادس الهجري ووفد عليها عديد من علماء الاندلس للدراسة والتدريس ، كما وفد كثير من علماء الاندلس للدراسة والتدريس ، وفد كثير من العلماء والطلبة من أوروبا للدراسة في الجامعة التي اصبحت منارة للعلم في المنطقة الغربية من العالم المعروف آنذاك .



ويروى المؤرخون ان البابا سلفستر الثاني تعلم في القرويين (القرن العاشر) ومثله كثير من الرهبان والعلماء الاوروبيين الذين قصدوا مدينة فاس كعاصمة علمية لامعة . وحول الجامعة تكون جو علمي في مجموعة من المدارس (التي كانت تتخذ لها المسجد مكانا للعلم) حتى بلغ عدد المدارس الملحقة بالجامعة في فاس وحدها نحو ٨٠٠ مدرسة . بالاضافة الى المدارس التي انشئت في مختلف مدن المغرب وقراه المهمة ، كمراكش ومكناس وتازة وسبتة وسلا وسلجماسة وجزولة ودرعة وأغمات وطنجة وتادلة وغيرها من المراكز العلمية التي اخرجت مئات العلماء في مختلف فروع المعرفة على مر التاريخ . ويبدو من استعراض أسماء هذه الاقاليم والمدن أن الثقافة لم تكن مقتصرة على المدن الشهيرة والاقاليم التي تسكنها أغلبية العربيين ، بل كانت الثقافة العربية مشعة في قلب المناطق التي تسكنها أغلبية من البربر أو المتحدثين باللهجات البربرية . وقد ساهمت منطقة سوس مثلا في النشاط الثقافي بالمغرب مساهمة كبرى وأخرجت عديدا من العلماء واللغويين والادباء والشعراء ، وحول القرويين تكونت مكتبة مهمة ما تزال حتى الان تزخر بعديد من المخطوطات النادرة والقيمة في نفس الوقت .

وقد كانت العلوم التي تدرس بالقرويين وبالمدارس الاخرى تعكس صورة الثقافة العربية الاسلامية في صورتها الشمولية التي تشمل علوم الدين والقانون الاسلامي والعلوم اللغوية والادبية والفلسفية والعلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والتوقيت والعلوم الطبية والصيدلية .

التراث العربي :

واستطاع المغرب من خلال هذه المدارس المحافظة على التراث العربي الاسلامي طيلة احد عشر قرنا . وساعد على ذلك أن المغرب من بين البلاد القليلة التي لم تندحر فيها الثقافة بفعل حملات المغول وحملات الصليبيين المدمرة التي لم تصل الى المغرب ، ولا بفعل الفتح العثماني الذي شمل البلاد العربية جميعها وتوقف عند حدود المغرب .

وما من شك في أن بلادا تتسع لهذه الثروة المهمة من المدارس وهذه الجامعة المشعة على العالم الغربي في المغرب وافريقيا وأوروبا تؤكد عروبتها الفكرية الى جانب عروبتها السلالية كما اوضحنا .

هذا التاريخ الحافل أمد الحاضر بكثير من اشعاعه ، فقد مثل المغرب الاستمرار في الثقافة العربية حتى في عصور التخلف . تضاءلت أهمية القرويين والمدارس الموازية لها وانحصرت الثقافة فيها في العلوم الدينية

عروبة هذا المغرب





واللغوية بالاساليب العتيقة التي تردد ما كتبه الاقدمون · ولكن الظاهرة الواضحة أن الثقافة العربية لم تتدحر ، والاسلوب العربي لم يصب بالعقم الذي أصيب به في المشرق العربي في العهد العثماني ، ظلت الكتابة والشعر تنبض بالحياة ، وظلت تحافظ على مقوماتها اللغوية والاسلوبية رغم انحسار الثقافة · والكتب التي الفت في العقدين الماضيين – سواء كانت كتب رحلات –(والادب المغربي حافل بكتب الرحلات) أو كتب تراجم أو كتب التاريخ أو كتب الادب شعره ونثره تؤكد سلامة الاسلوب وطرافته ونصاعته ·

تراث ورثة عصر النهضة الادبية في المغرب ، ويبدو أن نهضة الادب العربي عاصرت اليقظة التحررية الاستقلالية التي بدأت في منتصف العشرينات وكان المثل المحتذى هو الادب المتحرر الذي انبعث في مصر والشام والعراق ، وكان شوقي وحافظ ومطران والزهاوي والرصافي وغيرهم من شعراء هذه الفترة المثل الذي كان يلهب حماس الشعراء في المغرب كما كان طه حسين والعقاد وأحمد أمين المثل الذي يحتذيه كتاب المقالة والبحث والقصة ·

واذا كانت أجزاء من المغرب ما تزال تستعمل البربرية لغة حديث – على اختلاف لهجاتها بين الريف في الشمال والاطلس المتوسط والوسط والاطلس الكبير في الجنوب – الى جانب العربية فان لغة التعليم والتفكير والكتابة والعقود هي العربية مثل ما أصبحت عليه منذ ادريس الاول في منتصف القرن الثاني الهجري ·

المهم أن عودة الصلة بين مشرق الامة العربية ومغربها – حتى في عهد الاستعمار – فتح باب الانبعاث في وجه عروبة المغرب · نجد التعبير عن هذه العروبة فيما ينتج المغرب من أدب ، وفي الاتصال الثقافي بالمشرق العربي بقدر ما نجده في الصلات السياسية وصلات النضال المشترك على جبهتي الجولان وسيناء ·

العامل الاساسي الذي يمكن أن يبرز عروبة المغرب خاصة أمام المشرق العربي هو تمتين الصلات بين شطري الوطن العربي · والموضوع يجب أن يخرج من نطاق العاطفة ليتبلور في تبادل الانتاج الثقافي والعلمي بين أجزاء الوطن العربي جميعه ·

ولن يتم ذلك الا اذا تخلص المثقفون العرب من عقدة التفوق من جهة ، وعقدة الجهل من جهة اخرى · وهما في الحقيقة عقدة واحدة · ذلك أن الجهل المخيم – في مستوى المثقفين – على الفكر العربي ، الجهل ببعض البلاد العربية يولد حاسة الانطوائية فيشعر الذين يعيشون في اقليم ما بعدم الحاجة الى الاقتراب فكريا من الاقليم الاخر ، وذلك يعمق ظاهرة الجهل · ومن الجهل تنشأ عقدة التفوق · وأحسب أن كثيرا من المثقفين في كثير من البلاد العربية يشعرون بنوع من « الابوة » – وهو ليس غير تعبير عن الشعور بالتفوق – نحو بلاد عربية أخرى · وبذلك تتسع الهوة بين هذا البلد وذاك من الوطن العربي ·

وليس هذا من مصلحة الثقافة العربية في شيء ·

الضرورة الان تدعو الى الخروج من العزلة ، والتحرر من العقد ، واعتناق فكرة الوطن العربي ثقافيا ، والتعرف على كل أجزاء هذا الوطن حتى نؤكد لواقعنا أننا ننشيء ثقافة عربية وفكرا عربيا وأدبا عربيا ، لا ثقافة شامية أو عراقية أو جزيرية أو مصرية أو مغربية أو سودانية ·

ولتكن عروبة المغرب العريقة في التاريخ العربي ، الباب الذي تدخل منها هذه البلاد نادى الوطن العربي ·





قرأت فى تقرير جمركى ان الدول العربية تستورد بالعملات الصعبة فى العام الواحد بما يزيد عن بضعة ملايين من الجنيهات عطورا وروائح ***

ودفعنى هذا الى سياحة فكرية فى عالم التأملات واضغاث الاحلام مرة خامسة *

الى أين نسير، وكيف السبيل الى التعقل فى الانفاق ؟

فى اعتقادى اننا فى حاجة قصوى الى مؤتمر قمة عربى شامل للاتفاق على صورة جدية « للتوحيد القياسى » *

والتوحيد القياسى او المعايرة فى لغة العلم والتكنولوجياهو الاتفاق العرفى العاقل دون ضغط او اكراه او تشريعات فوقية، على انموذج موحد محدد تصنع على غراره الاشياء ، كان نتفق مثلا على ان يكون التيار الكهربائى فى المنازل بقوة قدرها (مائتان وعشرون فولت) فتنتج المصانع كلها المصابيح والتلفازات والمسجلات واجهزة الاستقبال المنزلية بحيث تعمل بذلك التيار (٢٢٠ فولت) واذا شط مصنع او مختبر عن ذلك « التوحيد القياسى » فانتج استنادا الى نص « الحرية الشخصية » مصابيح تعمل بتيار قدره « مائة فولت » او « الف فولت » او ما شاء له مزاجه ان يختار ،فان ذلك سوف يتسبب بالتاكيد فى نوع من الفوضى تشمل حياة الناس بالغم والاضطراب *

وعلى اقطار هذه الامة العربية الواحدة ، ان تقرر صراحة وبكل حرية التعبير وبغير خجل او نفاق او مجاملة هل نحن حقيقة امة واحدة تسعى لمستقبل واحد بحكم ماضى واحد ،رغم حاضر لايسر ،ام ان هذه مجرد شعارات جوفاء للاستهلاك الانى ولا وجود لها فى حنايا الضمائر واعماق القلوب، وان الفقير انما يتقرب بها الى الغنى لينال منه ما يسد حاجة، والغنى يتقدم بها الى الفقير ليحظى شر القيل والقال واعماق الظلام والنسج فى القضاء ؟

١ ـ فالموانى، العربية جميعا تشكو من الزحام وتكدس البضائع، لاننا فى الحقيقة نستورد من مختلف اركان الدنيا الكثير الكثير مما لانموت لو نقص من اسواقنا *

٢ ـ ونحن نشكو من ضعف التعليم وسوء حال نوعية الخريجين، ناسين اننا نخرب بايدينا جامعات لنعمر جامعات اخرى، باستخدام المال بطريقة « غير موحدة قياسيا » فى المرتبات والاجور ، فنحصل على نوع من التعليم التجارى الذى لايغنينا عن الخبرات الاجنبية *

٣ ـ وكل منا ينقل من حيث شاء ، مايشاء من اشكال المبانى والملابس ووسائل العيش واثاث المنازل حتى اوشك الا يكون هنالك مظهر مشترك بين كبريات المدن العربية *

٤ ـ وجميعنا متفقون على قصور وسائل اعلامنا عن دفع كيد العدو وتاكيد محبة الصديق، وارشاد ابنائنا الى الحياة الفاضلة والثقافة الحقة، ومع ذلك، فاننا فى كل اقطارنا نهرول دون اى نوع من « التوحيد القياسى» نحو الاستزادة مما نستنكره قولا *

٥ ـ وكلنا يؤكد الفوضى الفكرية التى نتخبط فيها، فهذا يرى الدين وقفا على شئون ما بعد الموت، ويقول بملء فيه ، سرا ، انه عائق فى طريق التقدم والازدهار وذاك يغمغم ويطمطم مؤكدا نجاسة كل ما تنتجه التكنولوجيا الحديثة ويعتبره رجسا من عمل الشيطان، ولكنه يحيط كل حياته به، وتلك تنادى بالسفور ومحاكاة الغرب فى كل صغيرة وكبيرة وتلك الاخرى تطالب بالحجاب والكمكمة ،والكل متمكن من ان يعلن على الملا عكس ما يضمر ويعتقد تقية او زلفى *

٦ ـ ونشكو من ظاهرة الاسراف فى اللهو والملبس والماكل، وننادى بضرورة المحافظة على المال العام واستثمار المال الخاص فيماينفع البلاد والعباد ،ولكن الجميع يطالبون بالحرية الشخصية وتقييد الاخرين !!

تلك بعض امثال كقطرة ماء من المحيط ، محيط عيوبنا وسلوكياتنا التى تحتاج الى توحيد قياسى عربى **

لا حاجة بنا الان اطلاقا الى وزارة واحدة او علم واحد او قيادة سياسية واحدة او زعامة من المحيط الى الخليج *

انما نحن فى هذه الفترة الغبراء فى حاجة الى ان يدرك كل فرد من « المائة مليون عربى او يزيدون » انه لابد من يحاسب نفسه فيما ينفق مسكنا وماكلا وملبسا وانتقالا ،ولايكون هذا الا بالانصياع الاختيارى الحر القناعي الى وحدة قلوب على « توحيد قياسى » لا حيدة عنه لصلاح هذه الامة ونجاتها *

درويش مصطفى الفار

مؤتمر لم تلتفت إليه الصحافة!



في شهر ديسمبر الماضي انعقد في «عمان» عاصمة الاردن مؤتمر لوزراء الثقافة العرب، ولم نعرف ماذا دار في هذا الاجتماع لان الصحف العربية تجاهلت هذا الاجتماع ولم تنشر عنه الا سطورا قليلة • ذلك لان اجهزة الاعلام العربية وعلى راسها الصحافة مازالت تعتبر « الثقافة » من « الكماليات » التي لا اهمية لها في المجتمع العربي • وكثير من صحفنا للاسف مازالت تعتبر الكتابة عن حياة « راقصة » بالتفصيل اهم من نشر شيء عن مؤتمر لوزراء الثقافة العرب ، ففي حياة الراقصة من الجاذبية والطرافة والاثارة ما لا يملكه هذا المؤتمر الذي ليس فيه الا وزراء يتحدثون عن الثقافة ، اي انه مؤتمر « كلام في كلام » !

الصحافة العربية وسوء التقدير

والحقيقة ان اجهزة الاعلام في الوطن العربي ما تزال تعاني ويعاني معها الراي العام من سوء تقديرها للمهم وغير المهم في الواقع العربي والواقع العالمي على السواء ، فما اكثر ما اهتمت اجهزة الاعلام بقضايا لا اهمية لها وما اكثر ما اهملت قضايا اخرى بالغة الخطورة والاهمية والقيمة •

ومؤتمر وزراء الثقافة العرب نموذج من النماذج ••• فقد كان هذا المؤتمر جديرا باهتمام واسع من اجهزة الاعلام العربية •• وهو الامر الذي لم يحدث للاسف •

ومن هنا لا استطيع ان اتحدث عما تم في المؤتمر حتى اتمكن من قراءة وقائعه ومناقشاته •

الثقافة والدعم الجماعي

ولكنني اود ان اتحدث عن بعض الآمال التي نرجو ان تتحقق في واقعنا الثقافي العربي ،ولا يملك تحقيقها الا وزراء الثقافة ،فالثقافة الان لا يمكن ان تقوم على جهد فردي، لانها لم تعد على الاطلاق سلعة رابحة ،وخاصة اذا كنا نطلب الثقافة بمعناها الجدي الصحيح، لا بالمعنى الذي يقصده كتاب الاثارة الذين يسعون وراء الربح ويتمكنون من الحصول عليه فعلا ولكن بثمن غال من التنازل عن القيم الفكرية والانسانية والاجتماعية •

الغاء الحدود الثقافية

ولكن بماذا يمكن ان نحلم عندما نفكر في اجتماع وزراء الثقافة العرب ؟

ان اهم ما يمكن ان يخطر على البال هو ان الثقافة العربية قد تاثرت بالاوضاع السياسية في الوطن العربي، واعني بذلك ان الحدود السياسية قد خلقت الى جانبها « حدودا ثقافية » فبدلا من ان تكون لنا ثقافة عربية واحدة، اصبحت لنا ثقافات متعددة ـ فهناك ثقافة جزائرية ،وثقافة مصرية، وثقافة خليجية، وثقافة سودانية ••• الخ ولا تكاد الثقافة العربية تحقق وحدتها الصحيحة الا في القليل النادر • وكم اتمنى ان يتخذ وزراء الثقافة العرب قرارات لالغاء الحدود الثقافية تماما ، عن طريق تسهيل حركة الكتاب في العواصم العربية المختلفة • المهم ان ينتقل الكتاب العربي بحرية بين

اجهزة الاعلام العربية مازالت تعتبر الثقافة من الكماليات التي لا اهمية لها في المجتمع العربي

البلاد العربية ، دون ان تعوق حركته جمارك او قيود اقتصادية ،تجعله صعب الوصول الى القارىء العربي خارج الحدود السياسية للكتاب * ولقد كانت القيمة الحضارية الكبرى لبيروت في تاريخنا العربي الحديث هي انها ساعدت على نشر الكتاب العربي في كل مكان ،ولكن بيروت الان تشكو من جرح الحرب الاهلية ،ولن تفيق من هذا الجرح الاليم قبل سنوات عديدة * وغياب بيروت يزيد العبء على وزراء الثقافة العرب فلقد كانت بيروت بديلا لهم *** ولكنها الان تنزف ** شفاها الله *



كتاب لكل العرب

نريد للقارىء العربي ان يكون قارئا عربيا ،لا قارئا مصريا او جزائريا او خليجيا او عراقيا فقط ،نريد للكتاب العربي ان يتحرك بحرية بين الافكار العربية المختلفة ولقد كان الكتاب العربي منذ اربعين او خمسين سنة يتحرك في البلاد العربية بسهولة اكثر رغم ان وسائل المواصلات قد تقدمت الان عشرات المرات مما كانت عليه في الجيل السابق ومع ذلك فقد كان طه حسين والعقاد والمازني وزكي مبارك والزهاوي والرصافي وغيرهم كتابا وشعراء لكل العرب في جميع الافكار لا لبعض العرب في حدود ضيقة * ما الذى اختلف بين الماضي والحاضر * الذى اختلف هو ان قيود انتقال الكتاب العربي من مكان الى مكان قد زادت وتعددت وان حماس الذين يعملون بنشر الكتاب قد « قل » عما كان عليه في الماضي والحاضر * الذى اختلف هو ان يتدخل في امره وزراء الثقافة العرب ويحطموا الاغلال ويجعلوا من الكاتب العربي كاتبا لكل العرب لا لبعض العرب *

مركز عربي للمخطوطات

هذا الحلم بتحرير الكتاب العربي من قيود الحركة يتصل به حلم كبير آخر هو الحلم بانشاء مركز عربي للمخطوطات والتراث العربي * فمثل هذا المركز يمكن ان يساعدنا على جمع شتات التراث العربي المبدد في انحاء العالم ،وذلك عن طريق الاساليب الحديثة مثل « الميكروفيلم » وما الى ذلك من الاساليب العلمية * وقد يكلفنا هذا المركز بعض المال ولكننا نشترى ماضينا العربي المزدهر بمليون جنيه او اكثر من مليون * فهل ترفض امة حية ان تشترى ماضيها كله ببضعة ملايين من الجنيهات * ان اى مبلغ يدفعه العرب في جمع تراثهم هو مبلغ زهيد جدا اذا ما قورن بالنتيجة التي سوف نصل اليها *

ماضي العرب كله ، مجسدا في الاف المخطوطات المبعثرة في شتى مكتبات العالم ببضعة ملايين من الجنيهات ** « يا بلاش » كما نقول في اللهجة العامية المصرية *

والغريب ان العالم كله يجرى وراء هذه المخطوطات ويدفع فيها الملايين راضيا بذلك كل الرضا ، فالالمان والامريكان والانجليز والفرنسيون والروس يبحثون عن المخطوطات العربية، ويقيمون مراكز هامةجدا لدراساتها في جامعاتهم المختلفة، فلا توجد جامعةكبرى في بلاد العالم اليوم ليس بها قسم للدراسات العربية *

والاعجب من ذلك انه حتى الجامعة العبرية في اسرائيل قد انشات قسما هاما للدراسات العربية وانها تبذل جهدا ومالا في البحث عن المخطوطات العربية ودراستها * ذلك لانهم يريدون ان يفهموا العرب فهما صحيحا *** اما العرب انفسهم فيقصرون اشد التقصير في شان تراثهم وحماية هذا التراث *

نريد للقارىء العربي ان يكون قارئا عربيا ونريد للكتاب العربي ان يتحرك بحرية بين الافكار العربيه المختلفة

أدباء ومواقف

مركز للترجمة

العلم الثالث الكبير الذى اتمنى ان يحققه وزراء الثقافة العرب هو اقامة مركز عربى ضخم للترجمة، يجند له الآلاف من شبابنا الذين يعرفون شتى لغات العالم لكى يقدموا الى العقل العربى المعاصر اهم ثمار الفكر العالمى اولا باول ••• ان مثل هذا المركز يستطيع ان يرفع الثقافة العربية خلال جيل او جيلين الى صف الثقافات العالمية المعاصرة حتى تعود الى اداء دورها الذى كانت تؤديه يوم ان كانت هى اعظم ثقافة فى العالم كله•

مشروعات ثقافية

هذه هى الاحلام التى اتمنى ان يحققهـا وزراء الثقافة العرب مشتركين ••• لانها احلام كبرى لا تتحقق بوزير ثقافة واحـد ولا بوزارة ثقافة واحدة •

ولقد كانت هناك مشروعات عديدة بدأت فى بلادنا خلال نصف القرن الاخير ولكنها لم تكتمل وكلها مشروعات ممتازة تهدف الى نقل الاعمال الكبرى من الفكر العـالمى الى اللغة العربية، ومن هذه المشروعات مشروع « الروائع المائة » الذى بـدأه الدكتور عبد الرحمن بدوى وترجم فيه « اسفار تشايلد هارولد » لبيرون و «الانساب المختارة» لجيته ،ومن هذه المشروعات ايضا مشروع « الالف كتاب » الذى بدأته وزارة المعارف فى مصر بعد ١٩٥٢ ولكنه لم يستمر بعد ان قدم عددا من الروائع الادبية والفكرية، وهناك مشروع « عيون الفكر الغربى » الذى بدأته لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر ايضا ولكنه لم يكتمل •



اليست هذه المشروعات جميعا جديرة بان ننظر فيها ،ونستفيد من فكرتها ونعيدها الى الحياة ، بعد ان نزيل ما ظهر امامها من عقبات، واغلبها عقبات اقتصادية ؟ ••• ان مثل هذه المشروعات الممتازة تحتاج الى من ينفض عنها الغبار ،وينطلق بها حتى يفتح امام العقل العربى آفاقا جديدة يتحرك فيه وينطلق منه •



بانتهاء عام ١٩٧٦ يكون قد مر خمسـون عاما على ظهور كتاب « الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين، فقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٢٦ ،واثار عند صدوره زوبعة فى الفكر العربى لم يثرها كتاب آخر فى العصر الحديث •

لولا هذا الكتاب

وقد كنت اتمنى ان يحتفل المثقفون العرب فى كل مكان بالذكرى الخمسين لصدور هذا الكتاب ••• كنت اتمنى ان يحتفلوا بالعقل الحر الجرىء الذى كان طه حسين يمثله عندما قدم هذا الكتاب فى محاضرات الى طلابه فى جامعة القاهرة، ثم قدمه بعد ذلك فى كتاب الى القراء • وكنت اتمنى ان تحتفل الجامعات العربية نفسها فى كل مكان بهذا الكتاب، فلولا هذا الكتاب لظلت المناهج فى كـافة الجامعات العربية مناهج مغلقة لا تأتيها رياح

أدباء ومواقف

مركز للترجمة

العلم الثالث الكبير الذى اتمنى ان يحققه وزراء الثقافة العرب هو اقامة مركز عربى ضخم للترجمة، يجند له الآف من شبابنا الذين يعرفون شتى لغات العالم لكى يقدموا الى العقل العربى المعاصر اهم ثمار الفكر العالمى اولا باول ... ان مثل هذا المركز يستطيع ان يرفع الثقافة العربية خلال جيل او جيلين الى صف الثقافات العالمية المعاصرة حتى تعود الى اداء دورها الذى كانت تؤديه يوم ان كانت هى اعظم ثقافة فى العالم كله.

مشروعات ثقافية

هذه هى الاحلام التى اتمنى ان يحققهـا وزراء الثقافة العرب مشتركين ... لانها احلام كبرى لا تتحقق بوزير ثقافة واحـد ولا بوزارة ثقافة واحدة .

ولقد كانت هناك مشروعات عديدة بدات فى بلادنا خلال نصف القرن الاخير ولكنها لم تكتمل وكلها مشروعات ممتازة تهدف الى نقل الاعمال الكبرى من الفكر العـالمى الى اللغة العربية، ومن هذه المشروعات مشروع « الروائع المائة » الذى بـداه الدكتور عبد الرحمن بدوى وترجم فيه « اسفار تشايلد هارولد » لبيرون و «الانساب المختارة» لجيته ،ومن هذه المشروعات ايضا مشروع « الالف كتاب » الذى بداته وزارة المعارف فى مصر بعد ١٩٥٢ ولكنه لم يستمر بعد ان قدم عددا من الروائع الادبية والفكرية، وهناك مشروع « عيون الفكـر الغربى » الذى بداته لجنة التاليف والترجمة والنشر فى مصر ايضا ولكنه لم يكتمل .



اليست هذه المشروعات جميعا جديرة بان ننظر فيها ،ونستفيد من فكرتها ونعيدها الى الحياة ، بعد ان نزيل ما ظهر امامها من عقبات، واغلبها عقبات اقتصادية ؟ ... ان مثل هذه المشروعات الممتازة تحتاج الى من ينفض عنها الغبار ،وينطلق بها حتى يفتح امام العقل العربى آفاقا جديدة يتحرك فيه وينطلق منه .



بانتهاء عام ١٩٧٦ يكون قد مر خمســون عاما على ظهور كتاب « الشعر الجاهلى » للدكتور طه حسين، فقد صدر هذا الكتاب سنة ١٩٢٦ ،واثار عند صدوره زوبعة فى الفكر العربى لم يثرها كتاب آخر فى العصر الحديث .

لولا هذا الكتاب

وقد كنت اتمنى ان يحتفل المثقفون العرب فى كل مكان بالذكرى الخمسين لصدور هذا الكتاب ... كنت اتمنى ان يحتفلوا بالعقل الحر الجرئ، الذى كان طه حسين يمثله عندما قدم هذا الكتاب فى محاضرات الى طلابه فى جامعة القاهرة، ثم قدمه بعد ذلك فى كتاب الى القراء . وكنت اتمنى ان تحتفل الجامعات العربية نفسها فى كل مكان بهذا الكتاب، فلولا هذا الكتاب لظلت المناهج فى كـافة الجامعات العربية مناهج مغلقة لا تاتيها رياح

الفكر العصرى من اى مكان على الاطلاق، فقد كان ظهور هذا الكتاب اعلانا بميلاد الجامعات العربية بمعناها الحديث، ذلك المعنى الذى يمجد العقل ويحترمه ويستوحيه ولا يخشى فى حضرته اى شىء سواه •

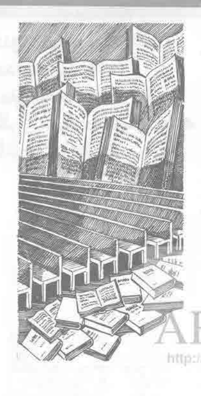
المنهج العلمى والاشباح

ان كتاب « الشعر الجاهلى» نفسه ملىء بالاخطاء كما اعترف بذلك طه حسين بعد ذلك حينما اعاد صياغة الكتاب وحذف منه ما احس بخطئه، ولكن اهمية الكتاب لاتعود الى ما فيه من معلومات وانما تعود الى منهج الكتاب نفسه، ذلك المنهج الذى يعتمد اساسا على العقل، ويــــزيل من النفس، امام الباحثين ـ كل اسباب الخوف من الاشباح القديمة، تلك الاشباح التى ظهرت فى عصور التخلف العربى، واستمرت مع الايام حتى وصلت معنا الى طلائع العصر الحديث، ولقد كانت هذه الاشباح تسلب الباحث شخصيته، وتجعله خائفا مرتعدا امام ما تقتمه الكتب الصفراء القديمة من افكار، ســواء كانت هذه الافكار صحيحة او خاطئة .وكانت هذه الاشباح تعترض أشد الاعتراض على من يحاول التجديد او « يرتكب » المخالفة لما استقر عليه راى الاقدمين فى كل شىء ، وقد اشتدت هذه الاشباح فى قسوتها على العقل العربى حتى حرمته من سائر العلوم العصرية .وكانت ترى فى تدريس الفلسفة خروجا على الوقار ومخالفة للعقائد الصحيحة، فضلا عما كانت تراه فى تدريس الحساب والجبر والكيمياء والطب، فقد كانت هذه العلـــوم كلها من المحرمات • وقد كان هؤلاء الذين يسدون النوافذ على العقل العربى يعتمدون على ادعاء كاذب لا اساس له وهو ان تراثنا لا يسمح بذلك • على الرغم من ان التراث العــربى الاسلامى ملىء بالانجازات العقلية الكبيرة، وملىء بالجهود العلمية التى اثارت اعجــاب الدنيا كلها والتى كان رائدها شىء واحد هو اكتشاف العالم والمجتمع والطبيعة .ولم تكن « العقيدة الاسلامية » عائقة من قريب او من بعيد لكل هذه الجهود الكبيرة بل على العكس كانت على الدوام حافزا من الحوافز الاساسية ـ عند المسلمين ـ للبحث والتفكير، ذلك لان العقيدة الاسلامية ليس فيها «خبايا واسرار» يحق للبعض ان يخفوها ويحرصوا عليها حتى لا تصل اليها العقول، ••• ان العقيـــدة الاسلامية تعتمد فى جوهرها على المنطق والعقل وتقديم الدليل والبرهان على كل شىء .وكلما تقدم العلم وتقدمت الانجازات الفكرية كان فى ذلك تثبيتا لعقيدة المسلم وليس زعزعة لهذه العقيدة على الاطلاق •



المفاهيم الحديثة

ولكن عصور التخلف الــذى اصابنا بعد الازدهار العقلى والحضارى وضعت العقــل العربى فى قبضة الاشباح فتعطلت مسيرته العظيمة قرونا متصلة .وعندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر فى اواخر القرن الثامن عشر وقف علماء مصر مذهولين امام ما صحب هذه الحملة من مظاهر التقدم العلمى، وقد ظنوا ان هذه المظاهر جميعا ما هى الا نوع من السحر لا نقوى على فهمه ومعرفته، وان هؤلاء الفرنسيين هم « جنس » جديد من اجناس البشرية، بل لعلهم نوع من «الجن» ظهر على سطح الارض، ولذلك فان البشر لا يستطيعون مواجهة هؤلاء القادمين من حيث لا يدرك العقل ولا يستطيع الفهم او التعليل • ولكن بعض العلماء المصريين خرجوا على هذا المنطق ولم يقفوا مندهشين امـــام ما صحب الحملة الفرنسية من علم وتقدم، بل حاولوا ان يفهموا .واستطاعوا بالفعل ان يضعوا يدهم على بعض المفاتيح التى تفسر لهم تقدم الفرنسيين • من هؤلاء العلماء الشيخ حسن العطار والشيخ عبد الرحمن الجبرتى • لقد ادرك هذان العالمان الكبيران ان ما ينقصنا



العقيدة الاسلامية تعتمد في جوهرها على المنطق والعقل وتقديم الدليل والبرهان

كان مصباح الطهطاوي أحد مصابيح الغاز المتواضعة التي أضاءت القرن التاسع عشر كله بالنسبة العرب

هو ان نحرر عقلنا من كل قيد ،وان تنطلق فى عالم المرفة بلا خوف ولا تحفظ • ولكن صوت العطار والجبرتى كان ضـــائعا بين الاصوات الكثيرة الاخرى التى وقفت امام الفرنسيين فى دهشة من لا يملك القدرة على الفهم والتفسير •

وذهب الفرنسيون من مصر وجاء محمد على وفى عصره ظهر رفاعة الطهطاوى الذى ظل يعمل فى صبر لا مثيل له على اضاءة مصباح المعارف العصرية فى ظلام الفكر المصرى، وكان مصباح الطهطاوى احد مصابيح الغاز المتواضعة ،ولكن هذا المصباح الغازى البسيط هو الذى اضاء القرن التاسع عشر كلـــه بالنسبة للعرب •

نحو عصر جديد

وظل الامر كله بحاجة الى صرخة مـــدوية تنتقل الى عصر جديد لا يعرف فيه العقل خوفا ولا ترددا ولا اذعانا للجمود والتقليد الاعمى، وجاءت هذه الصرخة من طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى ». فقد ايقظ هذا الكتاب كل العقول النائمة ،ونبه الغافلين الى ان الدنيا لايمكن ان تستمر بما كان العقل العربى يحس به من الرضا بكل شيء والاحساس السحرى بانه « ليس فى الامكان ابدع مما كان » • ايقظ الكتاب الذين جعلوا من الفكر العربى جزيرة معزولة لا صلة لها بما حولها لانها محمية بالمياه العازلة من كل جانب • وبسبب هذه الصرخة التى دوت فى حياتنا العقلية بظهور كتـــاب «الشعر الجاهلى» تعرض طه حسين لهجوم حاد عنيف، وتعرض للاتهام بالالحاد والزندقة ،وتعرض للمحاكمة القانونية ،وتعرض للطرد من عمله وظلت لعنة الكتاب تطارده سنوات طويلة بعـــد صدوره •••

وبقي طه حسين

ومع ذلك فقد بقى طه حسين وبقيت صرخته من اجل ايقاظ العقل العربى، بينما ذهب الكثيرون ممن حاربوه الى عالم النسيان، بل ان الوزير الذى طرد طه حسين من الجامعة تحت ستار الدفاع عن عقائد الشباب وحمايتهم من الفساد الفكرى الذى يمثله طه حسين، هذا الوزير ،واسمه حلمى عيسى « باشا » لا يذكره احد اليوم، ولا يعرف الناس عنه شيئا ••• لقد انطوت صفحته وانتهت،وبقى الفكر الحقيقى ساطعا •• بل لقد ازداد نوره مع الايام تاثيرا وقوة •



تمنيت لو اننا احتفلنا بالذكرى الخمسين لصدور كتاب «الشعر الجاهلى» ••• ولكن الذكرى مرت دون ان يتنبه اليها احد ••• على ان ذلك لا يمنعنا من ان نقول اليوم ونحن مطمئنون ان ما وصل اليه الفكر العربى من تطور خلال نصف قرن من الزمان مدين فى كثير منه لما فى هذا الكتاب الصغير من جراة عقلية كنا باشد الحاجه اليها حتى نخرج من عصور الظلام الى نور الحضارة •



اصبحت اسعار الكتب العربية والاجنبية باهظة الى ابعد الحدود ،واصبح من المألوف الان ان يكون الكتاب الصغير بجنيهين والكتاب المتوسط بخمسة والكتاب الكبـــير بعشرة

كان مصباح الطهطاوي أحد مصابيح الغاز المتواضعة التي أضاءت القرن التاسع عشر كله بالنسبة للعرب

هو ان نحرر عقلنا من كل قيد ،وان ننطلق في عالم المعرفة بلا خوف ولا تحفظ • ولكن صوت العطار والجبرتي كان ضـــائعاً بين الاصوات الكثيرة الاخرى التي وقفت امام الفرنسيين في دهشة من لا يملك القدرة على الفهم والتفسير •

وذهب الفرنسيون من مصر وجاء محمد علي وفي عصره ظهر رفاعة الطهطاوي الذي ظل يعمل في صبر لا مثيل له على اضاءة مصباح المعارف العصرية في ظلام الفكر العربي، وكان مصباح الطهطاوي احد مصابيح الغاز المتواضعة ،ولكن هذا المصباح الغازي البسيط هو الذي اضاء القرن التاسع عشر كلـــه بالنسبة للعرب •

نحو عصر جديد

وظل الامر كله بحاجة الى صرخة مـــدوية تنتقل الى عصر جديد لا يعرف فيه العقل خوفا ولا ترددا ولا اذعانا للجمود والتقليد الاعمى، وجاءت هذه الصرخة من طه حسين في كتابه « الشعر الجاهلي »، فقد ايقظ هذا الكتاب كل العقول النائمة ،ونبه الغافلين الى ان الدنيا لايمكن ان تستمر بما كان العقل العربي يحسه من الرضا بكل شيء والاحساس السحري بانه « ليس في الامكان ابدع مما كان » • ايقظ الكتاب الذين جعلوا من الفكر العربي جزيرة معزولة لا صلة لها بما حولها لانها محمية بالمياه العازلة من كل جانب • وبسبب هذه الصرخة التي دوت في حياتنا العقلية بظهور كتـــاب «الشعر الجاهلي» تعرض طه حسين لهجوم حاد عنيف، وتعرض للاتهام بالالحاد والزندقة ،وتعرض للمحاكمة القانونية ،وتعرض للطرد من عمله وظلت لعنة الكتاب تطارده سنوات طويلة بعـــد صدوره •••

وبقي طه حسين

ومع ذلك فقد بقي طه حسين وبقيت صرخته من اجل ايقاظ العقل العربي، بينما ذهب الكثيرون ممن حاربوه الى عالم النسيان، بل ان الوزير الذي طرد طه حسين من الجامعة تحت ستار الدفاع عن عقائد الشباب وحمايتهم من الفساد الفكري الذي يمثله طه حسين، هذا الوزير ،واسمه حلمي عيسى « باشا » لا يذكره احد اليوم، ولا يعرف الناس عنه شيئا ••• لقد انطوت صفحته وانتهت،وبقي الفكر الحقيقي ساطعا •• بل لقد ازداد نوره مع الايام تاثيرا وقوة •



تمنيت لو اننا احتفلنا بالذكرى الخمسين لصدور كتاب «الشعر الجاهلي» ••• ولكن الذكرى مرت دون ان يتنبه اليها احد ••• على ان ذلك لا يمنعنا من ان نقول اليوم ونحن مطمئنون ان ما وصل اليه الفكر العربي من تطور خلال نصف قرن من الزمان مدين في كثير منه لما في هذا الكتاب الصغير من جراة عقلية كنا باشد الحاجه اليها حتى نخرج من عصور الظلام الى نور الحضارة •



اصبحت اسعار الكتب العربيه والاجنبية باهظة الى ابعد الحدود ،واصبح من المالوف الان ان يكون الكتاب الصغير بجنيهين والكتاب المتوسط بخمسة والكتاب الكبـــير بعشرة



جنيهات * وهذه الاسعار الفادحة ليس لها سوى معنى واحد هو ان عصر القراءة سوف يتوقف وينتهي في لحظة من اللحظات * ان المواطنين ذوى الدخول المتوسطة او حتى الدخول التي تفوق المتوسط سوف يجدون بمرور الوقت صعوبة بالغة في اقتناء الكتب. واذا اضفنا الى ذلك ان الكتاب نفسه هو كائن حى يحتاج الى «مسكن» مثله مثل بقية الكائنات فاننا ندرك ان الكتاب يتعرض لمستقبل شديد الصعوبة والقسوة مع ازدياد ازمة المساكن وخاصة في البلاد العربية * فالانسان لا يجد الان مسكنا لنفسه بسهولة * فكيف يمكن ان نتصور ان الناس يستطيعون تخصيص مكان مستقل للمكتبة في بيوتهم *

ازمة الكتاب العربى

ان المتعلمين في البلاد العربية يزدادون يوما بعد يوم من حيث الكثرة العددية * وقد كان من المنتظر ان يؤدى ذلك الى ازدهار الكتاب العربي ازدهارا كبيرا ،ولكن الذى يحدث الان هو العكس، فالكتاب العربي يمر بازمة كبيرة ،وان كثيرا من دور النشر اصبحت تحجم عن نشر الكتب، لان القارئ نفسه يتردد اشد التردد في شراء الكتب بسبب اسعارها المرتفعة * وما لم نحاول علاج هذا الامر على المستوى العربي كله فسوف يأتى يوم تصبح فيه «القراءة» عادة حضارية منقرضة ،وسوف يكتفى الناس بالاستماع الى الاذاعات ومشاهدة السينما والتلفزيون ** وفي هذا الاتجاه اكبر الخطر على التفكير والشخصية الانسانية ،فالقراءة هي المصدر الاول والاكبر للثقافة الحقيقية، وهي الاساس الذى يقوم عليه بناء الشخصية الانسانية المتطورة *

نكسة حضارية

وقد تحدث الاديب الفرنسي الكبير «جورج ديهامل» في كتابه «دفاع عن الادب» عن الازمة التى يتعرض لها «الكتاب» في الحضارة الحديثة *** في مواجهة الاذاعة والسينما وكان راى «ديهامل» ان انتهاء «عصر القراءة» لو حدث ذلك فانه سوف يمثل نكسة كبرى في حضارة الانسان * ولكن ديهامل ـ والذى [illegible] كتابه منذ خمسين سنة تقريبا ـ لم يكن يتصور ان المشكلة سوف تكون مشكلة اقتصادية *** لقد كان الصراع الذى يعانيه الكتاب من وجهة نظره هو صراعه مع الاجهزة الحديثة التى تستطيع تبسيط الثقافه وتقديمها بشكل ممتع وسهل *** مثل : السينما والاذاعة *

اما المشكلة الاقتصاديه فهى مشكلة جديدة، واظن انها مشكلة ظاهرة جدا في الوطن العربى اكثر من ظهورها في اى جزء آخر من العالم *** ان اسعار الكتب العربية اصبحت فوق مستوى القدرة الاقتصادية للقارئ العربى *

الحل رفع الجمارك

والحل في رأيى هو رفع الجمارك عن الكتاب العربى عندما ينتقل من مكان الى مكان في الوطن العربى *** كما اشرت في حديثى عن مؤتمر وزراء الثقافة العرب *

والحل الثانى هو ان تتخذ الحكومات العربية قرارا واحدا باعتبار الثقافة خدمة كالصحة والتعليم ،وان تقدم هذه الحكومات تدعيما حقيقيا «للورق» الذى يعتمد عليه الكتاب و «للمطابع» التى تقوم بطبع الكتاب وتقديمه الى القارئ *

وبغير هذا فنحن مهددون بانتهاء عصر القراءة *

وياويلنا بعد ذلك من عصر جديد لا يعرف فيه الناس معنى للتأمل والتفكير في صمت وهدوء *

ياويلنا من عصر لا يعرف فيه الناس سوى الكلام بصوت مرتفع ***

ياويلنا من عصر التلفزيون

الكتاب يتعرض لمستقبل قاتم

حتى لا تصبح القراءة عادة حضارية منقرضة

محمد الشوفاني

العقل في مواجهة الواقع العربي

اشكالية الواقع العربي :

تمثل الحياة في المجتمع العربي ، في الواقع العربي اشكالية مستعصية للعقل العربي ، وسنرى فيما بعد احدى الاجتهادات الفلسفية لتنظير هذه الاشكالية ، **واحاطتها باطر مفهومة تستوعب متناقضاتها ، وتكون هذه الاطر من جنس الواقع العربي وان طمحت الى الشمول الانساني ·**

لكن قبل ان نقدم هذا الاجتهاد الفلسفي ، نقوم بجولة عقلية داخل جلدنا ، وفي باطن حياتنا ، حول ما يتصارع فيها من متناقضات · فما هي صورة الانسان في الحياة العربية ، بل ما معنى الحياة اجمالا بالنسبة للانسان العربي ؟ وما هي قيمتها ؟؟

لا يمكن فهم حياة الانسان العربي ، معناها وقيمتها ، منعزلة ومحايدة عن معاناته اليومية التي يعيشها ، ذلك لان طرح السؤال حول معنى الحياة ، مشكلة لم تعد مجرد مصدر للذة عقلية يقوم بها المفكرون ، وانما هي مرتبطة اليوم بوجود واقعي ، تطرح سلبياته نفسها على كل انسان يجاهد من اجل كسب عيشه بكده ، وتطرح المشكلة نفسها بالحاح اكبر عندما يفتقد الانسان التمييز الواضح لمحتوي ومضامين الحياة التي تنسج تعقيداتها بيئته ، ويؤلف بنيانها مجتمعة ·

كل متامل في حياة الانسان العربي ، بغية استخلاص الحقيقة او الحقائق التي تحيط به وتسنده وتوجهه الا ويصده الارتباك والارتياب ، فالانسان العربي حاليا يعيش حالة انفصام تشير الى ان العلاقات التقليدية الفردية والمجتمعية لم تعد في مستوى الشروط التي خلقها تقدم الحياة وتطورها ·

وكل فكر يحاول الخوض في هذا المشكل يجد نفسه في موقف حرج ، فالعالم الخارجي ينأي عن الفكر بسبب التعقيد المستحيل في خلفياته ، والفكر وهو يحاول الانطواء على نفسه ، يرتد على فراغ داخلي ، فراغ روحي ·

افتقاد قيم ثابتة :

ان العصب الحي لمعضلة الحياة العربية تتمثل في افتقاد قيم ثابتة تتأسس عليها حياة الانسان العربي ، قيم رائدة يتم بفضلها التصالح بين عالم الباطن والعالم الخارجي ، وتكون هي النبراس الذي يهتدي به الانسان آمنا ومطمئنا لحل العديد من العقد التي تعج بها واقع الحياة اليومية ·

كيف يمكن ادراك هذا الهدف ؟ كيف يمكن تأسيس تماسك بين الذات والعالم وبين جميع فئات المجتمع العربي ، وكل ما في الواقع العربي يسعى الى تحطيم هذا التماسك ؟ انه بقدر ما تظهر اهمية السؤال بقدر ما نزداد شكا وارتيابا ، والشك يدفع الى النفي والرفض ، فما يطبع عصرنا الحاضر هو وضع اللايقين، والبحث المستمر عن قرار ، ويبرر قيام هذا الوضع ، نقولها مرة اخرى ، غياب مركز مستقطب جاذب ، يلم الشتات ، ويضم الكثرة في وحدة ·

ودون الدخول مرة اخرى في تشعبات العقل العربي ومنعرجاته ، يمكن اختصار اصناف التفكير العربي المعاصر الى صنفين كبيرين · صنف يعتمد على الدين وعلى صورة مثالية للمجتمع والحضارة ، يلحق الوجود المادي بالحياة الروحية ، ويعتبر كل ما يتحقق في الحياة ولا يخدم المبادىء الروحية انما هو فائض لا ضرورة له ، ويقابل هذه النظرة الى الحياة المتلبسة بلباس الروح ، نظرة اخرى تربط الواقع بكل تفاصيله بالوجود الحسي المادي وتعتبر كل موقف خارج الحدود المادية زيغا في الفراغ ·

موقفان :

موقفان يتجاذبان اطراف الانسان العربي في اتجاهات متضاربة ، فتتبع نشأته المثالية بالفطرة موقف الروح ، وتتبعه جهوده الحياتية ومصالحه العينية ·

موقف المادة . ويسهل الامر ظاهريا بالنسبة للفـــرد العربي الذي يلتزم احد الموقفين ، لانه يحمي نفســـه بذلك من اضطراب الفكر . ولكن واقع الامر ليس بهذه السهولة . فسرعان مايقنع هذا المرء نفسه بان اتبـاع الطريق الواحدة ليس كله صوابا ، مما يحتم محـاولة التوفيق بين الموقفين ، ولكن التوفيق مهمـة صـعبة ، نظرا لـــا يداخل كل موقف من خلفيات ، وما يلزم عنه من التزامات ترسبت عبر تاريخ طويل .

هذه صورة جزئية من صور التناقض في الواقـــع العربي ، ولو كان الامر كله موقوفا على اختيـــــار طريق من الطريقين لانتهى كل اشكال بعد الاختيـــــار مباشرة ، ولكن الزيف والكذب والنفاق تستبطىء الحياة العربية في كل موقع وموقف ، والنتيجة ضياع عــلى ارض الواقع ، وضياع في موقع الروح .

الانسان العربي محروم في هذا العصر ـ وفي كل عصر اذا راجعنا التاريخ دون اغترار بالذات ـ مــن الشعور بالبهجة التلقائية ومن الشعور بالثقة في النفس وفي الحياة ، رغم كل ما يحيط به من مظاهر التقــدم واكتشافات العلوم ـ والسؤال حول موقعه في هـــذا الكون باطن فيكل ذات ، والسبب عدم وضوح الرؤيا ، وعدم وضوح الهدف .

الانسان اليوم ، وفي كل مكان ، يجاهد لاكتســـاب وجود تسنده قيم ، او للمحافظة على هذا الوجود الذي الذي تسنده القيم ، وهو قد يهجر هذا المطلب لبعـــض الوقت ، ولكن التخلي عنه اطلاقا امر صعب ، فالحاجة الى القيم الروحية والمثالية خاصة ، تفرض نفســـها مهما اهملت .

والمشكل بالنسبة للانسان ، وبالنسبة للانســـــان العربي خاصة كامن في غياب وضع واضح ومحدد ، فالواقع تعوزه ارضية ثابتة ، ويتشكل حسب التاويلات المختلفة والتصورات المتضاربة . تختلف وجهات النظر في الحياة العربية عن الضروري والكمالي ، وعــن الثمين والتافه ، وعن النافع والضار باختلاف العقـول التي تعمل في هذا الواقع ، وتبعا لاختلاف مواقـــع النظر تختلف الحياة العربية نفسها . ومن الواضـــح ان هذا الانفصال بين الفكر والواقع لا يمكن تجـاوزه الا بجهدين : جهد مصالحة المفاهيم في صيغة تلائـم الواقـع العـربي ، وجهد لصراع الغيور المخلص مـن اجل حياة اكثر عمقا وامتلاء وثراء انسانيا ، تتلافى التناقضات والاعتراضات .

ان الجهدين يتكاملان وهما يفعلان في الحيــــاة العربية منذ حين ، ولا ادل على ذلك من اننا قطعنـــا مراحل لا باس بها في درجات الوعي بانفسنا وبمـــا حولنا في الوقت الراهن .

الحبابي : حل مقترح :

يصعب في هذا المقام رسم صورة محددة المعـالم للعقل العربي وهو يعمل لمعالجة قضايا الواقع العربي ، واذا نظرنا الى العقل المغربي باعتباره جزءا من العقـل العربي فاننا نجده يسير بخطى وئيدة ، لكنها ثابتـــة في طريق الاكتمال والالتحام بواقع الانسان العربي ، وباستثناء نماذج التعبير الادبي التي قطعت اشـــواطا لا باس بها نحو مراحل النضج النهائية في التعبير عن مظاهر حياة الانسان المغربي ، وباستثناء جراة الفنون التشيكلية المغربية في اقتحام آفاق فسيحة من الابداع بواسطة الخيال ، فان الفكر المغربي في مظهره المحض، اي الفكر الفلسفي الرائد ، قد ظهر وتبلور بدون منازع عند الاستاذ العميد محمد عزيز الحبـــابي منـــذ الخمسينيات ، وتعبر اثاره الفكرية والفلسفية خاصـــة عن هذا الوجود والتبلور ، ومنها مؤلفاته « من الكائن الى الشخص » و « من المنغلق الى المنفتح » و « حريات ام تحـــرر ؟ » و « تأملات في اللغو واللغة » وغيرها .

وبعد الاستاذ الحبابي ، امتد الفكر الفلسفي على يد مفكرين مغاربة نذكر من بينهم باطمئنـــــان الاستاذين محمد عابد الجابري ، وعبد الله العروي ، نظـــــرا لحضورهما الفلسفي الحي في الساحة الفكـــــرية

حياة الانسان العربي يشوبها الارتباك والارتياب

●●●

لا بد من قيم رائدة يتصالح حولها عالم الباطن والعالم الخارجي

●●●

(الحبابي) فيلسوف مغربي ينادي ببناء عقلية جديدة

بالمغرب ·

والان نطرح السؤال : ما هي خلاصة الاجتهادات الفلسفية التي قدمها الحبابي لتنظير الواقع المغربي والعربي من موقعه الثقافي الخاص ؟ او ما هي اشكالية الحبابي الفلسفية والتي تستبطن جميع جوانب فكره ، وتشكل العمود الفقري لجميع اهتماماته العقلية ؟

ان القراءة المتانية لنتاج هذا الفيلسوف تبرز مجموعة من الحقائق · هناك في البداية تحول مفهوم الفلسفة مع الحبابي الى نوع النقد لوضع الانسان ، وربطها بمشاكل الواقع ، وبقضية الحضارة · يقول في كتابه « من الحريات الى التحرر » (ص ٢٠٥) : ان كل مذهب فلسفي يفقد حاليته ووقتيته لفائدة خلود اصطناعي ، اي لفائدة اللازمنية الموجودة في الكتب ، لذهب محكوم عليه ان ينحل ويصير فلسفة مدرسية جامدة · ومهمة الفيلسوف عند الحبابي هي ان يعكس حقيقة الوضع التاريخي الذي يعيشه ، لان المفاهيم الفلسفية تتغير عبر التاريخ ، وتبقى الفلسفة على هامش الحياة اذا هي لم تنخرط في معركة الفكر والفعل المزامنة ، فهذه الحركة وحدها هي مجال التحرر ·

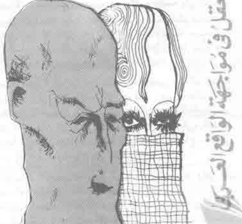
ويقول الفيلسوف في مكان اخر : « ان متطلبات عالم الغد الايديولوجية لا تكمن في تخطيط ديالكتيك ، ونظرية ، وانما تكمن في بناء عقلية جديدة » · وهو يرى أن وظيفة فلسفة المستقبل هي القيام بثلاث مهام نوجزها للقارىء فيما يلي :

١ ـ استعمال الشك كمنهج لرفض كل نزعة وثوقية ، سواء في العلوم الطبيعية او في العلوم الانسانية ، مع توحيد النظرة الى الاحداث والاشياء ·

٢ ـ قطع علاقاتها بكل تأمل محض والنزول الى ارض الواقع والانعكاف على قضايا الانسان دون اهمال لا للعلوم الحديثة ، ولا للدين مرتبطا بالحكمة من ناحية ، وبالتقدم من ناحية اخرى ·

٣ ـ والمهمة الثالثة لفلسفة المستقبل هي استهدافها للتضامن الكوني ، عن طريق التواصل الانساني ، معتمدة على تأمل واستجلاء للتاريخ باعتباره جهدا لتفسير فعالية الانسان وصيرورته ·

لقد لحق مفهوم الفلسفة تغيير جذري عند الحبابي ، يتمثل في ربطها بمستقبل الحضارة وبمستقبل الانسان والمصير الانساني ·



هكذا اصبحت الفلسفة تاملا وفعلا للانسان في الوجود ، في واقعه وحضارته تستوعب كل نشاطات الانسان ، بما فيها النشاط السياسي والاخلاقي والديني ، وفيها تركز وحدة الاشكالية البشرية · فلا يمكن اصلاح احتمع من الناحية السياسية او الاخلاقية فحسب ، وانما كل نشاط يحدد الاخر ، وعوامل التركيب الحضاري شارطة ومشروطة ، متداخلة ومتشابكة ·

لا تنحصر اشكالية الحبابي في البحث عن القيم الانسانية الجديدة التي تلائم تطور الحضارة البشرية فحسب ، وانما تمتد للبحث عن ماهية شمولية للانسان ، وماهية الانسان المشتركة رغم اختلاف الواقع ، ليست سوى مجموع الفعاليات التاريخية التي تسمح له بتحقيق ذاته بحرية واختيار ، لا يعوقه في ذلك استلاب من استلابات العالم الذي نشأ فيه وساهم في تكوينه ، ولذلك كانت الصيرورة هي القول الفصل في ثنايا هذه الفلسفة ، وهي التي تمثل حتمية تحرير الانسان والعالم ·

ويتبع ذلك محاولات الحبابي الفلسفية لربط القيم بالواقع ، والفكر بالممارسة ، وهذه المحاولات تشكل بعض معالم المجتمع كما يتصوره الفيلسوف ، حيث يصبح العمل ارضية لازمة للابداع الحضاري ، وشرط ضروري لتعبير الانسان والمادة ، فالعمل هو اصل الحضارة ·

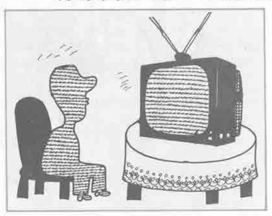
اما الفن فهو احدى ضرورات الحياة اليومية ، وليس مجرد تعبير متعال عن واقع انساني منحط وبئيس (للحبابي ديوان شعر بعنوان « بؤس وضياء » واعمال فنية اخرى) وهو كالفلسفة ، صادر من الواقع العيني للانسان ·

ومن محاور اشكالية الحبابي العمل على التوفيق بين الضرورة اللازمة للتركيب المجتمعي ، وبين الحرية الانسانية ، ولهذا كان الواقع الانساني مشبعا بالنشاط السياسي والفكرولوجي ، وكانت السياسة حاضرة في كل مجالات البحث الفسلفي ·

وليست السعادة الانسانية في فلسفة الحبابي قيمة مطلقة ، ولكنها كالعقل والحرية ، وكل القيم الفلسفية الاخرى ، ذات مضمون تاريخي ، ولهذا السبب بالذات لا يمكن تجاوز الفلسفة ولا القضاء عليها كما يرى ماركس · فلا يمكن تحقق القيم الفلسفية تحققا مطلقا ، وانما يرمي الانسان الى تحقيق بعض القيم الفلسفية

بما يناسب الظرف التاريخي ، كالعدالة والحرية والحق والسعادة والجمال · فالفلسفة ستبقى دائما لانها من نسيج العقل ، ومحتويات العقل ومضامينه ذات تركيب حضاري وتاريخي ، اي انها متغيرة مهما بدت مبادىء العقل ثابتة ·

هنا يصل بنا الحبابي الى موقف هام اخر ، وهو ان تاريخ الانسان من صنع الانسان وباختياره ، والحتميات التي تعترضه ليست حتميات مطلقة ، ولا هي بمثابة قوانين علمية ، ولكنها مجرد ظروف تحبك نسجها العقد علاقات الانسان مع العالم · ان الانسان هو الذي يقرر مواجهة تلك الحتميات عن طواعية واختيار ·



بفحص تلك الابعاد المختلفة لاشكالية الحبابي نصل الى نتيجة : ان الحبابي يهدف الى القيام بتغيير في فهم العلاقة بين الانسان وذاته ، والعلاقة بين الانسان والعالم انه يقوم برفض منهجي شامل لكل المفاهيم المستقرة عن ماهيات الانسان ، والعقل والعالم ، والعدالة والحرية ·

فلسفة الحبابي تلائم الانسان العربي كنموذج مقترح لحل قضاياه ، وتصلح كارضية فكرية لحضارة حديثة ، اذا جردت خصوصا من شوائبها الميتافيزيقية ·

الحاجة الى فلسفة للحضارة :

ان الانسان العربي في حاجة الى فلسفة للحضارة ، وما نقصده بفلسفة الحضارة ، دراسة نقدية تأملية تقييمية للفكر الانساني ، في اوضاع تاريخية محددة ، ومن منظور فلسفي محدد ، ولا نعتبر فلسفة الحضارة تأملا فكريا بريئا منزها عن الغرض ، وانما هي تأمل نقدي هادف ، تهديه احكام قيمية محددة ، ويسعى الى افضل السبل لتحقيقها في الواقع المجتمعي ·

ولهذا فان خصائص فلسفة للحضارة العربية المرجوة ، صدورها عن فكر سالب رافض - وهنا نحيي جهود الدكتور زكي نجيب محمود في هذا المجال - فكر تسنده قيم ويهدف الى ربط المبادىء بتحققها المادي ، وربط القيم بالواقع ·

وفلسفة الحضارة كذلك تبرير ممكن لاستمرار التفكير الفلسفي في عالم اوشكت فيه الفلسفة على الافلاس والفشل · ولا نقول الميتافزيقا وحدها ، فهذه قد اعلنت افلاسها الصريح مع كانط في الماضي ، وفي الفكر العربي مع زكي نجيب محمود والحبابي وغيرهما من رواد الفكر ، الفلسفي في دنيا العرب ·

ان قيام فلسفة للحضارة هي التبرير الوحيد المعقول لاستمرار وجود الفلسفة وتتضمن هذه الفلسفة تحليل البنيات العادية والفكرية المؤسسة للحضارة ، وتحليل العلاقة بين هاته ...بت ووضع خططات لاهداف الانسان المجتمعية ، وللقيم التي تهديه في اختيار هذه الاهداف ، ومدى تطبيقها على الواقع وتطابقها معه · ان المجال واسع ومتشعب ولكنه المجال الوحيد المكن الذي يصلح تبريرا لقيام تفكير فلسفي ملائم للانسان عامة ، وللانسان العربي اليوم خاصة · وفي هذا المجال تستحق جهود الاستاذ محمد عزيز الحبابي الفلسفية كل تقدير ·



كان المعتمد بن عباد ، ملك اشبيلية ، على عهد ملوك الطوائف بالاندلس ، وكان شاعرا يعجب بالنبوغ في مختلف صوره ، ويعطف على اصحاب المواهب ، واذا راى فيهم انحرافا ، وجههم الوجهة الصالحة ، مثل قصته مع البازى الاشهب اشهر سارق في اشبيلية .

كان البازى الاشهب يتفنن في اساليب السرقة والسطو ، وياتى فيها ، في كل مرة ، بحيلة جديدة ، من وحى الموقف واللحظة ، واكثر حيلة كان يقع ضحيتها اهل البـادية الذين ياتون في كل يوم الى اشبيلية ، ويخرجون منها ، وقد فقدوا اموالهم ، ومتاعهم .

قصة المعتمد بن عباس مع أشهر سارق في اشبيليه

البازي الاشهب يحتال وهو مصلوب على ساريه



وضج اهل اشبيلية بالشكوى من البازى الاشهب ، فامر الملك المعتمد بصلبه حيا على سارية ، عند الطريق الذى يمر منه اهل البادية ، حتى يعرفوا شخصه ، ويتجعوا من اذاه • وبينما هو فوق خشبته ، مشدودا بالحبال ، جاءت اليه زوجته ، وبناته ، وجعلن يبكن حوله ، ويقلن :

لن تتركنا نضيع بعدك ؟

واقبل بدوى على بغل ، وتحته حمل ثياب ، وغيره من سلع البادية ، التى جاء بها ليبيعها فى سوق المدينة • فصاح به البازى الاشهب قائلا :

– يا سيدى • انظر فى اية حالة انا

فقال البدوى :

– انك فى شر حال ••

فسارع البازى يقول له :

– لى عندك حاجة ، فيها فائدة لى ولك

فقال البدوى :

– وما هذه الحاجة ؟••

فقال البازى الاشهب :

– اترى تلك البئر القريبة ؟! لقد رميت فيها مائة دينار ، حين ارهقنى الشرط فى الطلب ، فعسى ان تحتال فى اخراجها ، ولك نصفها ، وهذه زوجتى وبناتى يمسكن بغلك الى ان تخرج بها من البئر ، ستجدها فى كيس معقود ، وكلها من الذهب ••

وطمع البدوى ، فعمد الى حبل ، شده حول وسطه ، ودلى نفسه فى البئر ، بعد ان ربط طرف الحبل فى ساق شجرة وعندما بلغ البدوى اسفل البئر ، قطعت زوجة البازى الحبل وبقى البدوى حائرا يصيح من اعماق البئر •

وساقت زوجة البازى الاشهب وبناتها البغل وما يحمل وفرت به •

كانت وقدة الظهيرة شديدة فى يوم صيف ، والطريق يكاد ان يكون خاليا من المارة • والبدوى يرسل صيحاته المزعجة من اعماق البئر ، مستغيثا • وسمع استغاثته احد المارة فى الطريق ، فاحتال مع اخر ، على اخراجه من البئر • وكانت زوجة البازى الاشهب وبناتها ، قد غبن عن العين ، ونجون بما يحمل البغل من متاع • وسئل البدوى عن حاله ، فاجاب :

هذا الفاعل ، الصانع ، احتال على ، حتى ذهبت زوجته وبناته بثيابى ومتاعى ••

وضحك الناس من حوله • واشتهرت القصة فى اشبيلية وذاعت ، حتى بلغت مسامع الملك المعتمد ، فتعجب منها ، وامر باحضار البازى الاشهب بين يديه ، وقال له :

كيف فعلت هذا مع انك فى قبضة الهلاك ؟••

فقال البازى الاشهب :

يا سيدى ، لو علمت قدر لذتى فى السرقة ، تركت ملكك واشتغلت بها ••

فلعنه المعتمد ، وضحك منه • واعجب بذكائه ، وسعة حيلته ، ورأى ان يستصلحه ، ويوجه ذكاءه وجهة نافعة • فقال له :

– ان سرحتك ، واحسنت اليك ، واجريت عليك رزقا يكفيك • اتتوب عن هذه الصنعة الذميمة ؟••

فقال البازى الاشهب :

– يا مولاى • كيف لا اقبل التوبة ، وهى التى تخلصنى من القتل ؟••

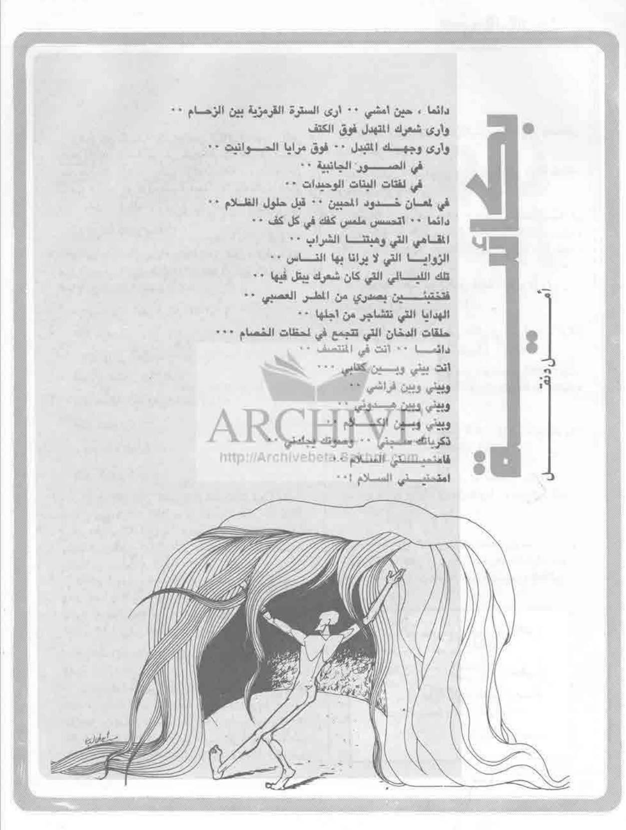
وعاهد البازى الاشهب الملك المعتمد بن عباد ، على التوبة فقدمه المعتمد على رجال من شرطة اشبيلية ، واوكل اليه حراسة ناحية من المدينة ، من اللصوص والمحتالين !•

– من عجز عف ، ومن يئس كف ، ومن جاع أسف ••

« شوقى »

– ان عجبت لشىء فعجبى لرجال تنمو اجسامهم وتصغر عقولهم ••

« الاحنف بن قيس »



أمـــل دنقـــل

دائما ، حين امشي ·· ارى السترة القرمزية بين الزحـام ··
وأرى شعرك المتهدل فوق الكتف
وأرى وجهـك المتبدل ·· فوق مرايا الحـوانيت ··
في الصــور الجانبية ··
في لفتات البنات الوحيدات ··
في لمعان خـدود المحبين ·· قبل حلول الظـلام ··
دائما ·· اتحسس ملمس كفك في كل كف ··
المقاهي التي وهبتنـا الشراب ··
الزوايـا التي لا يرانا بها النـاس ··
تلك الليـالي التي كان شعرك يبتل فيها ··
فتختبئيـــن بصدري من المطـر العصبي ··
الهدايا التي نتشاجر من اجلها ··
حلقات الدخان التي تتجمع في لحظات الخصام ···
دائمـا ·· انت في المنتصف ··
انت بيني وبـــين كتابي ···
وبيني وبين فراشي ··
وبيني وبين هـدوئي ··
وبيني وبـين الكـــلام ··
ذكرياتك سـجني ·· وصوتك يجلدني ··
فامنحيــني السلام ··
امنحيـــني السـلام !··



الشجرة

محمد سماره

في اللحظة التي كان ـ خلالها ـ الصبي يوجه مصيادته الجلدية الى عش على شجرة قريبة ، كان ثمة شاب وفتاة يظهران من بين مجموعة أشجار قصيرة متعامدة ، يمتد في وسطها طريق مستقيم ، وكانا يضحكان بخفوت •

وقال الصبي في سره : انهما لاشك متعارفان منذ فترة ليست قصيرة • سحبت الفتاة يدها المتكئة الى كتف الشاب بهدوء ، غير ان الاخير ابتسم مشبكا اصابعه باصابعها ، وكان الصبي يرقب ذلك •

اقتربا من شجرة خضراء غليظة ، وكان في ميسور الصبي ان يرى الشاب وهو يحفر على لحاء الشجرة شيئا • ابتسمت الفتاة اذ هي تمعن البصر فيما كتبه الشاب ، ثم اضافت شيئا ، وارتدت الى الوراء ضاحكة • رفع الصبي بصره الى طيرين فوجيء بوجودهما على الشجرة ، وكان احدهما يمد منقاره داخل العش ، وقد سمع الصبي صوصوة الافراخ وهي تمد مناقير صفرا جائعة • وخمن ان الطيرين لاشك قد غابا عن العش طويلا •

رفع المصيادة ، واضعا فيها حصاة صغيرة حين سمع الشاب يهمس باغنية شعبية مرحة ، وكانت الفتاة تميل براسها وتبتسم • لفترة كف الشاب عن الغناء ، فصفقت الفتاة بمرح وما لبثا ان غادرا المكان •

التفت الصبي الى الطيرين اللذين فوجيء بهما قد اختفيا ، ثم تحرك الى حيث كان يجلس الشاب ، وامعن البصر في الاسمين اللذين حفرا بعمق على الشجرة ، وكانا يبدوان كاخدودين عميقين • امسك الصبي بقطعة بلدنية صغيرة ، وعمق الاسمين بعناية ، ثم وقف يتاملهما باهتمام وترك المصيادة تسقط •

محمد سماره

البحث عن الوهم الجميل

- أحياناً بالحب الرومانسي
- أحياناً بالجنس المكشوف
- أحياناً بالعنف والدم



البحث عن الوهم الجميل



البحث عن الوهم الجميل

رؤوف توفيق

في مجتمع الاعتياد والوفرة ، لابد من خلق « وهم » يداعب به غرائز الناس ، ويشغل تفكيرهم •

هذه قاعدة ذهبية ، يؤمن بها ، ويعمل لتحقيقها ، اصحاب المشاريع التجارية وبيوت الدعاية الغربية •

فالفرد العادى المربوط بآليه الحياة ·· الخروج من المنزل في وقت محدد بالصباح ثم الذهاب الى العمل حتى ساعة محددة • والعمل يمضى فى روتينية لا تتغير ·· ثم يعود الى بيته ليتناول الطعام ويجلس امام شاشة التليفزيون ·· أو ليقرا شيئا ·· ثم ينام ·· لتتكرر نفس الاسطوانة فى اليوم التالى •

هذا الفرد العادى فى مجتمعات الغرب ، الذى يجد كل شيء ميسرا وقريب المنال ·· من طعام واثاث وادوات خاصة ·· اذا امتلك ثمنها ، او حتى اذا لم يمتلك ·· فالتقسيط المريح يحقق له كل شيء ·· وما عليه الا ان يعمل ويعمل ·· ويدور فى ساقية لا تنتهى لفاتها •

هذا الفرد العادى يحتاج بين حين وآخر الى من يهز مشاعره ·· ويخرجه من قوالب الروتين اليومى ·· يحتاج الى ان يبكى ويصرخ فزعا ·· وتتوتر اعصابه !! أو يحتاج الى من يذكره بالعنف والدم ·· أو من يداعب مشاعره بالحب الرومانسى ، واستحالة التقاء المحبين ·· فيتصور نفسه فى مكانهما ·· ويذرف الدموع أسفا وأشفاقا !!

الخروج من الرتابة

وهذه الوسائل الصناعية لهز المشاعر ، واثارة الحواس، للخروج من البحيرة الراكدة للسأم والملل والتعود الروتينى ·· اصبحت « وظيفة » بالغة التعقيد بالنسبة لشركات السينما العالمية •

فامام منافسة التليفزيون ·· أصبح البحث عن طريقه

البحث عن الوهم الجميل

لاخراج الناس من بيوتهم ، للوقوف فى طوابير الحجز امام شبابيك تذاكر السينما ٠٠ أملا يسعى الجميع لتحقيقه ، فالمسالة بالنسبة لصناعة السينما أصبحت حياة او موت ٠٠

اما النجاح والازدهار ٠٠ واما الافلاس !!

والمجازفة دائما تضع فى اعتبارها : انسان هذا القرن ، ظروفه المعيشية ، واهتماماته ، وتمرده ، وسامه ، وقدرته على التأثر والانفعال ٠!

ودخلت شركات السينما العالمية فى تجارب متعددة ، بدات فى السنوات الاخيرة بعد اشتداد منافسة التليفزيون وبوادر الازمة الاقتصادية العالمية التى خيمت على البيوت والشوارع ومؤسسات العمل ٠

البداية بالحب ٠٠ والجنس

جربوا التاثير عليه بالبكاء من خلال القصة العاطفية الميلودرامية فى فيلم « قصة حب » ٠٠ ونجحت التجربة ٠٠ وبكى المتفرجون ٠٠ وحقق الفيلم ايرادات خيالية ٠٠

وحاولت بعض الشركات السينمائية ٠٠ تقليد هذه « الوصفة » مرة أخرى ٠٠ ولكن كان الجمهور قد سئمها ، كما سئم روتين حياته ٠!

فبدات محاولات جديدة ٠٠ وجازفوا بتقديم الجنس المكشوف فى قصة لها طابع عصرى لمشكلة انسان ضائع يبحث عن انتماء جديد لا يذكره بالماضى (وهو نموذج شائع فى المجتمعات الغربية) ٠٠ وكان فيلم مارلون براندو الشهير « التانجو الاخير فى باريس » للمخرج برتولوتش ٠

وكان الفيلم صدمة عنيفة للعين ٠٠ ولكن التجربة نجحت ٠٠ وحقق الفيلم ايرادات كبيرة ، وذاع صيته فى العالم كله ٠٠ وحاولت ـ كما هى العادة ـ شركات السينما ان تكرر اللعبة ٠٠ فصنعت فيلم « ايمانويل » بجزئيه الاول والثانى ٠٠ وكانت الصدمة اكبر للعين وللمشاعر ٠٠ فكمية الجنس هائلة ٠٠ واستمر النجاح ٠٠ ولكن كان لابد من التغيير بعد ان انتشرت موجة الافلام الجنسية وتفنن اصحابها فى ابتكار أشكال والوان مختلفة !

العنف ٠٠ ثم الاثارة ٠٠ والورقة الرابعة

وجاءت المحاولة الجديدة ٠٠ فى احياء زمن المافيا ٠٠ بكل ما فيه من دم وصراع وقوة نفوذ ٠٠ وكان فيلم « العراب » الذى ضرب كل الارقام القياسية فى الايرادات فى تاريخ السينما ٠٠ وتكررت المحاولة فى « العراب ـ الجزء الثانى » ٠٠ وان كان الجزء الثانى لم يحقق نفس نجاح الجزء الاول ـ رغم افضليته فنيا ـ الا ان التجربة اثبتت نجاحها فى هز مشاعر الجمهور واستعادة ايام العنف والتوتر مع عصابات المافيا ٠

وكان لابد من البحث عن لعبة جديدة ومثيرة للاحتفاظ بجمهور السينما ٠

وظهرت الورقة الرابعة ٠٠ وهى استفزاز مشاعر الجمهور بالرعب والفزع ٠٠ وتخيل احداث مرعبة قد تصادف الفرد العادى فى حياته اليومية ٠

حوادث طيران ، كما قدمها فيلم (مطار ٧٥) ٠

احتراق ناطحة سحاب ، كما تخيلها فيلم (البرج المشتعل) ٠

حدوث زلزال مدمر فى مدينة سان فرانسيسكو ، كما تناولها فيلم (الزلزال) ٠

وكانت هذه الافلام ٠٠ هى بوادر مرحلة جديدة من البحث عن صيغة لجعل المتفرج يشعر بان حياته المستقرة ، بمستقرة ٠٠ وانطمانينته ، او تعوده على الطمانينة ، ليس صحيحا ٠٠ فقد تقع الكارثة من حيث لا يتوقع !

واثارت هذه الافلام ، نوعا متميزا من ردود الفعل ٠٠ وان كانت لم تحقق « الضربة القاضية » فى الايرادات ٠٠ ولكنها كانت بمثابة « المفتاح » الذى عالج الباب المغلق ٠٠ وكان على الفنان الذكى ان يجد طريقه بعد ذلك ٠

وجاء الفنان الذكى الذى توصل الى المعادلة الكاملة فى لعبة افزاع الجمهور ٠٠ وكان فيلم « الفك المفترس » للمخرج الامريكى الشاب « ستيفن سبيلبرج » الذى لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره ٠٠ ولكنه استطاع ان يجعل من فيلمه ، اسطورة السينما فى العامين الماضيين ٠٠ فقد حقق الفيلم اعلى الايرادات فى تاريخ السينما كلها ٠ واستغلت الدعاية الامريكية هذا الفيلم اقصى





استغلال ، حتى جعلت الفك المفترس .. هو « الوهم اللذيذ » !!

واستمرارا لنفس الاسلوب .. حشدت السينما الامريكية كل خبراتها التكتيكية فى تقديم وحش جديد مرعب .. غوريللا ضخمة تحب انسانه شقراء ، وتبكي وتتعذب ، وتحطم كل ما في طريقها ، ثم تنتحر يأسا من أعلى ناطحة سحاب في امريكا !!

وكان هذا الفيلم « كينج كونج » الذي بدأ عرضه في مطلع هذا العام في ١٢٠٠ دار عرض بامريكا وحدها .. وما يقرب من ١٥٠٠ دار عرض في انحاء العالم .

وبالرغم من مرور شهر واحد على بداية عرض هذا الفيلم .. الا ان كل الدلائل تؤكد انه حقق في خلال الايام الماضية ، ايرادات غطت تكاليف انتاج الفيلم ، التي وصلت الى ٢٤ مليون دولار (!!)

قوانين اللعبة الجديدة

لم يعد ممكنا ارعاب الناس ، بالطرق القديمة ، او باستخدام وسائل اصبحت مشاعة وعادية قد يراها الفرد العادي في الشارع او في حجرة نومه !

فاثارة الرعب .. بالقتل وباستخدام اغرب انواع الاسلحة .. لم يعد جديدا .. ففي الاحداث اليومية وما تنشره الصحف وما تعرضه نشرات الاخبار في التليفزيون ، او ما قد يتعرض له الشخص العادي في الطريق ... ما هو ابشع واغرب ... وايضا اكثر اعتيادية !!

واثارة الرعب .. من خلال شخصيات وهمية كمصاص الدماء ، وفرانكشتين المرعب ، والعفاريت . اصبحت لا تصلح الا لقصص الاطفال !!

حتى طريقة الرعب عن « هيتشكوك » .. اصبحت قديمة !

ولابد من اختراع نموذج جديد للرعب .. تجند من اجله كل ابتكارات التكنولوجيا وخبرة العلماء ..

آلهة الرعب الجديدة .. لابد ان تكون ذات مواصفات خاصة .. تبهر المتفرج .. وتدغدغ مشاعره باللذة الغامضة .

في فيلم « الفك المفترس » كان البطل هو سمكة قرش يبلغ طولها ٢٥ قدما .. سمكة متوحشة لها انياب حادة تستطيع ان تبتلع رجلا .. وان تحطم مركبا ضخما .. وان تدوخ مدينة تقع على شاطىء البحر .. تلتهم الاطفال والمصطافين .. وتحول البلاج الآمن الى حالة من الفزع الشديد .. حيث دماء الضحايا تغطي سطح الماء .. ولا قدرة لاحد ان يواجه هذا القرش المفترس .. وعندما تاتي مجموعة من الخبراء والمتطوعين في محاولة اصطياده، تحدث المفاجآت المثيرة التي تجعل المتفرج يقفز من على مقعده تأثرا ورعبا .

وهكذا يقضي المتفرج ١٢٤ دقيقة هي مدة عرض الفيلم في حالة تأهب كامل للفزع . وكان الغاية من مشاهدته لهذا الفيلم .. ان يجلو الصدا عن بعض المشاعر التي لا يستخدمها احيانا .. او زيادة تعذيب النفس والتلذذ بالخطر !

استثمار الرعب

وقد حقق فيلم « الفك المفترس » مائة مليون دولار في الشهر الاول من عرضه في الولايات المتحدة .. واصبح الفيلم يشكل « ظاهرة امريكية » مثيرة .. فقد جندت مؤسسات الدعاية كل خبراتها في استغلال نجاح الفيلم .. واستثمرت « الرعب » .. رسمت الفك المفترس على القمصان الملونة وطبعت منه كميات رهيبة وباعتها بأثمان في متناول الاطفال والمراهقين .. كذلك اصبحت « انياب » الفك المفترس ، تدخل في صناعة

البحث الوهم الجميل



العقود والتمائم والحلى .. « وزينت » صورة الفك المفترس الاكواب والاطباق الورقية ..

الى هذا الحد .. تستطيع مؤسسات الدعاية ان تنفذ بوسائلها داخل كل النفوس المستعدة لاستقبال هـــذا « الرعب » الجديد .!

ولكن المدهش والغريب حقا .. ان متفرج هذا الفيلم، يعرف تماما من خلال ما نشرته الصحف والمجلات ، ان سمكة القرش المتوحشة .. ما هى الا مجرد « موديل » مصنوع بعناية شديدة وبأحدث الوسائل العلمية .. ورغم التفاصيل الكثيرة التي صاحبت عرض الفيلم وكيفية صنع وتشغيل هذه السمكة المتوحشة .. الا ان المتفرج « يتعمد » أن ينسى هذه الحقيقة وينلمج تماما فى جو الاثارة والرعب الذى يخلقه الفيلم !!

ولا شك ان هذا يرجع الى براعة التنفيذ الفنى الذى يشحن كل دقيقة من زمن عرض الفيلم ، بعوامل الاثارة .

وهذه « التوليفة » الفنية الدقيقة التى صنعت سمكة القرش ببراعة .. ونفذت الفيلم بلا اخلال او لحظة ملل .. تشهد للعقلية التجارية التى تعرف كيف تقدم بضاعتها ، مستخدمة آخر ما توصل اليه العلم ، وبانفاق مبالغ طائلة لانجاز المطلوب بالشكل الامثل .

فقد تكلف صنع سمكة القرش .. ما يقرب من ربع مليون دولار .. وتكلف تشغيلها ما يزيد عن نصف مليون دولار . (!!) فقد تم صنع ثلاث ســمكات .. لتسهيل عملية التحريك والتصوير .. فكانت هناك سمكة تظهر من الجانب الايمن فقط .. اما الجانب الايسر فهو المخصص لوضع آلات تشغيلها ..

وسمكة اخرى تظهر من الجانب الايسر ..

وسمكة ثالثة .. وهى السمكة الكاملة وقد سميت



« القرش المنزلق » .. ويتم تشغيلها بسحبها عن طريق قــارب !

تسخير العلم لخدمة الوهم

وكان لابد للعلم ان يواجه كل الصعوبات والمآزق التى تواجه هذه السمكة الصناعية الضخمة .. فالمعروف مثلا ، ان طبيعة الماء المالح تؤدى الى تآكل الاجسـام المعدنية ، بالاضافة الى تاثير الشمس على لون جلد السمكة الصناعية .. ومن اجل هذا كان لابد من استبدال جلد السمكة القرش مرة كل اسبوع .. وقد كان الجلد مصنوعا من مادة البلاستيك السائل . (!!)

وتخصص ثلاثة عشر فنيا وخبيرا فى تحريك جسـد السمكة لتقوم بدورها « المرعب » !!

المهم .. نجح الفيلم .. ونجح العلم فى خلق «الوهم» اللذيذ .. ولهذا يفكرون فى انتاج (الفك المفترس - الجزء الثانى) !!

أغلى غوريللا فى العالم .. تحب .. وتنتحر!!

وناتى لاحدث فيلم يعرض عالميا ، ويحطم كل الارقام القياسية .. ويعطى اكبر جرعة من الاثارة المطلوبة ، للمتفرج الملول الذى يعانى من الفراغ والسأم والروتين الآلى !!

انه فيلم « كنج كونج » الذى انتجه المنتج الايطالى المعروف « دينو دى لورنتيس » الذى استقر به المطاف فى هوليوود منذ اربعة اعوام فقط .. ولكنه الان يتربع على عرش السينما الامريكية بهذا الفيلم الخرافى .

ورغم ان تاريخ المنتج الايطالى « دى لورنتيس » يشهد

البحث عن الوهم الجميل



له بالتصدى لانتاج عدد من الافلام الهامة فى تاريخ السينما مثل « الارز المر » الذى اسند بطولته للممثلة « سيلفانا مانجانو » ثم تزوجها بعد ذلك ، وانتج افلام المخرج « فيللنى » مثل « الطريق » و « ليالى كابيريا » .. وحقق اكبر نجاحاته بافلام « الحـــرب والسلام » و « باراباس » و « التوراة » .. ثم معركة « واترلو » . وآخر فيلم انتجه اسند اخراجه للمخرج السويدى العالمى انجمار برجمان « وجها لوجه » .

رغم هذا التاريخ الحافل بالاعمال الفنية الهامة .. الا ان المنتج انسياقا لموضة البحث عن دغدغة مشـاعر المتفرجين .. وضع كل ثقلة فى فيلم « كنج كونج » الذى بلغت تكاليفه ٢٤ مليون دولار .. وصرف ما يقرب من عشرة ملايين دولار على الدعاية له !!

وقصة فيلم « كنج كونج » ظهرت من قبل على الشاشة فى عام ١٩٣٣ .. وكانت الغوريللا وقتها مجرد عاشقة بامكانيات ذلك الزمن ـ تحب فتاة من أعضاء بعثـة المستكشفين الذين هبطوا فوق احـدى الجزر المجهولة لاكتشافها .

اما غوريللا عام ١٩٧٧ .. فهى تملك كل تكنولوجيا العصر .. طولها ١٥ مترا .. تزن ست اطنان ونصف .. محشوة بالاسلاك الكهربائية ، فجهازها العصبى يتكون من ١٥٠٠ متر من الاسلاك الدقيقة التى يتحكم فيها عقل اليكترونى خاص .. ويعمل على تشغيلها عشرون خبيرا ومهندسا فنيا .. وكل واحد من هؤلاء الخبراء يعمل على رافعة تتحكم فى حركة واحدة من حـركات الغوريللا .

وقد اكتسى جسم الغوريللا بفراء مصنوع من شعيرات ذيول الجياد تم شراؤها من الارجنتين .. وتقول الارقام ان كمية الشعيرات التى تغطى جسم الغوريللا وصلت الى الفى كيلو متر .

اما جسم الغوريللافهو مصنوع من الكاوتشوك الرغوى. وقد قام بتصميمه احد خبراء « والت ديزنى » وتكلفت مليون وثلاثة ارباع مليون دولار !!

الحب المستحيل

وغوريللا التكنولوجيا لعام ٧٧ .. تقوم بنفس موضوع



البحث عن الوهم الجميل



الغوريللا القديمة ‥ انها تقع فى غرام فتاة تعمل ضمن مجموعة من الباحثين عن البترول فى جزر هاواى ‥ ويصل غرام الغوريللا حدا من الشراسة يجعلها تهاجم القطارات ومحطات توليد الكهرباء ، وذلك عندما تشعر بالغيرة … او اليأس … وفى النهاية تنتحر الغوريللا بالقاء نفسها من فوق اعلى ناطحة سحاب فى امريكا (!!)

انه « الحب المستحيل » ‥ كما يقول المنتج الايطالى صاحب الفيلم ‥ بل انه يضيف انه عندما اشترى حق انتاج هذه القصة ‥ قال للمخرج « جون جيلرمين » الذى اخرج من قبل فيلم « البرج المشتعل » :

ـ « لا أريد فيلما مرعبا ‥ ولكنى اريد قصة حب مستحيلة ‥ ومؤثرة » ‥

وبعد ان انتهى تصوير الفيلم ‥ قال المنتج الايطالى مزهوا متفاخرا :

ـ « اننى لم اصرف مليونين او ثلاثة ملايين دولار ‥ ولكنى صرفت ٢٤ مليون دولار ‥ » !

لم ننس النجاح الساحق لفيلم الفك المفترس ‥ فقال :

ـ « ان احدا لم يبك لنهاية سمكة القرش فى فيلم الفك المفترس » ‥ ولكن المشاهدين عندما سيشاهدون انتحار كنج كونج فانهم جميعا ـ كبارا وصغارا ـ سيذرفون الدموع » !!

وتمضى اللعبة المثيرة



والمنافسة الان شديدة لارضاء نزوات المتفرج الملول فى مجتمع الوفرة ‥ وتحكم الالة ‥
ولا احد يتكهن بما فى جعبة الحواة ،

اخترعوا السمكة المفترسة ‥ واعادوا الغوريللا القديمة ‥ والبقية تاتى ‥

ولكن ما يهمنا نحن ابناء العالم الثالث ‥ وما ننوء به من مشكلات التخلف واعادة البناء الجديد ‥ ومن اى محاولة للاعتداء على حرياتنا وكرامتنا ‥؟! ‥ ما يهمنا نحن من هذه الظواهر التى تصاحب امراض الرفاهية ؟!

اننا نتفرج عليهم ‥ ونكتفى بالتأمل ‥

البعض يبحث عن الفزع والرعب ‥ لتحسين الهضم !!

والبعض يبحث عن الطمأنينة والاستقرار ‥ لضمان لقمة العيش !!

وكذب من قال ‥ اننا نعيش فى عالم واحد !!

رءوف توفيق



د. محمد المنسى قنديل

تأبط شرا

الذين يموتون وهم وقوف

اسمه الحقيقى ثابت • لا يوجد له نسب معروف • الارض الصحراوية القاسية ترفض جذوره وابوه جابر بن سفيان ينكر بنوته • وقبيلته من بنى العقيق لو تحسبه عليها •• لكنه يستمد نسبه من جذور بعيدة • من كل الطرداء والملفوظين والباحثين عن العدل المستحيل• ومن المجرمين الشرفاء الذين يقيمون قوانينهم الخاصة حيث اللاقانون ••

رفاقه هم أوباش الجزيرة العربية وصعاليكها والهاربين من فداحة الثأر والحيوانات الضارية ونسور القمم والجمال المبصرة المطلية بالقار •• يضمهم جميعا حضن الفيافى الوعر ولحظات الهرب الدائمة ••

حدثتنى الكائنات قالت

قالت الثعابين •• طلبت منه أمه العجوز هدية مثلما يفعل بقية اخوته فحملنا تحت أبطيه والقانا تحت قدميها • فزعت المرأة وهرعت للخارج تستنجد بالجيران • وقال الجميع •• لقد تأبط ثابت شرا • وظل الاسم يلاحقه • قالت الغول •• هذا الوغد الكالح الوجه طلب أن يعاشرنى •• تقابلنا فى وادى رحى طحان بأرض هذيل ودار الصراع بيننا ثلاثة أيام وثلاث ليال ولم يهزم أحدنا الاخر • تنكرت فى هيئة خروف صغير فحملنى تحت ابطيه • جعلت اركله طوال الطريق حتى القانى • وقال من شاهده • لقد تأبط شرا • وقال الشيطان • كان ثابت



رفيقي وصاحبي • كنا لا نمل من السير سويا • نتحدث عن النساء الجميلات • والتجار اللصوص الذين يعجبونني • وذات يوم وصلنا الى مكان قفر تضع الطيور فيه بيضها على الارض • قال ثابت • لقد هلكنا • هذا المكان لم يمر به بشر من قبل • لو كان البشر يعـــرفون طريقه ما وضعت الطيور بيضها على الارض • قال الشيطان • وصعدنا كل واحد منا على جبل • رأيت الموت فلاحت الى ثابت بالسيف •• ورآى هو الحياة فلاح الى بالثوب • وافترقنا • لكنني تركت شرى معه • كلما نضح عرق ابطية • نضح شرى • قالت الرمال • كنا نرتجف تحت وقع أقدامه • وقالت الخيول كنا نلهث خلف عدوه • وقالت الطيور • كنا نخشى حدة سهامه • وقالت الظباء • كنا نتقى لحظة جوعه • كان اذا جاع يجول بعينيه حتى ينتقى أسمن ظبية فينا ثم ينطلق خلفها • حينئذ ندرك أنه لا مهرب • أنه لابد لاحق بها • وسرعان ما نشاهد رفيقتنا وقد سقطت تعبا بينما ينقض هو عليها كان لم يجر قبل •• وعندما تحمل الريح رائحة الشواء الرهيبة

نتداول في حسرة •• متى يأتي دورنا ••؟•• ليتنـــا لا نسمن أبدا • قالت الينابيع العذبة • انني اتقزز من ملمس جسده الخشن • وقالت الفراشات • انفاسه تحرق اجنحتنا • وقال النمل • اننا نحاذر أن نمشي وهو نائم لئلا يسمع دبيب أقدامنا • وقالت حية • نام تأبط شرا ذات ليله فوق جحري فتجمدت رعبا حتى الصباح •• وحدثتني كائنات كثيرة لكنني وجدت الخرافة تسود معظم الاحاديث فاستبعدتها ••

حدثني تابط شرا قال

ماذا أفعل ؟•• الصخور قبيلتي والرمل منفـــاى • حلمت مرة بالافق فاخذت أعدو اليه • اجتزت القوافل والخيول وكل صفوف الحيوانات •• لكنني سقطت لاهثا وظل الافق بعيدا ••

ماذا أفعل ؟•• مات اخي وحملت بالثأر • ولم اكن ثريا فيخشون مالي او ذا عشيرة فيهابون سطوتي • عرفت مبكرا أن زهر الصبار موحش والذئاب جائعة والآبـــار جافة • ظللت اهيم على وجهي • كل القبائل قبائلي • وكل القبائل أعدائي • حين يمضني الجوع أغير عليهم لانهم قبائلي • ويطاردونني بالسهام والرماح يبغون قتلي •• لانهم أعدائي • يكمنون لي وراء الاكمـــة وحواف العيون • يسكنون عن الحركة ويكتمون انفاسهم • لكنني اضع أذني على الرمل فاسمع وجيب قلوبهم • والخفقات المترددة ترصدني • لا أملك الا الفرار وأنا أتساءل •• لماذا لا اسمع وجيب قلبي كأنه لم يخفق أبـــدا ••؟•• نسبت قبر أخي • دفنت امي وأنا في الطراد • وقلت للنسور رافقيني فازدرت ونأت مرتفعة •



تأبط شـــــرا

ماذا أفعل ؟٠٠ أحلت القبائل دمى وأباحت شعرى ٠ كنت أنا الشر وكان شعرى التعويذة ٠ كنت الاذى وكنت الرقية ٠ عشقتنى النساء ووضعن على الوسائد رأسى ٠ لكن ما من واحدة تحملت لمستى ٠ قابلنى اعرابى ٠٠ قال ٠٠ كيف تخيف الناس ؟٠٠ قلت ٠ بأن اذكر اسمى أمامهم ٠ قال ٠ فقط ؟٠٠ قلت ٠ فقط ٠ قال ٠ هل تبيعنى اسمك وتأخذ طيلسانى ٠ وقد كان ٠ أخذت الطيلسان الفاخر ومضيت ٠ وأخذ الاعرابى يزعق فى وجوه الناس ٠ أنا تأبط شرا ٠ أنا تأبط شرا ٠ ولم تمهله السهام المترصدة أن يتم الثالثة ٠٠

ماذا أفعل ؟٠٠ الاصدقاء حمقى والاعداء اذكياء ٠ وهذا يضاعف من وحدتى ومن حدة المطاردة ٠ من قال اننى لا أتمنى بيتا أو أسرة ٠ لكنها الانساب التى لا ترحم والتجار الذين يتاجرون فى الاجساد الحية ، والجوع الذى لا مأوى له ولا وطن ٠٠

حدثتنى جثث الاصدقاء القتلى

الآن ننهض من قبورنا ٠ ننزع الكفن وخيوط العنكبوت٠ هذا تأبط شرا يعدو فوق ثرى اجسادنا ٠ وقع اقدامه لها نفس وقع لهجته وهو يحدثنا ويقربنا ٠ كنا أصدقاءه ورفاق شدته ٠ نعانى جميعا من الاحلام المجهضة ٠ وعندما تبعناه لمرابض الخيول وأوتاد الجمال كنا نقتنص حقنا الطبيعى فى الحياة ٠ لكن القلاع كانت منصوبة والرماح مشرعة ٠ والخيل متوخزة ٠ صاح : اهربوا ٠ فروا ٠ وحاصرتنا الخيل ٠ كان هو اكثرنا سرعة وأمهرنا حيلة ٠ اجتاز التل والشعاب الموحشـــة وتساقطنا نحن صرعى ٠ كنا رفاق احلامه وغاراته لكنه فر وحيدا ٠٠ أهو العدل حلم فردى؟٠٠ الا يوجد حلم جماعى بالمساواة٠ هل كان يحبنا ٠ أم يحب نفسه ، أم يحب العدل ؟٠٠ يارفاق الموت انهضوا ٠ الشمس لا تشرق من القبور ٠ والصبار غير مستساغ الطعم والماء اسن والعظام نخرة والمناكب موحشة والديدان شرهة وشواهد القبور صلبة٠ وانت تعدو وحيدا ٠ نقولها لك ياتأبط شرا ٠٠ لا أمل ٠٠ لا أمل ٠٠

حدثتنى جاريته قالت

قالت صاحباتى ٠ وقالت كل جوارى الحى ٠٠ انه يهوانى ٠٠ اننى الشعر الذى يقوله فى اليقظة والحلم الذى يهرف به فى النوم ٠ قلن ٠ ان له قلب طفل وعين نسر وساقى غزال وأن لا أحد يقدر على صرعه الا عيون الحسان ٠٠ خشيت على نفسى من غرام هذا الرجل المفرد ٠٠ وفرحت لان غرامه بى جعلنى أنا أيضا مفردة ٠٠ قالوا لى ٠ قابليه فرفضت ٠ وظللت أرفض ذلك بشدة حتى قابلته ٠

كانت عين الماء ساكنة ولا أحد يرانا ٠ نظرت الى وجهه الداكن ولحيته الشعثاء ونظـــرة عينيه المتالقة فوجب قلبى ٠ هذا الآدمى الغريب يهوانى ٠٠ تمنيت ان يتكلم٠ يخدش السكون بأى حرف ٠ ظل صامتا ٠ تساءلت ٠ هل سيغدر بى ٠٠ هل سيفضحنى ؟٠٠ كان يعانى حتى يتكلم٠ رأيت حمرة خفيفة تتسلل خلال وجهه الداكن وتغمره كله ٠٠ فهمت كل شىء ٠٠ كان خجلا ٠٠ والخجل أعجزه عن الكلام ٠٠ كدت أضحك بصوت عال ٠٠ لم يكن هذا أول من عرفت من الرجال ٠٠ لكنه الوحيد الذى صعق بمرأى هكذا ٠ ولو اننى ضحكت لزاد خجله وفر هاربا ٠

كان كالحيوان المرون ٠ حاولت ترويضه ٠ قلت ٠ انشدنى شيئا من الشعر الذى قلته فى ؟٠٠ لم يتكلم ٠ قلت ٠٠ ماذا تريد منى ؟٠٠ فعلت ذلك فى صوت ذائب النبرات ٠٠ لكن صوتى لطمه فظل يحلق فى مذهولا ٠ امسكت يده فوجدتها ترتجف ٠٠ لا فائدة ٠٠ البطل الذى يروع كل القبائل داخ من نظرة واحدة ٠ تركته ومضيت ٠٠

مهما كان الامر فاننا نحتـــاج من الرجل شيئا من الجرأة ٠٠

حوار لم يتم

ــ يا تأبط شرا ٠٠ هل أنت مجرم ٠٠؟٠٠

ــ لم لا يسأل أحد لماذا تبدو شمس الصحراء بهذه القسوة ٠٠ والارض بمثل هذا الجدب والعصبيات بهذا الوثوق ٠ اننى جزء من طبيعة هذه البيئة الشرسة ٠ نمارس قوانين العرف السائد ٠ يأتى الليل علينا اما أن نقتل ٠ أو نقتل ٠ لا نستند لقانون مكتوب ٠ الاقوى هو الاكثر تماسكا والاضـــعف هو الاستسلام وسرعان ما يلفظ دون رحمة ٠٠

ــ لكنك مجرد فرد ٠٠ بصورة أخرى مجرد ارهابى ٠٠ ان القبائل حين تتصارع تحكمها قوانين الحرب ٠٠ لكنك لست من قبيلة وليست لك أرض ٠٠؟٠٠

أنا وحدى قبيلة ٠ اعدو أسرع من خيولهم مجتمعة ٠ ورمحى أرهف من كل اداتهم ٠ وساعدى امهر فى رمى السهام من كل رماتهم ٠ وحيث احل تكون أرضى وعليهم ان يغيروا عليها ٠ انا لا أخرج عن قوانين النزال ٠ لو شاهدونى نائما ليافتونى ٠ لكننى أنام كالذئب مفتوح العينين ٠ وهم يغمضون عيونهم ويطفئون نارهم وبـذا يحل عليهم عقاب الظلام ٠٠

ــ لكنـــك بالغ القســـوة ٠٠ انت تقتـــل حتى الاطفال ٠٠؟٠٠

ــ أنا أحب الاطفال ٠ انهم النبت الاخضر الوحيد وسط هذا القفر ٠ أحب ان يكون لى أسرة ٠٠ لكننى

وجدت الازواج طيمين والآباء خائفين ·· الاطفال هم ثقيل · يجعلوننا لا نتمادى فى المغامرة · ولا نلحف فى الرفض · اننا نتشكل من أجلهم مع العرف السائد ونفقد فرديتنا وتمايزنا ·· لكنني أحبهم · ذات مرة رأيت غلاما بارعا يصطاد الارانب · أردت مداعبته فضربني بالقوس على ظهر يدى قادماها · اغتظت منه وقتلته · لكنني ندمت بعد ذلك · ادركت انني دنست الصحراء وان نهايتى قد حانت · حلمت به كثيرا · ورأيت صورته تلاحق عدوى · كنت موقنا ان ما فعلته لا يغتفر وان على أن أتحمـــل العقاب ··

ـ رغم ذلك فأنت شاعر ··؟··

ـ الشعر هو درعى · وهو خيمتى احتفظ بها فى صدرى · أفرشها على الرمل فتكـــون أرضى · أرتجل القصيدة فتتفجر عيون المياه ويعشوشب الرمل · القوافى قبيلتى · حروفى منحوتة من الشظف · وصورى ملأى بالرعب والخشونة · انه الثمن الطبيعى لارتفاعى فوق قوانينهم · ان جلوسهم فى البيوت المريحة جعل منهم مجرد رواة يرددون الكلام الطيب ويهزون رؤوسهم فى بلاهة ·· انهم امام شعرى يتحـــولون الى عشب مهمل ينتظر الحصاد ·· او رؤوس ماشية تنتظر الوباء ··

ـ اذا قبضوا عليك هل تعتقد ان القتل هو الجزاء المناسب ؟··

ـ لـو أنهم تركوني دون قتل لما [illegible] لا يجب أن يرحم احدنا الآخر · قد تكون حياتى قصيرة لكنني سأعيش · لا أحد يستطيع ان يقتل حلما أو يغتال قطعه من السحاب · ان الآف المعذبين يحفظون أخبارى ويستقطون شعرى ·· ولو مت سوف يخرج من بينهم واحد جديد ··

ـ كيف ستموت ياتابط شرا ··؟··

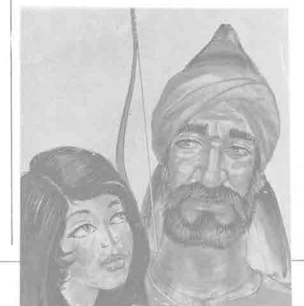
ـ ان ميتتى غريبة · بل ومثيرة للسخرية ·· لعـل هناك ضعفا كان كامنا فى لم افطن اليه الا مؤخرا ·· وانا فى القبر ··

حدثنى أحد الغلمان قال

اختبأت وراء سياج من العشب وأنا أشاهد تابط شرا يغير على قومى ·· كنا اشبه بالعزل وهو كالريح الهوجاء ·· وأنا غلام لم يتعـدى سنى الخامسـة عشر · لا أرمى السهام الا على الارانب · اصيب واحدا ، واخطىء عشرة ·· لكنني أخذت قوسى وسهمى واختبأت ··

كان الرجل الداكن يشد وترة فيشق قلب قومى من الرعب · أبى وأمى وأخوتى ورفاقى · كل الرجال الذين اعرفهم يتدافعون كالمجانين · يبحثون عبثا عن خيولهم أو سيوفهم والرجل الداكن يجذب الوتر ويقيم بينه وبينهم حاجزا من الجثث ··

رأيت واحدا من أصحابى يموت · صرخت · سمع صرخى · التفت · رآنى · تفحصنى بعينيه النافذتين · ادركت انه سوف يقتلنى هذه اللحظة · لكنه بدا مدهوشا وهو يتأملنى · انزل يده المشرعة بالقوس · خيل لى انه يبتسم · كنت اكره هذه الابتسامة · وضعت السهم فى قوسى وهو مازال يتأملنى · أطلقته عليه وهو مدهوشا · خيل لى أن السهم يرتد اذ يلامسه · لكنه نفذ فى كتفه اليسرى · بوغت · لم يتوقع أن أفعل هذا · فكرت · سوف يرد على · لم يفعل · وضعت سهمى الثانى وأرسلته فغاص فى كتفه اليمنى · ظل واقفا · حاول رفع ذراعيه للرد على لكنه كان قد تأخر · والابتسامة على وجهه كما هى · ارسلت السهم الثالث فغاص فى صدره · كنت مندهشا من دقة تصويبى · رأيت قومى يقبلون من الخلف فى حذر · وهو واقف أمامى حتى ظننته يلعب لعبة ما · وأن سهامى وهما · اطلقت السهم الرابع فغاص فى بطنه · ظل واقفا · قلت · سوف يقبل ويقتلنى · اطلقت الخامس على فخذه الايسر والسادس على فخذه الايمن وظل واقفا · اطلقت · أطلقت على وجهه ·· على عضديه وعلى حوضه وعلى قدميه وظل واقفا · قال لى ابى قديما أن أحد المراقين المهرة شاهد أثره وقال هذا لا يقدر عليه أحد ·· أيعرف انني مازلت طفلا ؟·· وان اللعبة اكبر منى ·· انني أطلق سهامى بعنـــاد وهو لا يأبه بذلك · فرغت جعبتى أصبحت بلا حول · بدأ يتحرك · يقبل على · بطيئا · بطيئا · يمد ذراعيه المرشقتين بالســـهام · وقفت أنا متصلبا · مشلولا · لا أستطيع الفرار ·· وفجأة هوى للارض ·· وأدركت ان البريق الذى كان يتوهج فى عينيه ·· قد انطفأ ··



الحذاء والعصفور

قصة بقلم : عبد الحسين غراوي

عند نقطة من مساحة مفتوحة ، امتدت الى الامام ، توقف الجندي متوزع النظرات ، وقد بدا متـوحدا بنفسه ، منذ الوهلة الاولى التي تسـمرت فيها قدماه المنفرجتان اللتان توسطهما قفص ذو قضبان فضية لماعة ·

كان الرصيف الفجوة التي احتل احدى حافاتها ، بحيث اصبح جسمه الفارع موازيا ، من جهة الخلف لبعض البيوت الطينية الواطئة السطوح ، ولم يبق بينه وبين واجهاتها غير خطوات قلائل ·

الشاب ذو الملابس الكاكية التي احكمت حول جسده بصف من الازار الصفراء ·· ظل هكذا ينتصب كالتمثال الشامخ ··

انتبه الجندي ، على أثر صرخة عابثة انطلقت من المكان الذي يقف فيه ، لكنه لا يعرف بالضبط مصدر الصدى الذي تاتي منه ، كان يدنو بتمهل الى خربة مهجورة ارتكنها بيت طيني متهدم تقدمت واجهته رابية مثلثة الرأس ··

في الخربة انتشر اطفال كانوا منشغلين بازاحة صفائح القمامة ، وقسم من الملابس العتيقـة وشظايا الزجاج المتناثر اما الاخرون فبدو في حركة رواح ومجيء دؤوب، وهم يفتشون بدقة عن اعواد القش ، وبعد ان تجمعت لديهم كمية منه تقلدوا حشيثي الخطى ·· يحملون حزما غطت مقدمات وجوهم ·· حين التحق بهم الباقون شكلوا ما يشبه الدائرة · ·وكانت هناك حفرة ترابية صغيرة التفوا حولها ·· ثم تقدم احدهم وكان صبيا ممتلىء الوجه ·· ذا انف واسع المنخرين افترش جانبي شفتيه ·· يرتدي بنطالا مرقعا · عند مؤخرة فخذه الايمن بان صدره من خلال قميصه البني المفتوح ···

بتباطؤ ·· رفع يده ثم مر بها على وجهه مبتسما ، وبدأ بمسح الغبار العالق · وكان الصبي في تلك اللحظة مثبتا قدميه على صخرة مثلومة الرأس ، وبعد ان لوح بيده الى الاعلى وهو ينظر الى اصدقائه ، تدحرجت من فمه للمرة الثانية ابتسامة خبيثة ، ثم رفع احدى قدميه عن الصخرة ، بينما دا[ر] على الاخرى نصف دورة وكان لم يزل ممسكا بيده التي لوح بها عودا من الثقاب ، وقبل ان تنحرف به الصخرة اسرعت لانتشـاله أذرع الصغار يحيطونه ·· الا انه انفلت من وسطهم ضارما النار في الحفرة المليئة بالقش الجاف ، فتصاعدت السنة النار تتلوى محدثة في خفوتها المفاجىء ، اندفاعا متقطعا لسحب الدخان التي تابعت ارتفاعها الى جهات عديدة وكانت خطوطها تتخذ رسومات ذات اشكال متنوعة ·

وقد انسحبت نحو الجندي الذي لم يزل واقفا في مكانه، خيوط دخانية ، كانت تبتعد بعضها عن بعض فلفتت هذه اللعبة انتباهه لضوضاء الصغار بينمـا ظل ساكنا مكتفيا باخراج منديله الرمادي وبـدا يمسح عينيه المتعبتين ·· وبعد لحظات كان الهـدوء قد استتب في المكان ، حيث انشغل الصبية في لعبة اخرى لا تثير الصخب فيما بدت الراس المثقلة بسفر الذاكرة تنحرف قليلا الى جهة الكتف · وحال شعور الجندي بالاسترخاء التام في عضلات رقبته المتكئة رفع يده التي نفض بها الغبار عن ملابسه وقبل ان يسند ذقنه على راحتهـا رمق مؤخرة الزقاق الممتد ، حيث كانت ثلاثة فروع منه تختفي في ازوقة ضيقة ، وعند بداية احدها رأى بيتا ذا ارتفاع ، وهو لم يتاكد بعد ما اذا كان قد شاهده اثناء وقوفه أم لا ·· المهم انه أخذ يتفحصه بامعان الان ··

كان البصيص المتوهج المنزلق من بين الاجفـان المسترخية يبدأ من سياج خشبي تتوسطه قضبان رخيصة صدئة مثبتا عند حافة السطح · ومن تحته مباشرة برزت شرفة ذات مساحة مكشوفة وقد غطتها اوراق كثيفة لشجرة شاهقة متخشبة الجذع حامت حولها عصفورة صغيرة دارت اربع او خمس دورات قبل ان تستكين فوق احد الاغصان· وعلى مقربة ياردات من الشجرة انتصبت نخلة هرمة بدت منحنية الهامة متوغلة في الصمت العذب الشفاف··· بينما لم يكن ثمة مؤنس حقيقي يغلق نافذة تلك الجنية المتوحشة التي اطلت برأسها من النافذة المشرعة لغرفتها التي تواجه الشرفة ·· وكانت لحظئذ ممسكة بمؤخرة مشطها الاسود منشغلة بتصفيف شعرها الداكن المنثور · اما يدها الاخرى فقد امسكت بها مرآة صغيرة مدورة ذات مقبض طويل وهي تتطلع بغنج الى العينين الكحلاوين المبحرتين نحو ذلك اسندس الاخضر المفروش على ضفتي النهر ، الذي تترقبه بين وقت وآخر · وكانت فتـاة الشباك سارحة في خيالها تتامل الحياة الداخلية المتحركة

الحذاء والعصفور

تحت الوجه الرقراق الساكن للماء •• وبنفس الاهتزاز الخفيف تراجعت الى الوراء خطوتين وئيدتين غير انها ما لبثت أن عادت ثانية الى نافذة شرفتها •• ويبدو انها انتبهت هذه المرة الى الجندى حيث ما فتىء واقفا لا يتحرك •• عندئذ احتقنت وجنتاها بمسحة وردية كتلك التى صبغت بها اظفارها تلفتت حواليها يمنة ويسرة • ولاخر مرة مسحت وجه الخواء المفتوح امامها ببريق العينين الناعستين ، ثم اختفت فجاة عندما انغلقت خلفها صفاقتا النافذة • وكانت الضربة قوية بحيث جلبت انتباه الجندى • ولكنه كالعادة لم يتحرك قيد انملة بل بقى في وقفته واجما يتوسط قدميه القفص ذو القضبان الفضية الذى لازم احلامه وتاملاته •

كان حذاءا الجندى ينفتحان الى الجانبين بحركة بطيئة ثم مالبث ان اخذ يعيدهما الى وضعهما السابق ملقيا بثقله هذه المرة على الكعبين اللذين يشبهان حدوتي حصان ثم تركهما اخيرا ينفتحان ثانية بحالة لاشعورية حتى اخذت مقدمتها تقتربان شيئا فشيئا من حافة القضبان الفضية للقفص • ولما اصطدمتا به توقف للتو واخذ ينظر الى زحف الصغار حيث كانوا يقتربون منه • وقبل ان يشارفوا الوصول ، اى على مسافة عشر ياردات انشقوا الى صفين كل صف توجه الى جانب من حافة الرصيف الذى توقف عنده الجندى •• بأستثناء صبي في سنته الثامنة ممتلىء الجسد •• ينتعل حذاءا بلاستيكيا •• ويرتدى بنطالا ذا علاقتين متخالفتى الالتصاق تبتدئان من مؤخرة بنطاله الازرق القصير وتنتهيان عند طباقتين مخيطتين بالقرب من مقدمة فخذيه العاريين •

عندما صار الصغير قبالة الجندى كـــان وجهه البض تشوبه صفرة طفيفة امتزجت فى ردود الفعل المتصارعة في نفسه فانعكست على التقاطيع الشفافة لوجهه •

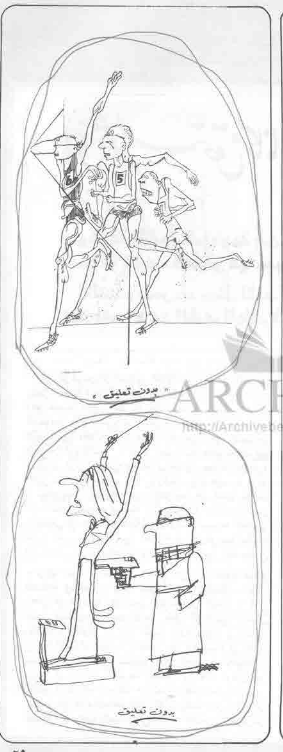
جمد الصغير في مكانه ساكنا دون ان يقول شيئا • غير ان تلك اللحظات التي مرت عليه سرعان ما قلبت مفاهيمه تجاه الجندى الذى بدا له كتمثال شامخ مهول ينظر الى حدقتيه المدفونتين تحت الاجفان المغبرة •• وبعد ان احس بالاطمئنان كليا دحرج بصره اسفل قدمي الجندى حيث استقر امام الفتحة التي احتلها القفص • ثم مد ساقه اليمنى وما لبث ان تبعها بالاخرى التي ثناها نصف انثناءة دافعا بجسده الى القفص بينما ابقى يده ـ التي امسك بها دمية على هيئة دبابة تطلق النار من مقدمتها ـ ملتصقة بخده وموازية لاذنه اليسرى •

لم يكتف الصغير عند هذه النقطة بل اخذ يدنو بوجهه شيئا فشيئا كلما احس بالجندى لم يزجره • ثم تمادى الصغير بلعبته اكثر من قبل حيث ادخل انامله في فراغ القضبين الفضيين المتقابلين • ثم سرعان ما تراجع الصبي مبهورا بعد ان وجد ساقيه عاجزتين عن حمله اكثر من الموقع الذى ابتعد عنه • واخيرا قاوم الحذر المتصلب ونهض متثاقلا وهو يلتقط دميته من على الارض والتي ظلت تطلق النار من مقدمتها •• ووقف وجها لوجه امام الجندى • وتسارع بقية الصغار هذه المرة نحوه يحومون واحدا تلو الاخر حول القفص وهم يحدقون الى الطائر الملون الجميل ••

انحنى الصغار مقرفصين يتطلعون اليه بامعان ، ولكن دون ان يدلوا باية ملاحظة من شانها اثارة حفيظة هذا العملاق الواقف ، بل ظلوا ساكنين يقراون ارتقاب تلك المسافات الطويلة التي حلق بها الطائر قبل ان يقع في قفص القضبان الفضية ••

بقى الصبى يرنو للجنـــدى والى الحذائين الكبيرين ومقدمتيهما اللتين تشبهان حدوتي حصان •• بينما احتل القفص المساحة المفتوحة بينهما • وكان الجندى الذ غرق في البحث طويلا في كل الاتجاهات داخل زقاق هذا الرصيف قد نسى طائره الجميل كما يبدو • ولكنه في الحقيقة ومنذ ذلك الوقت الذى مضى عليه هنا لم يكن يثقله سوى تلك الورقة التى اخرجها من قميص فاتح تحت





جاكيته الكاكى واخذ يقرأ كلماتها متمعنا بركاكة خطها ويستعيد فى خاطره تلك الوجوه المتزاحمة في سباقها العنيف امام محطات القطارات الليلية الصاعدة والنازله وشباك التذاكر، بينما تراخت الحقائب الجدية المتعددة الالوان تتارجح في الايدى المغلفة بالغبار • وهي ربما كانت مليئة بالهدايا لذويهم الذين سيطيرون فرحا بعودتهم في حين يأخذهؤلاء الجنود يروون لهم تلك المشاهدات والحكايات التي رأوها ، بل وربما غامر بعضهم في وصفها فأصبحت عودتهم تستحق ذبح خروف سمين تحت اقدامهم قبل ان تطأ عتبات بيوتهم • اما هذا الجندى فان ما ينقل يده المعروفه طوال اليومين المنصرمين اللذين قضاهما متنقلا من محطة الى محطة ومن شارع الى شارع بعد ان ذاق الامرين من خدر تلك المقاعد الخشبية التي ضمته مع عشرات الوجوه الكالحة فهو ذلـــك القفص ذا القضبان الفضية يتوسطه طائر بريشه المتعدد الالوان يكسوه زهو جميل يكاد يلصق ظله الواهن الى انفاسه اللاهثة كلما عبر به المسافات الطويلة وهو يحلق الى بـريق عينيه المدورتين البارزتين وهما تعومان في محجريهما ؟•••

وتدور حوله الشوارع والحارة والاضرحة ذات القباب الحديثة بل الحياة برمتها بينما يظل هو ساكنا • كانت الورقة مازالت ترتعش بين اصابع الجندى ، وقبل ان يسال الصبي عن العنوان المدون فيها بادره الصبي بصوت متعثر حبيس :

ــ ان طائرك لا يغني ••••

لم تكن الكلمات قد وصلت سمعه بوضوح مما حدا بالجندى ان يحني جذعه موازيا وجه الصغير • فاجابه وهو يسحق بقايا سيجارته تحت كعب حذائه الكبير •

ــ ماذا قلت •••• ؟

ــ لماذا لا يغرد طائرك •••؟

كانت كلمات الصغير ضربة قوية تلقاها الجندى بذهول• فادار بتشنج رقبته الى القفص •• وبيد راعشة رفعه يقربه نحو عينيه حتى لامست شفاه قضبانه الفضية ثم جمد مسمرا في مكانه حيث مضت عليه هكذا دقيقتان كانتا تكفيان لتهشيمه وهو الذى لم يالف الهزيمة من الداخل • وعلى أثر ذلك انتابه قنوط رهيب امتد الى صفحة وجهه فتقلصت التجاعيد التي لم يكن لها مثل هذا اللون الشاحب عند قدومه الى هنا •• واعاد قصاصة الورق الى جيبه وكان لمضمونها عبئا يثقل كاهله ، ورفع يده واعتصر صدغيه ثم حرك كعب حذائه الايسر ملقيا بثقله عليه واستدار بتباطؤ تاركا الرصيف وراءه حاثا خطاه ، وهو يتقدم هذه المرة الى الامام يصغي بانتباه لنقرات خطواته التي كانت تسقط قوية فوق حافة الرصيف التي حاذاها في سيره ، وقد بدت لزجة مغسولة بمطر الايام الفائتة بينما تابع طريقة عابرا الجسر الحديدى حاملا القفص ذا القضبان الفضية وفي داخله طائره الميت •••

محمد جابر الأنصاري

أي شعر يستحق مكانا في القرن العشرين؟

وظيفة الشعر المزدوجة بين الغناء للزهور .. والغناء للقضية
شاعر لا يحب العيش في مدينة الشعراء ..!
الالتزام ليس ضد جمال الأدب .. انه من اجل عظمة الأدب
نهى للاسلام عن الشعر الهائم في كل واد ، الذي يقول ما لا يفعل

على الرغم من ان الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي يشغل منصبا ابعد ما يكون عن دنيا الشعر والخيال ، وهو منصب وزير الكهرباء والصناعة في المملكة العربية السعودية ، فان غريزته الشعرية تعاوده بين حين وآخر فيطل علينا اطلالة ادبية فيها الكثير من مسحة الشعر وعوالمه الرومانسية • فلقد بعث الينا بديوانه الرابع « ابيات غزل » الذي وصفه ـ مداعبا حاستنا النقدية الالتزامية الواقعية ـ بانه « رومانسيات قصيرة » او « سندويشات شعرية » ـ وذلك بعد أن قدمنا دراسة عن الشاعر وشعره في عدد يونيه ١٩٧٦ بعنوان « جيل رومانسي في عصر الواقعية » وادرجنا نتاجه الشعري ضمن المدرسة الرومانسية الذاتية على الرغم مما يحتويه من عناصر المتانة والجزالة والمعاناة الجماعية المتضمنة •

وانها لظاهرة صحية ان يجمع المرء بين هموم عالم الصناعة في عصرنا وبين هموم الشعر والجمال ، وأن يتمكن من الموازنة بين هذين النوعين من الهموم • ففي الغرب يشكون من استفحال خطر الآلة على الانسان ويطالبون بالعودة الى دنيا الشعر ، وعندنا في الشرق ترتفع الاصوات مطالبة بالتقليل من الهيام في اودية الشعر والتوجه نحو التصنيع الذي تاخرنا في تحقيقه • ويبدو ان المعادلة الصحيحة تتلخص في اقامة توازن بين العالمين في ثقافتنا وحياتنا • ونحن نغبط الصديق الوزير الشاعر على هذه المعادلة المتوازنة ، ولكنا نامل ان تؤثر الصناعة وعوالمها الصلبة في شعره فتعديه بشيء من الواقعية ـ والصناعة هي أم الواقعية ـ حتى يجيء نتاجه الشعري المقبل اكثر اقترابا من ارضية عصرنا الراهن ومعضلاته • ولا نظن ان ديوان « أبيات غزل » يمثل خطوة في هذا الاتجاه ، بل انه خطوة او عودة الى رومانسية الشباب الاول ، لذلك فلن نتعرض له هنا وسنكتفي بوصف الشاعر لديوانه بانه رومانسيات قصيرة •••

قضية للمناقشة :

غير ان الشاعر ـ تفاعلا منه فيما يبدو تجاه ماطرحناه حول شعره من تقييم واقعي واهتماما منه بقضية الشعر في عالمنا المعاصر بصفة عامة ـ كتب بحثا نثريا قصيرا بعنوان « هل للشعر مكان في القرن العشرين » والقاه كمحاضرة عامة في نادي « الطائف » الادبي بالسعودية ، الذي قام بطبعه في كتيب ضمن مطبوعاته الادبية • وعلى الرغم من ان هذا المبحث الوجيز والمركز يمثل دفاعا عن الرومانسية وذاتية الشاعر في وجه مطالب المجتمع بصفة عامة ، إلا انه يمثل مع ذلك جسرا بين نظرتنا ونظرة الشاعر لفن الشعر ودوره وان كان يقف هو على جانب من ذلك الجسر ونقف نحن على الجانب الآخر منه • يقول الدكتور غازي في مبحثه هذا : « ••• انني احتاج الى دليل يقنعني بأن تاثير الشعر السياسي والاجتماعي كان دائما وابدا في جانب الخير والحق والعدالة • من الشعراء من تغنى بالحرية ، ومنهم من مجد اعداءها • من الشعراء من تحرق الى العدل ومنهم من افتخر بالظلم •

منهم من دعا الى الحب ومنهم من حث على الحقد • منهم من تاق الى غد افضل له ولمجتمعه وللانسانية ، ومنهم من هام باسوا ما في نفسه وما في مجتمعه • انني شخصيا أعتذر عن الاقامة في « المدينة الشاعرة » ، ان وجدت مثل هذه المدينة ، لانها لن تكون أحسن من اي مدينة اخـــرى • واعتذر عن السكن في ايه مدينة يحكمهـــا امرو القيس وعنتره والحطيئة والفرزدق وجرير والمتنبي ـ او لجنه من هولاء مع اعجابي الشـــديد بشاعريتهم ••• انني استغرب عندما اسمع النقاد يدعون جميع الشعراء الى اصلاح مجتمعاتهم وتحرير اوطانهم ، استغرب لان من الشعراء من لا يستطيع ان يصلح نفســـه فكيف يصلح مجتمعه ، ومنهم من لا يستطيع ان يتحرر من اهوائه فكيف يحرر وطنه • وانني استغرب اكثر عندما اجد من يتوقع من الشاعر ان يكون مفكرا حكيمـــا يرسم لبني قومه الطريق ويستجلي لهم دروب المستقبل • ان الشاعر ليس أذكى من غيره ، ولا احكم من غيره ولا اشد وطنية من غيره : لا يميزه عن غيره الا انه يقول الشعر » •

التزام •• او ••• لا التزام

من الواضح هنا ان الشاعر يطرح القضية الازلية في الأدب ـ قضية « الالتزام » أو « اللا التزام » ، قضية « الفن للفن » أم الفن للحياة « ـ مشككا قدر الامكان في امكانية ربط الشعر بالبعد الاجتماعي •

والحقيقة ان قضية الالتزام وقضية البعد الاجتماعي للشعر ـ خاصة ـ من تلك القضايا التي لا يمكن الافتاء فيها بقول جامع مانع لأنها قضية لها وجهان مرتبطان كوجهي العملة وعندما يحاول المرء تحديدها بقول فاصل



د. غازي القصيبي



حاسم تنسل من بين يديه كانسلال « اكسير الحياة » من بين أيدي الفلاسفة القدماء وهم يحاولون اصطياده بين أحجار الكيمياء القديمة • لذلك فان اديبا وفيلسوفا التزاميا مثل سارتر ـ الذي يعد من اكبر دعاة الالتزام الادبي والحياتي في عالمنا ـ يخـــرج الشعر من دائرة الالتزام في كتـــابه الشهير « ما الأدب ؟ » ويعتبره من الفنون الجميلة الذاتية كالموسيقى ، ويرى ان الشاعر معفي من دعوة الالتزام وفروضها • بينما يرفض شاعر ـ خبر الشعر وتجاربه ـ كعبد الوهاب البياتي هذه الفكرة ويرى ان الشاعر ـ على عكس ما يقوله سارتر ـ انسان ملتزم وغارق حتى اذنيه في بلبال هذا العالم وهمومه •

الرومانسية قد تلتزم ••

اما جبران خليل جبران ، الشاعر الرومانسي الاكبر في أدبنا العربي الحديث فيقول : « نعم أيها السادة ، ان المغنين والشعراء في الشرق هم حملـــه المباخر ، بل هم العبيد • وقد فرض عليهم ان ينشـــدوا في الاعراس ويترنموا في الحفلات ويندبوا في المآتم ويرثوا في المقابر • هم الالات التي تدار في أيام الحزن وليالي الفرح • ان الفن طائر يسبح محلقاً عندما يشاء ، ويهبط الى الأرض عندما يشاء ، وليس من قوة في هذا العالم تستطيع تقييده او تغييره • الفن روح سام لا يباع ولا يشترى • وعلى الشرقيين أن يعرفوا هذه الحقيقة المطلقة » •

ان جبران يرفض هنا أدب الاجتماعيات والمناسبات الذي كان شائعا في الشعر الكلاســيكي كشعر شوقي وحافظ ويؤكد حرية الشاعر الذاتية الفردية ازاء ضغط المجتمع ، ولكنه يقول ان للشاعر الحق ان يحلق سابحا

أي شعر يستحق مكانا في القرن العشرين ؟

في الفضاء ، وان له الحق أيضا ان يهبط الارض ليواجه حقائقها ومشاكلها عندما يشاء • وهذه العبارة تشير الى مسالة هامة وهي ان الشعر الرومانسي ليس كله هموم ذاتية ، وانه يمكن انيتطرق الىصميم المشكلات الاجتماعية كادب جبران نفسه الذي تصدى للاقطاع والطائفية في لبنان بقــوة رغم رومانسيته وكادب المنفلوطي وعلي محمود طه بمصر •

مفهوم اليوت للالتزام :

و··ن اذا أردنا تحليلاجديا لمعضلة الالتزام واللاالتزام، فلابد، ان نراجع كتابات نقدية للشاعر الامــريكي ــ الانجليزي المحافظ ت•س• اليوت كتبهــا عام ١٩٣٦ وطرح فيها مشكلة الالتزام من وجهيها الجمالي الصرف ، والفكرى الالتزامى • حدد اليوت مبدئين يظهران للوهلة الأولى متناقضين ولكنهما في الحقيقة يتكاملان :

أولا : ان عظمة اي ادب لايمكن ان تحدد بالمعــايير الأدبية وحدها •

ثانيا : انه لايمكن التفرقة بين الأدب وغيره الا بالمعايير الأدبية وحدها •

ولنبدا بالعبارة الثانية مستخدمين امثلة من شعرنا العربيفقياسا بالمعايير الأدبية وحدها نرى انعمر بن ابي ربيعة اقوى شاعرية من أبي العتاهية مثلا لأن شعر الأول فني جميل متقن الحبك ، قريب الى النفس أما شــعر الثاني فوعظي متكلف تغلب عليه النثرية • في هــذه المقارنة لابد أن نسلم ان شعر عمر بن أبى ربيعة أجمل وافضل ــ رغم غزله الفاضح ــ وأن شعر أبي العتاهية اضعف وادنى رغم اخلاقيته الفاضلة وهدفه الاجتماعي المثالي • لقد استخدمنا هنا معايير أدبية خالصة للحكم •

ليس بالادب وحده ••

والآن لنعد الى المبدأ الأول القائل بان عظمة الأدب في النهاية لا تقررها المعايير الادبية الخالصة وحدها • لنضع شعر عمر أبي ربيعة الغزلي الممتع بازاء شعر أبي الطيب المتنبي •• فماذا نرى ؟

نرى ان شعر الشاعرين ــ بالمقاييس الأدبية ــ يتساوى في الصياغة والمتانة •• ولكن هل قال احد من نقاد العرب ــ او المستشرقين ــ ان شعر ابي الطيب في التحليل النهائي يتساوى وشعر عمر بن ابي ربيعة ؟

لم يقع اي ناقد في مثل هذا الخطا • ان شــعر ابي الطيب يتفوق بما لا يقاس على شعر ابن أبي ربيعه ••• والسبب ؟

السبب الواضح يتلخص في أن دائرة معاناة المتنبي للحياة وقضايا الحضــارة والمجتمع اعمق واغنى واوسع من دائرة معاناة عمر بن أبي ربيعة ، ولهذا فان الفن الخالص وحده لا يكفي للتمييز بينهما بل لابد من معايير فكرية ، اجتماعية ، حضارية هنا لتفضيل فنان على فنان آخر • وهكذا ينطبق طرفا معادلة ت• س• اليوت • اننا نستخدم مقيــاس الفن اولا للتمييز بين العمل المكتمل والعمل الناقص ، ولكن عندما يتساوى العملان الادبيان فنيا فلابد من تحكيم معيار المعاناة وابعادها في التفضيل والتقويم •

موقف الاسلام من الشعر

والقرآن الكريم يرشدنا لتبين أبعاد قضية الشعر ودوره في هذه الاية الكريمة : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الا انهم في كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون» •

ان نقاد الأدب العربي يمرون بهذه الآيــة دون ادراك مغزاها الحقيقي باعتبارها دعوة لا لشجب الشعر ككل


جبران


لويس عوض

ولكن لنبذ الشعر الهائم في أودية الخيال السارح ، الشعر الذي يفصل بين مفهوم القول ومفهوم العمل ، واستبداله بالشعر المومن بدعوته وقضيته ، المـرتبط والملتزم بحدودهما الذي يقول ويفعل ما يقول ، أي يربط بين القول والفعل • (وهذا الربط هو جـوهر الالتزام) فالمعروف ان الاسلام لم يحرم الشعر من حيث المبدأ • ولكنه اكتفى بتوجيه هذا النقد الى شعراء العصر الهائمين في الأودية ، القائلين ما لا يفعلون • وهو نقد ينطبق اليوم تماما على الشعر التهويمي الذاتي كما انطبق في الامس على شعراء الجاهلية الذين لم يلتزموا بقضية الدعوة • ومن ناحية أخـرى فالحكمة المأثورة القائلة « ان من البيان لسحرا » تمثل اعترافا باهمية « سحر » الصياغة الفنية في البيان الأدبي ، ولكن اي سحر ؟ انه سحر الجمال المرتبط ــ في الوجه الآخر ــ بالمضمون ، بالفكرة السامية ، بالدعوة ، وبقضايا الحق وهكذا فان موقف الاسلام من الشعر هو دعوة للالتزام وللشعر الملتزم بقضية الحق ، لا رفضا للشعر من حيث هو شعر ، بدليل ان النبي العربي الكريم كان يشـجع حسان بن ثابت على قول شعر الالتزام الاسلامي • والرواية التاريخية الأدبية التي تقول ان الخليفة عمر بن الخطاب اوشك على قطع لسان الشاعر الحطيئة لاقذاعه في الهجاء الشخصي والحزازات الذاتية ، دليل على رفض الاسلام لهذا النوع من الشعر التخاضع لاهواء الشاعر ونزواته الخاصة ، وعمله على تصحيح انحراف الشعر الجاهلي ــ الذي سار على نهجه الحطيئة وامثاله كالفرزدق وجرير ــ الى مسار شعري اقل ذاتية وأكثر ارتباطا والتزاما باخلاقية الامه واهدافهما الجماعية ومثلها العليا •

الالتزام •• لا الالزام

وغني عن البيان ان مدار بحثنا كله يتركز حول « الالتزام » وليس « الالزام » ، اي الاقتناع النابع من ذاتية الشاعر ومن اعماقه بالموقف الذي يقرر هو « الالتـزام » به ، أما الالزام الخارجي للشاعر فلا يمكن أن يقبل به احد ، واذا طبـق في بعض المجتمعات ذات الأنظمـة الكليه (التوتاليتارية) ــ كما هو الحال باوربا الشرقية مثلا ــ فانه تطبيق مرفوض من النقاد الانسانيين الأحرار شكلا وموضوعا •

وللدكتور لويس عوض ، الناقد العربي المعـروف ، راي وجيه بهذا الصدد وهو ان يكون الالتزام بالحياة لا بالمجتمع • فالحياة أوسع واعمق وتشمل المجتمع كما تشمل الكون والانسان الفرد وتجمع بين الايجاب والسلب، وبين الألوان المضيئة والألوان القاتمة بل تجمع الوان قوس قزح كلها • ومن جـانب آخر فليس المقصود « بالموقف » الشعري أن يكون الشاعر ملتزما بهـذه الايديولوجية أو تلك ، داعيا لهذا الرأي أو ذاك • ان المقصود « بالموقف » أن يكون للشاعر نظرة ذات نكهة خاصة للوجود والاشياء • ان شاعرا كعمر الخيام مثلا نظر الى الكون بمنظار « الحيرة » الانسانية في رباعياته وصور لنا بصدق كيف يقف الانسان عاجزا أمام حل الغاز الوجود كما ان الشاعر ايليا أبو ماضي وقف « موقفا » مشابها في قصيدته المشهورة « لست أدري » ليصور عجز الفكر الانساني أمام الكون العظيم • ان الشاعرين لم يقوما بالدعوة المباشرة أو غير المباشرة لأية فكرة بالذات • لقد صورا لنا « موقفا » انسانيا ، لقد قدما لنا نظرتهما الذاتية الصادقة ازاء الحياة والكون • وهذا يكفي • انهما ــ بمعيار الالتزام الانساني الحر ــ شاعران ملتزمان بموقف •• ولكن هذا الموقف هو موقف « الحيرة » •• ان هذا لا يقلل من التزامهما الصادق بمعضلات الحياة وقضاياها كما بدت لهما بصدق •

أما أن ينطلق الشاعر خلف نزواته الذاتية كالفرزدق وجرير ويندفع مقذعا في الهجاء ــ او المدح او الحب لا فرق ــ فماذا تراه يقدم لنا من اغناء للحياة واخصاب لها •• وعلى الطرف المقابل في شعرنا يقف المتنبي والمعري حيث اتخذا « الذات » معبرا الى موقف اكبر واشمل •••

الشعر ومفهوم النفع

ثم ان الدكتور غازي يجانب الدقة عندما يصور فكرة الالتزام بانها دعوة من النقاد للشعراء كي يصـلحوا مجتمعاتهم ويحرروا اوطانهم • ان المطلوب من الشاعر هو ان يستوعب الحياه وتجاربها المتنوعه المتضاربه من فرديه وجماعيه ضمن دائرة وعيه الشعري ثم ان « يعبر » عن هذا الاستيعاب في ابداع جديد متميز ، لا أن يصلح او يقدم برامج عملية نافعة والشاعر قد لا يكون اذكى واحكم من غيره ولكنه اكثر حساسيه من غيره • والمطلوب تعميق هذه الحساسية وللناس الذين يتماعنون مع تعبيره بعد هذا أن يفعلوا ما يدفعهم ذلك التعبير الموحي ويستثيرهم الى فعله • وحتى الشاعر المغرق في ذاتيته الذي يغازل

أي شعر يستحق مكانا في القرن العشرين ؟

حبيبته ٠٠ هل نراه يفعل شيئا « نافعا » لحبه : هل يساعد عزله على زواجه من محبوبته بشكل عملي مثلا ؟ ام ان هذا الغزل هو تعبير اضطراري عن شيء مكبوت في الصدر لا يستطيع الا ان يخرجه في شكل صياغة فنية ٠٠ حتى لو ادى ذلك الى ابعاد حبيبته عنه ٠٠ كما حدث لمجنون بني مع ليلاه ٠ لقد اخفق المجنون في حبه ولم تفده اشعاره شيئا ، بل اضرته عمليا ، ولكن هل نلومه ؟ حسبه انه ارضى الفن بذلك الشعر الرائع الجميل ٠ ومثله تماما اولئك المتغنين باوطانهم وقضاياهم ـ حتى أبدعوا ـ حسبهم الشعر الرائع ٠ ويقترب الدكتور غازي من جوهر المسألة عندما يقول : « يربط الشعر قارئه بالتجربة الانسانية للبشر أجمعين ٠ ان الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحول تجربته الفردية الى موقف انساني : حبيبة الشاعر تصبح حبيبة كل انسان ، والم الشاعر يصبح الم كل انسان ٠ وهكـــذا يصبح القارىء جزءا من التجربة الانسانية التي تحدث عنهـا الشاعر ٠٠ » ونحن نقول للصديق هذا كلام عظيم ، ولكن ما رايك لو كانت حبيبة الشـــاعر هي أرضه المفقودة المستباحة ، وماذا لو كان ألم الشاعر هو الم الملايين المعذبة في الارض ، او الم المعاناة الانسانية لمأساة الوجود ٠٠ هل نقول له ان هذا التحويل للحب من المرأة الى الارض ، ومن لوعة الحب والغرام الى لوعة المشاركة والمعاناة شيء غير جائز في الشعر لأنك خرجت على ذاتيتك ودائرتك العاطفية الخاصة ؟ أم نقول له ما أروع هذا التعميق لدائرة الذات الشاعرة التي اتسعت فشملت حبنا الكبير وألمنا الكبير ؟ ان الشاعر هو صاحب الحق وحده في تضييق الدائرة او توسيعها كما أشار الى ذلك ذات مرة الاستاذ ابراهيم العريض ٠

شعر للقرن العشرين :

والحقيقة اننا سئمنا الشعر الدعاوي المباشر كمـــا سئمنا الشعر الرومانسي الاجتراري الذي يلف ويدور داخل قوقعة الذات بلا اغناء جديد أو كشف شعوري جديد ٠ ان النوعين من الشعر يمثلان التطرف ، هذا ذاتيا ، وذاك جماعيا ٠

وليست المسألة « هل للشعر مكان في القرن العشرين » بل المسألة «أي شعر يستحق مكانا في القرن العشرين ؟» والجواب هو ذلك الشعر الذي يستوعب ـ بشكل فني ـ قضايا القرن العشرين ومعاناة انسانه بابعادها المختلفة ، بل والمتناقضة ٠ بصدق وجرأة ٠ فالشاعر الحق لايستغني عن الجرأة الأخلاقية بالاضافة الى المقدرة الفنية والا اصبح بهلوان الفاظ ٠

وأخيرا ، فاي تنظير للشعر لابد ان يشمل تراث الشعر الانساني كله لا الشعر العربي وحده ٠ فشـعرنا فيه نواقص كثيرة ولابد ان يستهدي بالشعر العالمي وهـذا ما لم يفعله الدكتور غازي في مبحثه عن الشعر ٠٠٠

غير انا نشكره لاثارته الموضوع واستثارتنا لهـذه المناقشة الممتعة ٠٠

محمد جابر الأنصاري

هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟

نص المحاضرة التي القاهـا معالي الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي وزير الصناعـة والكهرباء في نادي الطائف الأدبي ليلة الثلاثاء ٢٧/٢٨ / ٨ / ١٣٩٦هـ

نادي الطائف الأدبي

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

(هـديـه)

الذكرى السادسة عشرة للشاعر الذي عبر عن وجدان الشعب والأمة

قوة بوليسية هاجمت بيته بسبب المسلة والغازوق

كمال سعد

صفحات ضائعة من

حياة بيرم في تونس

فى ١٥ يناير كانت الذكرى السادسة عشرة لوفاة فنان الشعب بيرم التونسى ** ذلك الفنان الذى يعتبر قيمة عظمى فى تاريخنا الادبى وتاريخنا الوطنى ، الفنان صاحب الكلمة الشريفة ** الشجاعة ** الذى عبر طوال حياته عن وجدان الشعب والامة ** وكانت كلماته بلسما للطبقة التى عانى معها عذابها ** وكانت ازجاله واناشيده مليئة بالسخرية والغضب الشديد الذى الهب حماس المتلهفين على حريتهم وحقهم فى الاستقلال **

هذا الفنان الشامخ مازالت هناك جوانب عديدة فى حياته لم يكشف عنها بعد ** وهنا نقدم قصته او تجربته فى تونس خلال السنوات التى قضاها فى المنفى بسبب كلماته التى كانت عاصـــفة فى وجه كل الاحداث **

وقبل الدخول فى تفاصيل حياة بيرم فى تونس اثناء المنفى ، نود ان نعرف اولا ان جده الشيخ مصطفى بيرم رحل من تونس الى الاسكندرية بعد خلاف مع اقـــاربه هاجر بسببه من موطنه الاصلى ووصل الى الاسكندرية فى عام ١٨٤٠ ، اى قبل الاحتلال الانجليزى بحوالى اثنين واربعين عاما ** واشتغل فى الميناء ثم عمل فى تجارة المنسوجات ، وتزوج من فتاة من بنات الاسكندرية ، انجبت له ثلاثة اولاد كان احدهم « الحاج محمد مصطفى بيرم » الذى تزوج من فتاة نصفها اسكندرانى ونصفها الاخر تونسى هى والدة بيرم التونسى .

المهم ، ان بداية اتصال بيرم بتونس كانت عندما صدر امر بترحيله الى خارج البلاد عقب اصداره لمجلتى المسلة والغازوق ١٩١٩ اللتين كان يهاجم فيهما بصفة مستمرة الاستعمار والاستغلال الاجتماعى

لقد استطاعت الحكومة ان تصدر امرا مع القنصلية الفرنسية بابعاده عن مصر فهاجمت بيته فى ليلة عيد الاضحى الموافق ٢٥ اغسطس ١٩٢٠ قوة بوليسية يصحبها مندوب القنصلية الفرنسية حيث انتزعوه من بين اهله واولاده والقوا به على ظهر الباخرة « شيلى » المتجهة الى تونس موطن اجداده (!!) .

وكان عمر بيرم وقتها لا يتجاوز السابعة والعشرين واكبر اولاده فى الســـابعة من عمــره !

مفتاح التركى

وفى ميناء تونس القت الباخرة شـــيلى ببيرم التونسى الذى كان لا يعـــرف لماذا ارسلوه الى هذا المكان بالذات وهو لا يعرف من امره شيئا غير تلك القصة التى روتها امه ذات ليلة عن جده واهل ابيه **

ويبدا بيرم منذ اللحظة الاولى لوصوله فى

عمه يقول له جدتك كانت جارية

قضى اغلب حياته منفيا ومطاردا



السؤال عن أهل ابيه الى ان يهتدى الى مكانهم ••

ويلتقى بعم والده وهو كبير الاسرة واسمه « على مصطفى بيرم » الذى ما ان رآه حتى قال : « كانت ولد عمنا » !

وقال له بيرم وهو يحنى راسه احتراما لعمه الذى فى مقام والده : « انا محمود •• محمد مصطفى بيرم ياعمى » ••

وانتفض عمه كان ثعبانا قد لسعه وصاح فى وجهه : « آه •• جدتك الجارية التيكانت عندنا واهداها السلطان التركى لاسرتنا »!

ولم يعلق بيرم على عبارة عم والده فقد تحامل على نفسه وانطلق من المكان فى لمح البصر وهو يلعن اليوم الذى جعله مضطرا للذهاب لهذا الرجل الغليظ القول !

وبدأ يبحث عن عمل يعينه فى الحصول على قوته فى تلك المدينة التى نبذه فيهـــا أهل ابيه ••

ويحس بيرم من خلال معايشته للنـــاس واندماجه بينهم أن ماساة تونس هى نفس ماساة مصر ، او كما قال لى بالضبط فى احد لقاءاتى به قبل وفاته « لم اجد فرقا بين ماكنت أراه فى مصر وما رايته فى تونس ، وقد ادركت ذلك منذ رايت الاجانب وهم يوقفون شرائح من ابناء العرب الاماثل فى الجو المثلج عند سوق الخضار ليعملوا فى حمل الاقفاص نظير اجر لا يكاد يســد الرمق » ••

وقال لى بيرم ايضا : « لم استطع ان اتحمل هذه الصورة وغيرها فقررت ان اجند قلمى فى الدفاع عن هؤلاء البشر وان اشرح قضيتهم واطالبهم بالثورة على جـــلاديهم وظالميهم، فبدأت اتصل ببعض الكتـــاب التونسيين للاشتراك معهم فى اصدارصحيفة، ولكن الادارة الفرنسية كانت تضعنى تحت المراقبة منذ وصولى، باعتبارى مشاغبا وباعث ثورات ولهذا فشلت فكرة اصدار الصحيفة:

ويضطر بيرم الى البحث عن اى عمل، فيعمل فى بعض الاعمال التىتحتاج الى قوة جسمانية، ولكنه بعد اربعة أشهر بالضبط يكتشف ان البوليس بدأ يضيق الخناق عليه، ويتتبعه فى كل مكان يذهب اليه، فقرر الرحيل من تونس بعد معاناته فيها بصورة لم يسبق لها مثيل :

وقد ترك بيرم عقب وفاته بعض الاوراق التى كان يعدها كمشروع لمذكراته ،وقال فيها عن تلك الفترة : « اتصلت فى تونس بالعائلة التى قال جدى وابى انهما ينتميان اليها هناك، فاقتصرت صلتى بها على المجاملات البسيطة، فالعائلة انتهى امرها،الى انصارت عائلة اقطاعية ذات مناصب وتنطـــوى على نفسها » ••

وقال بيرم ان الدعاية التى كانت تحوطه فى تونس نظرا لانتماء عائلته الى الاصـــل

طرد من مصر وطرد من تونس وطرد من فرنسا

التركي، هي أنه كان احد الثائرين في مصر ضد انجلترا لمصلحة الاحتلال التركي ••وكان عندما يعود من جولته اليومية الى الفندق الذي ينزل فيه فان مديره يقول للخدم : « اعطوا التركي مفتاح غرفته عشان يرقد »!

واضاف قائلا : « ولم استطع ان اجد عملا في تونس، فقد وجدت الجميع يعتقدون عندئذ ان التعاون معي بمثابة عمل عدائي ضد الاستعمار ،الذي كان قد خرج منتصرا من الحرب العالمية الاولى وتفرغ للبطش بالشعوب المغلوبة •• وكان لابد عندئذ ان اذهب الى فرنسا عسى ان اجد ابواب العمل مفتوحةبها والجو كله حرية •• ولكن كان امامي عقبتان •• الاولى عقبة اللغة فلم اكن اعرف حرفا واحدا في اللغة الفرنسية •• والثانيه ان الاجانب كانوا في ذلك الوقت غير مسموح لهم بالعمل في فرنسا الا اذا اشتغلوا اولا في بعض الاعمال الخطرة مثل مصانع الصلب والغازات الخانقة »!

العودة الى تونس

الا ان السلطات الفرنسية تعيد بيرم الى تونس في عام ١٩٣٢ باعتبارها موطن اهله، وذلك لثاني مرة ، وعلى اثر ازمة البطالة التي انتشرت بين العمال الفرنسيين ••

ويحاول بيرم اثناء ذلك ان يدفع الرسوم الطويلة لاصدار جريدة خاصة الا انهيضطر للعودة الى الاعمال الشاقة بعد اربعه اشهر من انتظار التصريح الذي كان من المفروض ان يصدر الصحيفة بناء عليه !

وكان بيرم في خلال تلك الشهور يشكو من مرض بعينيه ويتضح هذا من خطابه الذي ارسله لابنته « نعيمة » في القاهرة، وقال لها فيه انه يشعر بتعب شديد في عينيه ، وأن اجراء العملية غير متيسر في تونس، ولهذا سيحاول الحصول على اذن من السلطات الفرنسية باجراء العمليه في دمشق !

وطلب منها في نفس الخطاب ان تحمس اخاها « محمد » في مذكراته حتى يحصل على البكالوريا •• كما ارسل لها مجموعه من الازجال، طلب منها ان تذهب بها الى متعهد الصحف « ماهر فراج »، ليطبعها في كتاب يستطيعون الاستعانة بربحه في المصاريف •• الا ان متعهد الصحف اخذ الازجال وطبعها في كتاب صغير من ١٥ صفحة ثم عاد للابنة بعد توزيع الكتاب ليوهمها بانه لم يوزع سوى الف نسخة فقط !

الباخرة البائسة

ويستطيع بيرم التونسي، وبعد جهد شاق، الاتفاق مع صاحب جريدة تونسية اسمها « الزمان » على نشر عدة مقالات له على صورة مذكرات تتضمن صفحات هامة عن رؤياه وتجاربه في المنفى ••

ويبدا في نشر تلك الصفحات في صحيفة الزمان في اول مايو عام ١٩٣٣ ••

ومن خلال تلك الصفحات نتعرف علىنبضات قلب بيرم الانسان وما حدث له في المنفى منذ رحيله عن مصر وسنوات تواجده في فرنسا •

فهو تارة فوق الباخرة شيلي •• في احقر درجاتها •• فقد تكرم عليه قنصل فرنسا بتذكرة وضيعة على نفقة الحكومه الفرنسية •• ووجد نفسه عقب ترحيله من مصر وهو فوق هذه الباخرة البائسة، التي تضم عشرات العائلات السورية الفقيرة المهاجرة الى امريكا الجنوبية، والذين كانوا يحتلون معه ارخص الاماكن في الباخرة وهي السطح والقاع !

وما ان اقتربت الباخرة من ميناء مرسيليا حتى هرع مع الركاب ليشاهد المدينه بما تحتويه منمعالم شهيرة ،من بينها برجنوتردام وقبات الكاتدرائية •• ولكن رؤياه للمدينة قبل دخول الباخرة لم يستمر طويلا •• فقد اقترب منه احد ضباط الباخرة وقاده الى حجرة اغلقها عليه بالمفتاح، ولم يفتحها له الا عندما وصل الى الباخرة ثلاثه من رجال البوليس في احد اللنشات، قاموا بعمل بعض الاجراءات الرسمية التي لابد ان تتم مع اى انسان منفى، ثم انزلوه الى البر مع ركاب الدرجة الاولى !

وفي مقالة اخرى روى لنا كيف استطاعان يخدع قنصل انجلترا في ليون، وحصل منه على جواز سفر للعودة الى مصر باعتباره تونسيا يريد زيارة عائلته في القاهرة •• وعاد بيرم فعلا الى مصر في ٢٧ مارس عام ١٩٢٢ على باخرة يابانية ،كان عليها بعض الطلبةالمصريين العائدين من مدينة ليون، ووصل الى ميناء بورسعيد ،ومكث متنكرا باسم المدرس محمد صابر، ثم سافر الى الاسكندرية لحضور زفاف بعض الاقارب، فقبضوا عليه ورحلوه مرة اخرى !

رحلة جديدة مع العذاب والتشرد والألم في سوريا

محارب عنيد في تونس ورسام موهوب في مرسيليا

يشوي بصلة على لهيب قصائد أبي العتاهية وخطابات سيد درويش



وقد حاول بيرم فى مقالاته التى نشرها فى صحيفة « الزمان » أن يجتر ذكريات المنفى، وماعاناه من ضيق وفقر وجوع، فقد بحث يوما من اى شيء ياكله، فلم يجد فى حجرته غير بصلة شواها على لهيب قصائد ابى العتاهية وخطابات سيد درويش وعباس العقاد التى كانت تصله فى المنفى •• كما انه اضطر يوما ان يعمل طول النهار فى احدى الملاحات مقابل اربعة فرنكات فقط !

وقد كانت من امتع مقالاته فى صحيفة « الزمان » ماكتبه عن مارسيليا او الميناء الذى كان أول مكان يستقبله فى فرنسا عقب نفيه من مصر ورحيله من تونس •• الا ان كتاباته عن ذلك الميناء فى الصحف التونسية تنقصها الحلقة التى نشرها فى العدد ١٨٠ من جريدة الزمان الصادرة بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٢٣ •• فقد بذل المهتمون بالثقافة فى تونس جهودا كبيرة للعثور على ذلك العدد، ولكن دون جدوى !

نساء مرسيليا

ومن مقالاته عن مارسيليا عرفنا انه عاش بها خمسة اعوام •• وانه كتب عنها عشرات المرات جادا وهازلا •• ولم يسام الكتابة عنها ولو مرة واحدة •• فقد احب شمسها الساطعة •• ورجالها الذين كانوا اول من قابل الالمان فى ميدان القتال •• كما فتن بنسائها اللاتى يتمتعن بجمال الوجوه وجمال الابدان وليونتها التى تنبه كل كامن من الاحساس، وتحرك كل ساكن من الشعور !

وفى تلك المقالات صور الحياة فى ذلك الميناء الملىء بالحركة والنشاط، حتى ليخيل لك انك أمام رسام موهوب، لوحاته مليئة بالتفاصيل الدقيقة والالوان الفنيه والمشاعر التى لا تعرف الزيف او الكذب •• ففى المدينة التى تطل على البحر، تطالعك كل الصور •• النساء اللاتى يبعن الفواكه الفاسدة فى السوق ويقمن يسرقتك فى الميزان، ومغالطتك فى النقود، ولا تملك ما تقوله لهن غير الشكر والرضا •• وبائعات الهوى اللاتى يذهبن الى قصر نابليون الثانى لتصيد السياح •• وشارع « كانبير » اكبر شوارع المدينة الذى تستطيع منه ان تشاهد حسنات مارسيليا وسيئاتها. فاذا ما ادرت له ظهرك للبحر رايت المبانى الجميلة، والشوارع الواسعة، واذا مانظرت الى الناحية الاخرى فانك لن ترى غير الحى القديم بما فيه من منازل متهدمة يسكنها البلطجية وكل الفتوات الذين يخطفون حقائب السيدات ويسلبون نقود الاجانب، تارة بالتهديدومرة اخرى بعد الضرب المبرح !

صحيفة جديدة

وعقب الصور المتنوعة التى قدمها لنا بيرم، وتهكم فيها على بعض الوان الحياة فى مارسيليا، نراه يقودنا فى رحلة عبرالتاريخ، لنرى الكاتدرائية الشامخة بقبابها المتعددة وهى تطل على الشاطيء ،وكنيسة نوتردام التى تشرف على المدينة كلها وفوقها تمثال ذهبى للعذراء ،وكنيسة « ريفورم » المشهورة بمنشديها ونغماتها التى تجعل المصلين يملاونها فى ليلة الميلاد وسط فرحة وبهجة لا مثيل لها، ثم تنتهى جولته بقصر نابليون الذى تحول الى متحف طبيعى للحيوانات البحرية والمحارات النادرة والاعشاب الغريبة وجميع فصائل الاسماك التى صادها الصيادون



في تونس

يعود إلى بور سعيد متنكرا باسم المدرس محمود صابر

من اعماق البحر المضطرب الامواج !

ولا يكتفي بيرم اثناء وجـــوده في تونس بالكتابة في صحيفة الزمان، ولكنه يستغل مجيء وزارة « ليون بلـوم » التي اباحت حرية الكلام في المستعمرات •• وكان على كل من يريد أن يصدر صـــحيفة ان يدفع رسما ستة فرنكات ويبلغ البوليس عن عنوانه •• واستغل بيرم هذه الفرصة النادرة في أخذ تصريح باصدار صحيفة سماها « الشباب » التي صدر العدد الاول منها في اول أكتوبر عام ١٩٣٦ ••

ورأينا بيرم في تلك الصحيفة، ما ان يرى المستعمر يسخر اهل البلاد بالعمــــل المرهق ولا يعطيهم ما يسد رمقهم، حتى ينهـــال بازجاله اللاذعة عليه •



ويستمر في الكتابة في هذه الصحيفة ذات الامكانيات المحدودة ،فيتحدث فيها ايضا عن المنفى، ويملأها بالازجال المغربية، التي كان من بينها زجل بعنوان « ياسلاك الواحلين » اي منقذ السائرين من الوحل •

وفي هذا الزجل يتحدث عن انقسام العالم الى معسكرين •

وتحقق هذه الجريدة رغم قلة امكانياتها نجاحا في تونس، وتعود طاقة الحظ الى حياة بيرم من جديد •• ويوالى ارسال النقـــود لاولاده في مصر !

وقد قال بيرم عن هذه الفترة في مذكراته: « في تونس كنت اعمل في جريدة اصدرها كلها واوزعها بنفسي هي جريدة الزمان •• وكنت ايضا اشترى الورق، وادفع اجـــر المطبعة •• مقابل غذائي وسجائري ودكان فارغ فيه كنبة أوى اليه في المساء حتى طردني صاحب الجريدة رغم كل ذلك لكثرة نفقاتي •• فتحت جريدة اسمها الشباب •• وتحسنت احوالي •• فاكلت في المطاعم الكبرى، واقمت في الفنادق الفاخرة ولكن ذلك العز لم يدم طويلا » !

وفعلا يبدو ان طـــاقة الحظ لم تستمر لبيرم عقب اصداره لهذه الصحيفة ففي عددها الخامس عشر ينشر قطعة شعرية لشـــاعر جزائري لم يوقع اسمه هاجم فيها فرنســـا وسياسة تحويل العرب الى اوربيين !

كما ان بيرم نفسه نشر قصيدة بعنــــوان الصمت •• تدور حول هذه المعاني نفسها •

وعلى اثر صدور هذا العدد ، صدر امر باغلاق جريدة « الشباب »، وعدم الســـماح لصاحبها بالعودة الى الكتابة في تونس مرة اخرى !

ووقتها اشتد مرض بيرم بعينيه، فطلب من السلطات الفرنسية ان تتعجل التصريح له بالذهاب الى سوريا لاجراء هـــذه العملية، وخاصة ان عينيه يهددهما العمى !

وسمحت له السلطات الفرنسية بالسفر الى سوريا ،على أساس الا يعود الى تونس مرة اخرى •• وان يظل في سوريا الى ان يتصرفوا في امره !

ويترك تونس في عام ١٩٣٨، ليبدأ في سوريا رحلة جديدة مع العـــذاب والتشرد والالم •• فقد كانت سوريا هي الاخرى تحت الانتداب الفرنسي !

كلمات خضراء



متى تستيقظوا بعد رقاد

بعد رقاد طويل دام قرونا لم تشرق شمسها يوما ، بل تركتهم فريسة لظلام الجهل والمرض والتخلف .. تيقظوا وحاولوا محاكاة حضارة اجدادهم الاغريق والرومان بادىء الامر ثم تطوروا وتطوروا واستمر تطورهم متصلا حتى يومنا هذا .

الشيء المؤسف أن هذه اليقظة وذاك التطور قد حولاهم من شعوب بائسة تثير الرثاء الى وحوش كاسرة دائمة التعطش الى خيرات ودماء شعوب العالم الاخرى ، فبداوا يلتهمون العالم شرقه وغربه كما لو كان تركة بلا صاحب، يسلبون الارض ، والبحر والسماء ويحولون بنى الانسان الى قطعان تساق بالسياط للبيع والشراء .

اصيبوا بجنون السلب واحسوا ان العالم انذاك صغير لا يرضى أطماعهم فبحثوا عن المزيد ووصلوا الى عوالم جديدةسلبوها تماما وأبادوا اهلها ولسنا بحاجة للتدليل على ذلك فكلنا يعلم إنه ليس من بين دول العالم اليوم دولة واحدة من اهل الأمريكتين الاصليين ، اختفت هذه الشعوب تماما وامتدت شعوب القارة الصغيرة التى تيقظت مبكرا لتغطى هذه الارض التى اعتبروها جديدة وطمسوا من الوجود شعبها الاصلى واعتبروا هذا اكتشافا عظيما !!

كان من الطبيعى أن نصاب بوباء الاستعمار مثلما حدث للعالم كله ، وكان لابد تبعا للمنطق والتاريخ ان يرحل هذا الاستعمار يوما ، ورحل الاستعمار من ديارنا ومن ديار غير ديارنا ، ولكن لابد ان نفطن ويفطن غيرنا ان المستعمر الذى قدم الينا فى مركب شراعى لابد وان يطور أساليبه تبعا للعصر فمركبه الشراعى هذا تطور وتطور ليصبح مركبة فضاء ، وبنفس المعدل تغيرت نظمه ومفاهيمه ولكن هدفه القديم لم يتغير فما زال امتصاص الشعوب هو الهدف الرئيسى وان تبدلت اساليبه يوما بعد يوم .

قديما كانت وسائل الاتصال بدائية عقيمة وافتك السلاح انذاك لا يدنو مداه من مدى بصر رجل هرم ، لذا كان يتوجب على المستعمر ان يتواجد بصفة دائمة فى كل بقاع العالم لضمان السيطرة .

اما الان فاساليب ووسائل الاتصال أضحت غنية عن التعريف والاسلحة الحديثة تمكن مالكها من تدمير أى مكان فى العالم وهو قابع فى مكانه دون ان يتحرك بوصة واحدة تجاه الهدف .

مما سبق يتضح لنا أن المستعمر رحل من أماكن كثيرة ولكن وسائله الحديثة تمكنه من السيطرة التامة وهو قابع فى موقعه يحقق أهدافه دون عناء وهذه امثلة بسيطة على ذلك .

- مازال يخطط للحروب بين الشعوب الصغيرة ليزيد احتياجها للسلاح الذى يبيعها اياه مقابل الحصول على خيراتها .
- مازال يسيطر على اسواق الشعوب فارضا بقوة بضائعه ومصنوعاته رغم ان كثيرا منها لديها المقدرة المالية والفنية للتصدى لهذه السيطرة .
- مازال القانون الرسمى لكثير من الشعوب هو قانون المستعمر .
- مازال يسرق العقول ويتاجر بها كسابق عهده فكم من طبيب عربى يسافر للعلاج على يديه اخوانه العرب فى بلاد المستعمر .
- مازالت تقاليد المستعمر ذات صوت عال مدو لا يسمح بسماع نغمات تقاليد الشعوب الاصيلة .
- حتى اخص خصوصيات الشعوب مازال يتاجر بها كما لو كان وصيا على هذه الشعوب ، اليس غريبا ان يقام فى لندن مهرجان اسلامى !! يدعو له رجل انجليزى ليس عربيا ولا مسلما .

واليس عجيبا ان نسكت جميعا ونحن نرى دولة غير عربية وغير اسلامية تستغل تراثنا بهذه الطريقة ؟! والاكثر عجبا ان يذهب الالاف من أصحاب هذا التراث الى هذا المهرجان لينفقوا طائل الاموال كما لو كانوا يكافئون المستعمر عن فعلته العجيبة !!

اعتقد انه ان الاوان لننظر الى الاستعمار بعين جديدة ونعنى بتراثنا وماضينا وحاضرنا فمن حقنا ان نستيقظ كما استيقظوا هم من قبلنا فقد طال رقادنا وحضارتنا العظيمة تنادى فينا روح الجد والوعى والاخلاص والعمل والعمل والعمل .

محمد أبو طالب

عبد المنعم الجداوى



الجريمة في قصص يوسف إدريس

.. ويختلط عند « يوسف ادريس » الجانى بالمجنى عليه .. فلا تستطيع ان تفصل لحم الاول من عظام الثاني .. وكأنهما ضحية طاحونة ضخمة طحنت كليهما معا .. !!

عبد المنعم الجداوى

- الحرام
- الغريب
- النداهة

الجريمة فى روايات وقصص « يوسف ادريس » .. امتحان صعب لانسانية الانسان البسيط . أزمة من أزمات الانسان المعاصر .. اما ان يجتازها بنجاح فيفوز بانسانية كاملة .. او يعجز مقهورا مغلوبا من رغباته ونزعاته .. فتطوح به خارج نطاق العقل والانسانية .. ويتحول الى شيء مفعول به رغم انه فاعل .. فلا تكاد تعثر على الجانى او المجنى عليه فى ادبه .. فالجميع تطحنهم احجار طاحونة كبيرة .. تهرى لحم الجانى مع عظام المجنى عليه .. ويصبح من العسير رؤية او تمييز ملامح الجانى .. الملامح الشرسة .. والقبضات القوية .. والقلوب المتحجرة .. او ملامح المجنى عليه .. والنفوس الضائعة التى اعتادت العدوان عليها بحكم موقعها فى المجتمع .. كل ذلك تجده مختلطا .. واحيانا يجعلك تشعر ان المجنى عليه .. رغم انسحاقه تحت وطأة الجانى .. الا انه أقوى منه بكثير .. وجريمة « الاغتصاب » هى القاسم المشترك فى كل جرائم روايات « يوسف ادريس » ، والمتتبع لادبه يجده يلف ويدور كثيرا حول هذه الجريمة .. فهى فى بعض كتاباته نقطة الصراع التى تدور حولها الرواية ،



بالكاد تعثر على الجاني أو المجني عليه في قصصه
يستغل لحظة الضعف الانساني بذكاء ..
قد يكون الصمت جريمة ، كفعل الجريمة ذاته ..
يمسك بالجريمة ويعلقها فى عنق المجتمع

وفى البعض الاخر نقطة الالتقاء ، وايضا نقطة البداية ·· ولست اظنه يعنى فيها الجريمة كمجرد جريمة ·· بصفتها القانونية ، والا لما نالت منه كل هذه العناية ··

الحرام ·· !

وفى تحفتة الرائعة الحرام « يعطى ظهره للجانى ، ويمسك بالمجنى عليها يروى لنا خطوات عذابها وحياتها المريرة فى محاولة طمس آثار الجريمة ، والتجاوز عن نتائجها ·· الا انه وقد أعتبرها شريكة حينما ادانت نفسها ، ورضخت « لمحمد بن قمرين » ··

والرواية تحكى قصة وفاء ·· زوجة فلاحة مصرية لزوجها ·· تعيش فى قرية هى صورة من قرى مصر ·· الزوج مريض ياكله المرض ·· ما ترك منه سوى هيكل الانسان ·· يطلب منها حبة « بطاطة » ·· من بعض ما يتركه أصحاب الارض مدفونا فى بطنها ·· وترى الشابة انها لابـــد ان تجيب طلب المريض الذى على ابواب القبر ·· مهما كان الثمن ·· يقول يوسف ··

(وحملت عزيزة فاس عبد الله التى صدئت من قلــة ما نستعمل ، وذهبت الى حقل « قمرين » وقصدت كل الامكنة حفرا واخذت تعمل ، وحفرت الى اعمق من متر ولم تجد ، وانتقلت الى مكان آخر اعملت فيه الفاس ، وايضا لم تجد ·· كانت تجد كل شيء ، جذور الزرع القديم ، وشقافة ، ورملا ، وحديدا ، ولكنها لا تجد ابدا جذور بطاطة) ·

والرمزية هنا بارزة فى التمهيد للجريمة ·· «ففاس عبد الله قد صدئت من قلة ما تستعمل » ·· فالمرض جعل الرجل يمتنع عن زوجته لاكراهية ، ولكن تحت قهر العجز وعدم القدرة على العطاء او الاخذ ويفاجئها فى الحقل الشاب (محمد بن قمرين) ، ويدرك من حديثها بغيتها ·· فيخلع ملابسة الخارجية ويشرع فى تسلم الفاس منها ، ويمضى فى حفر الارض ويعثر اخيرا على جذرين بطاطة ·· والحفرة اتسعت وازدادت عمقا ·· وتهبط هي لكى تاخذ الجذرين ·· وحينما تحاول الصعود لا تستطيع ، وتسقط بعد القفزة الاولى ·· فيتلقاها ليمنعها من السقوط ، ولكى يعينها على الصعود وتبدأ الجريمة ··

يوسف ادريس هنا يستغل لحظة الضعف الانسانى استغلالا رائعا ·· فيخلط بين الجانى والمجنى عليه ·· وبين المجنى عليه بنسبة توشك ان تكون بقدر نسبة الجانى ، وتلك علامة من علامات ادبه ·· فهو يبحث عن هذه اللحظة · لحظة الضعف التى لا يخلو منها انسان ·· ويجعلها موضوع المأساة ·· حتى بعض مسرحياته كثيرا ما تقوم على هذه اللحظة ·· وقد يظن القارىء ان الكاتب ترك الجانى وشانة ·· فبالرغم من ان عزيزة بطلة « الحرام » هى المجنى عليها ·· الا انه قسا عليها قسوة استدرت دموعنا ·· لكى يستفز غضبنا على الجانى ·· رغم انه لم يتعرض له او يذكره فى بقية الرواية·!

الغريب ·· !

والقصة الطويلة التى ذكـــرت الجريمة صراحة فى كتب يوسف ادريس هى قصة « الغريب » وبطلها من رجال الليل ·· الذين يحترفون قطع الطريق ، وسرقة المواشي ليلا ، واحيانا القتل بالاجر لحساب الاخرين ·· فى هذه القصة يعرم بحمل كل الصفات التى يجب ان تتوفر فى المجرم ، وجرائم لها كل مواصفات الجريمة ·· ولكن اى مجرم ، واية جرائم ·· فالقصة تروى حكاية احد الطلبة المراهقين من ابنـــاء الريف ، وقد اعجب بشخصية « الغريب » الاسطورية لاسيما بعد ان استطاع الهرب من براثن الشرطة ·· وكان قد جاء الى المنطقة مامور اراد ان يؤكد لرؤساته انه لا يخاف « الغريب » ولا يرهب سطوتة ·· ولكنة لم يتمكن من القبض عليه الا بعد ان اغرى به صديقه ومساعده ليـــوقع به ·· ويلتصق به الطالب العاشق الذى يريد ان يتعلم القتل بالحاح ، ويجد فيه « الغريب » ضالته التى يتصل من خلالها بالناس ·· دون ان تلحقه الشبهات ·· ويرسلة



الجريمة في قصص يوسف ادريس

في قضاء بعض اموره الخاصة ·· وتبدا الصورة الاسطورية لرجل الليل تفقد سحرها في عين الشاب المراهق ·· فقد ارسله الى زوجته القديمة ام الاولاد بمبلغ من النقود وارسله الى زوجته الجديدة برسالة حب ·· والزوجة الجديدة كانت راقصة في المولد ثم التقطها ، واسكنها احد النجوع ·· الا انه بعد هربة من ايدى الشرطة يدرك ان النجع ترصده العيون للايقاع به ·· ولهذا فهو يحمل الشاب كلمة السر بينه وبين الجديدة ، ويدعوها الى زيارته في الزراعات التى يرابط فيها ·· ويفاجأ الشاب بعد قيامه بهذه الرحلة الخطرة ·· بأن « الغريب » ليس هو البطل الاسطورى ، وانه رجل، وانسان ضعيف امام المرأة ، وليس ذلك فحسب بل ما خفي كان اعظم ··

الاقنعة ·· تسقط ·· !

سقطت اقنعة البطولة الزائفة ·· من حول « الغريب » في نظر الفتى ·· ولكنها لم تسقط من « الغريب » نفسه ·· كان اعجابه ما زال يبرر له ··· فا « الغريب » برىء من اعمال هذه الزوجة اللعوب ·· ولا شك ان «الغريب» لو علم ذلك لقتلها فورا ·· ويعود الفتى وعلى لسانة مرارة حقيقية ·· تمزقه الحيرة والاشفاق على «الغريب» هل يقول له انها رفضت المجيء اليه ، وقالت كلاما ماكان يجب ان يقال ·· وانها حاولت معه محاولات ماكان يجب ان تحاولها ·· وحينما يصل الى « الغريب » ويفحص ملامحه ·· ويغرس « الغريب » نظراته في اعماقه ·· يسالة في آخر الامر ·· هل حاولت ان تجرك الى ما حاولته امراة العزيز مع يوسف ·· ويذهل الفتى ·· كيف عرف «الغريب» وهو لم يتكلم بعد عن الواقعة ·· ؟ انه يعرفها جيدا ·· ولم يستطع الا انه يعترف وبالتفصيل ·· وكانت المفاجاة الكبرى للفتى ·· ان « الغريب » لم يجن جنونه ·· ولم يضرب الارض فتنفجر ماء ·· ورغم كل شيء ساله الفتى لماذا لا يقتل « وردة » او على الاقل يتخلص منها بالطلاق ·· قال له « الغريب » وهو هادىء ·· انه حينما يصبح في مثل سنه ·· سوف يدرك السبب ·· اما الان فهو لن يفهمه ·· !!

وكان من الصعب على الفتى وعلى القارىء ايضا ان يصل الى ابعاد هذا الموقف عند « الغريب » ذلك الرجل الذى يعالج كل شيء بالعنف ·· ويحصل على كل شيء بنفس الوسيلة ·· فلماذا يتريث عند هذه النقطة المتعلقة « بوردة » ويرتدى عمة الحكمة والروية والهدوء ·· واذا فا « الغريب » لم يولد عنيفا ·· ولم تستاصل منه اجهزة الرحمة كما كان يخيل الى الفتى ·· بدليل سكوته على ما صدر من « وردة » ضده شخصيا وضد كرامته كرجل ، وكزوج ، وكفلاح ·· !

وهكذا يكشف يوسف ادريس عن بطله ·· فاذا هو مجرد انسان يدافع ضد انعدامية ذاتة وانسحاقها في خضم الآلية التى يسوق المجتمع بها الناس ··· والمؤرخ العظيم « توينبي » يقدم تفسيرا تاريخيا لذلك فيقول ·· ان هذا التنظيم مقدر على الطبيعة الانسانية ان تثور عليه ·· فالكائن البشرى الفرد ·· بقدر عشقه للحياة وسط الجماعة ·· بقدر ثورتة على نظمها التى تلغى تصرفاتة كفرد ، وتصادر حرياتة ككيان مستقل ·· ينتظم الفرد العادى ويسلك سبلها مع باقى القطيع ·· ويشذ الاخرون ·· فيكون من بينهم الثائر العظيم الذى يغير وجه التاريخ ·· والمجرم الذى يغيب في ظلمات

سينمائيات

● احب كل منهما ·· المسرح كزوجتي والسينماكمحبوبتي ··

« انجمار برجمان »

● بدلا من تصوير لقطة للقطار يتحرك من يسار الكاميرا الى يمينه افضل ان ارى انعكاس ظل القطار وهو يتحرك على وجوه ركاب يقفون على المحطة ·

« شارلي شابلن »

السجون .. والمجنون الذى تنتهى حياته فى نعيم الجنون .. !

« والغريب » من المؤكد انه احد الذين شذوا عن النظام .. والعنف لديه ليس الوسيلة الوحيدة لحل المشاكل .. فهنالك مشاكل يعالجها بالحكمة العميقة التى يرتفع فيها الى مصاف الفلاسفة والحكماء ، وبعض المشاكل لا حل لها عنده سوى العنف الرهيب .. كما عالج وصفى حسابه مع مساعده « شلبى » الذى خانه وسلمه الى الشرطة .. !

فقد ذهب اليه ليلا .. بعد ان قطع اكثر من ثلاثة كيلو مترات سيرا فى المزارع المروية .. وحينما وصل الى الكمين الذى يرابط فيه مع احد خفراء الشرطة .. فاجأهما .. او جعل تلميذه الطالب يظهر لهما فجأة بالرشاش .. فيتسمرا فى مكانيهما .. ويستدير هو من الخلف فيهوى بالبلطة على راس « شلبى » يشطر راسه حتى العنق .. ثم يرغم الخفير على أن يحمله معه الى ساقية مهجورة ثم يمضي وكأنه لم يرتكب الا ما كان يجب عمله .. فقد حسم توتراته ، واطفأ شعلة الحقد والغيظ التى كانت تأكل حناياه .. من هذا الخائن الذى استجاب لمكافأة رخيصة ، وحماية ارخص من الشرطة .. !

والقصة الى هنا أكملت دائرة الجريمة .. واصبح « الغريب » مجرما ارتكب فعلا اجراميا هو صاحب المنفعة فيه .. وليس هناك ما هو اجدى ولا انفع له من افراغ شحنات الحقد التى كانت تعذبه والاحساس بالهزيمة والدونية والانسحاق تحت وطأة خيانة «شلبى» .. ولهذا يصف يوسف ادريس على لسان الراوى الحالة التى انتقل اليها « الغريب » فور قتله « شلبى » فيقول :

(عيناه الضيقتان ما رايتهما ابدا بهذا الاتساع .. بل انا ما أعتقدت ابدا ان اى عين بشرية يمكن ان تتسع وتستدير وتصل الى ما وصلت اليه عين الغريب .. ولو كان الغريب هو المقتول لما اوصل الرعب الى هذه الدرجة من الاتساع ولما حدث لوجهه كل ما كان يعانيه من شحوب .. وكأنما الضربة التى فلق بها راس الرجل قد فتحت بابا سريا خرج له منه مارد او جنى ووقف قبالته يمسك هو الاخر بلطة ويهم بتصويبها الى أم راسه .. لابد انه كان يرى فعلا شيئا كهذا ، والا لماذا كان يسيطر عليه كل ما كان مرتسما فى عينيه ونظراته الزائغة من رعب .. ولابد انه كان فى تلك اللحظة بالذات فاقد الاحساس بنفسه وبما يفعله ..)

السيئات الحسنة !

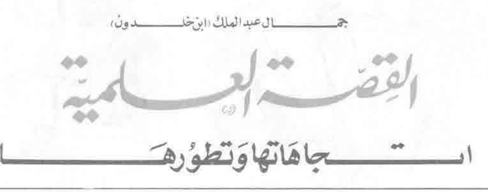
.. وكل ذلك لا يروى غلة الطالب الذى يريد ان يتعلم القتل .. ويلح على « الغريب » حتى يسلمه بندقية ، وهما يقبعان تحت كوبرى على مشارف احدى القرى .. ويطلب منه ان يطلق الرصاص .. على اول انسان قادم .. ويجيء فلاح يركب حمارة ويغنى لضوء القمر .. ويصوب الولد البندقية ويقترب القادم المجهول .. وترتعش يد الولد من الامن الذى يستشعره القادم .. ويفزعه الاطمئنان الرائع فى صوت الرجل الذى يغنى ليؤنس مسيرته الليلية .. ويروعه السلام ويعيد الولد البندقية للغريب وهو يعترف بانه فشل فى ان يكون قاتلا .. ويجيبه الغريب بانه لو نجح .. فان الغريب كان سيقضى عليه بالبلطة .. فقد كان ذلك العمل امتحانا لانسانيته .. هى الا أن يقتل الانسان اول مرة .. ثم يصبح كالكلب المسعور .. يقتل للشك ، والخوف ، وللاطمئنان .. وهو لا يريده ان يتعذب مثله .. ويعيده الى بلدته ثم الى مدرسته .. !

هكذا تنتهى قصة « الغريب » وانت فى حيرة .. هل هو مجرم .. ؟ أم انسان .. ؟ هل اعماله كلها سيئات .. ؟ ام هى حسنات .. ؟!

النداهة .. !

وفى قصة « النداهة » .. يغتصب الافندى المتعلم ساكن العمارة زوجة البواب الجميلة .. يغتصبها فى مهرجان من الانفعالات .. تقف فيه الزوجة الصغيرة عاجزة عن كل مقاومة .. ويجيء الزوج ويصطدم بكل المنظر .. ولكنه لا يقتل الزوجة ، ولا يمسك بالافندى .. لقد هرب .. وتحاول أن تعثر على الجريمة التى لها صفات الجريمة ودوافعها ونتائجها فلا تجد .. فالمجرم معنا شاركته المجنى عليها جريمته بالصمت .. والصمت هو كل الجريمة فى مثل هذا الموقف .. تفوق فاعليته اضعاف المشاركة بالاتفاق .

ويتصاعد « يوسف ادريس » ويسمو فوق الحدود التى تعارف عليه المجتمع للجانى والمجنى عليه .. فالقارىء لا يعطف على « فتحية » رغم انها فى وضع المجنى عليه ، ولا يشعر بمقت شديد للافندى رغم انه الجانى .. فالكاتب دائما يمسك بالذنب كله ليعلقه فى عنق المجتمع .. هذا هو المتهم الاثيم الذى يقف خلف كل جريمة .. فهو يطحن الجميع بين اضراسه ويخلط عظام المجنى عليه بلحم الجانى .. فلا تكاد تتبين احدهما من الآخر .. وتجد نفسك مضطرا الى ان تصبح مادمت فردا من افراد ذلك المجتمع .. كلنا جناة .. وكلنا مجنى علينا .. كلنا فعلة .. وكلنا مفعول بهم .. !!



القصة العلمية

اتجاهاتها وتطورها

جمال عبد الملك (ابن خلدون)

تعتبر قصص الخيال العلمي لونا جديدا من النشر الروائي الذى يجد رواجا في البلدان الصناعية المتقدمة. وهي واسعة الانتشار في امريكا وأوروبا والاتحاد السوفيتي. ويكتب هذه القصص غالبا علماء يمارسون هوايتهم الادبية كنوع من الرياضة الذهنية . وتحتاج قصص الخيال العلمي لجمهور قارىء لديه قدر من الثقافة العلمية لكي يتذوقوا هذا اللون من الابداع الذى يمزج حقائق العلم بالخيال .

والقصة العلمية تختلف عن القصص الاسطورية لانها تحاول رسم صور لعوالم مختلفة يبنيها المؤلف من الخيال، ولكن هذا الخيال المسرف يستند الى افتراضات علمية مقبولة ، وهي تتجه لتصوير الكواكب البعيدة ومستقبل الحضارة الانسانية في عصر غزو الفضاء ، وتبالغ في بعض الفرضيات العلمية . فاذا كان « اينشتين » قد ذكر في نظريته النسبية أن الزمن (بعد رابع) فقصة الخيال

يعتمد كاتب القصة العلمية على منجزات العلم في عصره

ما دام المكان غريبا فلا بد أن تقع فيه أحداث غريبة

القصة العلمية بين العلماء المتخصصين .. وبين كتاب الرواية

هل هي ذروة الاتجاه للهروب من الواقع اليومي؟

ارمسترونج

أينشتين




العلمي تفترض أن أحد العلماء قد اخترع الجهاز للانتقال في البعد الرابع والسفر للمستقبل ووصف ما تكون عليه المدن وأحوال الناس بعد عدة قرون ٠٠ أو قد يسافر الراوى في الماضي ، ويحدثنا عن الانسان البدائي في عصر الدنيا صورات والبراكين ٠٠ كما فعل الكاتب الانكليزي هـ٠ ج٠ ويلز في قصته المشهورة (آلة الزمان) ٠٠ وقد كان « ويلز » رائدا في هذا المجال مع « جول فرن » « وجوناثان سويفت » « وروبرت لويس ستفنسون » ٠





منجزات العلم

ويعتمد كاتب القصة العلمية على منجزات العلم في عصره ، فقد كتب ستفنسون رواية(دكتور جيكل ومستر هايد) عندما كانت البحوث العلمية تجرى لدراسة أثر الهرمونات على سلوك الانسان ، وهكذا افترض « ستفنسون » اكتشاف عقار يغير طبيعة الانسان من الخير الى الشر ويثير نوازعه العدوانية فيتحول من دكتور جيكل الطبيب الى مستر هايد الشرير ، أما « جول فرن » فعوالمه وأحداث رواياته تدور في أعماق الارض والبحر لان عصره شهد بداية استغلال ثروات البحار ٠ اما ويلز فقد كتب بتفاؤل مدهش عن قذيفة تنطلق من مدفع ضخم وتحمل بشرا نحو القمر ، ووصف بدقة الخروج من جاذبية الارض وحالة انعدام الوزن وارتطام الذهب بجسم المركبة الفضائية ، بل ان الارقام التي وضعها ويلز في رحلته الخيالية للقمر مثل سرعة القذيفة وارتفاع مداها والفترة التي استغرقتها الرحلة تعتبر قريبة جدا من الارقام الحقيقية التي توصلت اليها مركبة الفضاء الامريكية أبولو التي حملت الرائد نيل ارمسترونج والذي كان أول انسان يخطو على سطح القمر في يوليو ١٩٦٩ !

لقد كان الخيال يتقدم الكشوف العلمية ويمهد لها الطريق ويهيء أذهان الناس لتوقعات المستقبل وانجازات العلم المقبلة ٠

هجرة الخيال

وقد لاحظ الدس في ندوة حول قصص الخيال العلمي نظمتها جامعة كامبردج ، ان الكتاب في القرن الثامن عشر كانوا يختارون أماكن بعيدة أو مناطق مجهولة على الارض لتكون مسرحا لاحداث قصصهم : مثل استراليا وأحراش الامازون وادغال افريقيا ٠ وذلك لجذب اهتمام القارىء واثارة حبه لكشف المجهول ، فما دام المكان غريبا فلابد أن تقع فيه احداث غريبة ، وكانت الاحداث ترتب ليكون لها مغزى تعليمي للقارىء ، ويمكننا أن نعتبر رحلات « السندباد » وقصة « حي ابن يقظان » لابن عربي من هذا اللون ٠

غير أن قصص الخيال العلمي بمعناها الحديث هي نوع مختلف عن قصص الرحلات الغريبة ، فقد تم كشف الكرة الارضية وتصويرها من الفضاء ومعرفة كل ركن فيها بحيث يتحتم على الكاتب الان اذا أراد وصف مكان احداثه أن يذكر اسمه وموقعه على الخريطة ليعرفه القراء ٠ هذا اذا أراد ان يكتب للكبار ، أما اذا أراد أن يكتب للصغار فيمكنه أن ينسج على منوال مؤلف رحلات جاليفر ومغامراته في بلاد العمالقة والاقزام ، دون أن يطلب منه أحد أن يحدد مكان بلاد العمالقة أو موقع بلاد الاقزام ٠٠



القصة العلمية

اتجاهاتها وتطورها

ولما كانت كل اجزاء الكرة الارضية ، بما فيها المحيط المتجمد الجنوبي ، قد تم كشفها ، فقد هرب الخيال الى الكواكب البعيدة ·· الى القمر ثم الى المريخ والزهرة وزحل وعطارد ·· وباقي أعضاء المجموعة الشمسية ، وما زال العلم يطارد الخيال ، فبعد ان عرفنا قدرا من المعلومات عن القمر والمريخ لم يعد ممكنا ان يكتب احد روايــة عن رجال قصــار ذوي قــرون استشعار في القمر ونســاء أمازونيات في المــريخ ! وعلى الخيال أن يبحث عن اماكن أخرى يجعلها مسرحا للعوالم الوهمية واحداثها التي ينسجها وهــو طليق من قيود المعرفة العلمية ··

محتوى القصة العلمية

ويرى كنقسلي آميس أن المكان ليس العنصر الحاسم في تحديد هوية القصة ، وهل هي من قصص الخيال العلمي ، أم قصة عادية ، كذلك لا يهم التركيز على وصف تكنيك المعدات والاجهزة العلمية وعملها ·· اذن ماذا يهم ؟

النقاد المتخصصون في هذا اللون من القصص يرون أن العنصر الهام هو محتوى القصة العلمية وهل تلقي ضوءا على مصير الانسان وقضاياه الحالية والمستقبلية ؟

واذا كانت الجغرافيا قد طردت الخيال الادبي من الارض للكواكب البعيدة ولم تدع جزيرة واحدة مجهولة ليختبيء فيها « روبنصون كروزو » ، ولم تترك معقلا جبليا منعزلا ليكون (شانقرى لا) ولكي يعيش فيه « متوشالح » لمدة أربعة قرون في انتظار انبثاق عين ثالثة في جبهته !! فان علم الفضاء سوف يواصل طرد الخيال الادبي من كوكب بعد آخر وريثما تصل الى زحل مركبة آلية أو تحمل روادا من البشر يوضحون لنا ماهية هذا الكوكب الغامض يستطيع كتــاب قصص الخيال العلمي أن يزعموا أن في زحل نوعا من البصل المفكر ، وعندما هبطت المركبة الامريكية الالية (فايكنج) على سطح المريخ ، استضاف التلفزيون الامريكي بعض كتاب قصص الخيال العلمي ومنهم « روبرت هيلاين » الذي اشتهر بقصصه عن كائنات المريخ والتي يصفها بأنها تمر بدورة حياتية تشــبه دورة بعض أنواع الحشرات على الارض وأيضا « ادجار رايس بتره » الــذي كتب مسلسلات عن المريخ وخلق عالما وهميا كاملا من الاشرار والابرار الذين يتصارعون عبر سفن الفضاء ·· وقد عبر « هيناين » عن اسفه لان (فايكنج) لم تجــد حياة في المريخ ·· وقال انه سيبحث عن كوكب آخر يملؤه ببنات افكاره ··

قصور القصة العلمية

ويعتقد « كنجسلي آميس » أن قصص الخيال العلمي الاولى التي ظهرت في المجــلات في بداية العشرينات كان يكتبها علماء ولذا اهتمت بالجانب التكنولوجي ، اتخذ العلماء القصة وعاء لشرح أفكار تكنولوجية ذكية او مبتكرة في حينها ، ولكن بعد ذلك ظهــر جيل من الكتاب الذين يحسنون الكتابة الادبية بالاضافة لرصيدهم من المعرفة العلمية مما مكنهم من معالجة الموقف الانساني في اطار قصص الخيال العلمي ·

ويرى بعض النقاد ان امكانيات قصص الخيال العلمي لم تستغل كلها بعد ، فالكتاب الذين يؤلفون قصصا علمية جادة قلة ، وربما كان الجيل الجديد من كتاب هذا اللون ما زالوا تلاميذ في المدارس ولم يكبروا بعد لكي يعرضوا الموقف الانساني الراهن من خلال القصة العلمية ، ومن اسباب قصور القصة العلمية انها تحتاج لقراء مثقفين علميا كما تحتاج لمؤلفين يألفون أرض العلم والبحث كما يألفون التحليق في اجواء الخيال والفانتازيا ··

والهروب من الواقع

ويرى البعض ان القصة العلمية تمثل ذروة الاتجاه للهروب من الواقع الماثل ·· والفرار من مواجهة مشاكل الارض بالسفر في الفضاء وبناء عوالم أخرى · ويجب ان نعترف أن بعض القصص العلمية تنتمي للادب الهروبي عندما تركز على سرد أحداث ومطاردات يمكن أن تحدث على الارض ، ويتم اختيار (مكان) الحدث فوق كوكب بعيد لمجرد اضافة المزيد من الاثارة ، مثل قصة تتحدث عن سرقة مجوهرات ملكة الزهرة واستدعاء رجل الشرطة الذكي من الارض لمعرفة من الســارق !! فهــذه قصة بوليسية عادية تدور في كوكب بعيد ، وهي لا تضيف شيئا لمعرفتنا بالكوكب ولا تحمل مضمونا انسانيا ، وتنتمي قصص ماك رينولدز لهذا النوع وكذلك بعض قصص راي برادبري ··

غير ان معظم قصص الخيــال العلمي الحديثة تتجه لمعالجة قضايا الحضارة المعاصرة ، فهي تحذر من مخاطر تكديس الاسلحة النووية ومن تلوث البيئة ومن احتمال تخليق ميكروبات شرسة تهدد البشر بالفناء ·· وقد اتسم القرن الثامن عشر بتفاؤل كبير بمستقبل العلم والصناعة

فكانت اول القصص العلمية تعلق أمل الانسان فى الرخاء بالعلم والتكنولوجيا ، فلما ظهرت آثار انتشار الحضارة المادية وسلبياتها فى تلوث البيئة الطبيعية وتكدس البشر فى مدن شديدة الازدحام وانتاج أسلحة الابادة الشاملة بدات نغمة من التشاؤم والتشكك فى قيمة العلم تتسلل للقصة العلمية ، وتردد فيها اليأس من مستقبل الحضارة الانسانية ·· فمهما طار الخيال ليمشعش فى المجرات البعيدة - فهو خيال انسانى لا يمكنه الخروج من نظرته الانسانية أو تجاوز الواقع ولابد أن يعبر بطريقته عن أزمات الانسان ، والقصة العلمية وان شطح فيها الخيال مع ابعد نجم فى السماء ، فان الاديب المقتدر يسعه ، أن يعبر من خلالها ، عن الموقف الانسانى تعبيرا قويا ومؤثرا ··

بين الحب والواجب

واذا كان الناقد الفرنسى « دوهاميل » قد حصر موضوعات القصة غير العلمية فى نيف ومائة موضوع مثل الصراع بين الحب والواجب والعاطفة والعقل والخير والشر ·· فان موضوعات القصة العلمية يمكن لحد ما حصرها خاصة وانها تعتمد على ما يتيحه لها العلم من افكار وهذا يجعلها فى ذات الوقت قابلة للنمو مع تقدم نظريات العلوم ·· فاكتشاف وجود مادة مضادة دفع كتاب القصة العلمية لتصور عالم مضاد كامل يعكس الوجود المألوف لدينا كما تعكسه المرآة فهو تغير العالمة ·

غير ان معظم موضوعات القصص العلمية تدور حول ضياع مركبة فضائية تحمل روادا من الارض فى الفضاء ، ثم العثور على كوكب صالح للحياة الانسانية واستعماره بواسطة البشر ، والكتاب الامريكيون يتقيدون بتاريخ بلادهم فيتخيلون قيام مستعمرات على سطح بعض الكواكب ثم اتحاد هذه المستعمرات لتنسلخ عن سيطرة الارض ، تماما كما انسلخت الولايات المتحدة عن بريطانيا !! وهناك قصص تدور عن رواد كواكب أخرى جاءوا لاستعمار الارض لان كوكبهم يتعرض للفناء ··

وفى قصة (سفنخت) لسنيافسكى نجد رجلا أحدبا يهوى النزهة فى الغابات والاستحمام فى البرد ويكثر من التطلع للسماء ويهمس فى اذن كل احدب يقابله بكلمات غامضة ويظن الناس أن به لوثة ، ولكنه عندما ينفرد بنفسه فى غرفته يبسط اطرافه فنعرف انه زائر من الفضاء متنكر فى شكل احدب لان له أربعة أذرع طوى اثنين منها وراء ظهره فى حدبة مؤلمة وقد جاء على متن مركبة فضاء من الكوكب (سفنخت) ولكن المركبة احترقت ونجا بطلها وحده الذى يتخفى فى شكل انسان أحدب ويمنى نفسه بان يعود يوما لكوكبه ·· وفى النهاية يقتله الحب الابله لان جارته تتلصص عليه وتحرمه من الماء عندما يصدمها فيذوى كما يذبل النبات ··

مسألة ضمير

ويرى « كنجسلى آميس » أن القصة العلمية تطرح بجدية مصير الانسان وقيمه الاخلاقية ·· ويضرب مثلا لذلك بقصة لجيمس بليس عنوانها « مسألة ضمير »حيث يتم لقاء بين كائنات قادمة من الفضاء واحد الرواد من البشر ·· فالانسان ، رغم خوفه من المجهول ، لا يبادر بالعدوان ، وعندما تفتح المركبة القادمة من الفضاء البعيد تخرج أنثى عجيبة وحولها صغارها وكلهم يتضورون جوعا ·· وتقدم لهم أمهم اشياء ليأكلوها فلا يقربونها ، ثم يتقدم احد الصغار نحو الرجل ويلتصق بساقه ويمص دمه ، وهنا تبعده الام ، التى تجمع صغارها وتودعهم جوف المركبة وتنطلق بعيدا ·· وهكذا نجد دعوة لاحترام الحياة الواعية فى كل مظاهرها ··

مشكلة اللغة

وهناك مشكلة أخرى تواجه كتاب القصص العلمية هى مشكلة اللغة ، فاللغة تتغير مع تغير وعى البشر ، واذا كان هناك عالم مختلف فسوف يحتاج وصفه الى لغة مختلفة ·· وحتى الان نجد صعوبة فى وصف وصول الانسان للقمر وهل « صعد » الرواد الى القمر أم « هبطوا » على القمر ؟ وماذا يمثل ظهور قرص الارض على حافة الافق أمام بصر الرواد الذين وصلوا للقمر ؟ هل هو «شروق» آخر ؟ وبماذا نصف سطح القمر ·· فقد نقول ـ رغم الخطأ البين ـ أن الرواد ساروا فوق « أرض » القمر !! المشكلة ان لغتنا نشــــأت على الارض وارتبطت بمفاهيم كوكبنا ، فاذا تركناها فسوف نجد ان مفاهيم كثيرة تفقد معناها ، مثل فوق وتحت ، وشرق وغرب ، ومثل المعانى المرتبطة بالوقت والوزن والالوان ···

اللغة تحمل تصورا معينا للكون ، تصور اعتدنا عليه ونشأ معنا ، وان اعظم الكتاب قدرة ليعجز عن وصف عالم من أربعة أبعاد بدلا من عالمنا الثلاثى الابعـــاد ، مع أن العلماء يؤكدون امكان وجود عوالم ذات أربعة أو خمسة أبعاد ···

وأى أديب يسعه أن يصف الحزن الرهيب الذى يشعر به رواد مركبة عائدة من غزوة فضــــائية وهم يشهدون كرتهم الارضية تتحول الى رماد ذرى تحت أبصارهم ·· فأى ضياع يعصر قلوبهم لا يمكن مقارنته بأى حال بالضياع الذى يشكو منه ابطال القصص الوجودية !

ان ظهور القصة العلمية وازدهارها يؤكد ان القصة ما زالت اكثر الالوان الادبية مرونة وتمردا على القوالب الجامدة ·· وان حدود تطورها هى حدود الخيال نفسه وحدود التعبير اللغوى·· والقصة العلمية هى قصة المستقبل ·· والادباء فى البلاد العربية مدعوون لتجربة هذا اللون الجديد وخلقهم تراثا مجيدا من قصص الخيال الذكى وأدب الرحلات الذى اثرى التراث الانسانى ··



هل للذكاء اى صلة بالعرق ؟

ان من اكثر القضايا حساسية مناقشة الذكاء وصلته بالعرق والطبقات، فاى ادعاء بان جنسا ما او طبقة ما اكثر ذكاء من الجنس او الطبقة الاخرى يفجر المشاعر ويمس اوتار الشعور فى المجتمع • فقد تسببت هذه الادعاءات فى المظاهرات والشغب والمسيرات والبغضاء والشحناء والعنف • فعندما حاول البروفسير هانز ايزنك اثارة هذه الاراء فى محاضرة عامة فى جامعة لندن تفجرت جموع الحاضرين وطرح ارضا وضرب ضربا مبرحا •

العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذكاء :

ان الاعتقاد الراسخ الان هو ان الاختلاف فى درجات الذكاء تتحكم فيه العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اكثر من العوامل العرقية والوراثية • ان درجة ذكاء الطفل تحددها نوعية تربيته وتدريبه وتعليمه وتهذيبه ورعايته والمحافظة عليه خلال سنوات نموه •

واذا لم تكن البيئة والظروف مهمة فى تكوين الانسان ودرجة نجاحه فلماذا يهتم الناس والحكومات على الدوام بتطويرها وتنقيتها وتحسينها • ولماذا نهتم دائما برفع مستوى حياة الفقراء ومحو الفقر ولماذا تنفق الدولة كل هذه الاموال الطائلة على التربية والتعليم والتدريب واعادة التدريب ؟

معركة استمرت ٢٥ عاما حول الذكاء الموروث والبيئى :ـ

اشتد الصراع خلال ربع القرن الماضى حول هذه القضية • وقد احتدم الصراع بين العلماء والسياسيين من اليمين واليسار والوسط ايضا حول العوامل الوراثية والبيئية التى تتحكم فى درجة ذكاء الانسان • فقد اشار البحث العلمى الى ان الذكاء موروث مما يدعم سياسيا زعم اليمين السياسى •

وقد ادعى عالم امريكى بان الفقر يورث الغباء بدلا من ان الغباء ينجم عن وراثة الفقر •

عالم يزور النتائج

وفى هذا الصراع المحتدم اكتشف ان البروفسير البريطانى سيريل بيرت الذى وضع اسس التربية النفسية البريطانية يزور نتائج البحث العلمى الذى يقوم به او يعدلها على حسب هواه ومعتقداته المسبقة •

لقد اشتهر البروفسير سيريل بيرت بانه صاحب نظرية الذكاء الوراثى التى دعمها بابحاثه التى ربطت اولا بين ذكاء الاطفال وآبائهم وثانيا التى قارنت بين ذكاء التوائم المتشابهين وغير المتشابهين •

فقد اثبت هذا العالم ان العامل الوراثى امر هام وعامل مهيمن فى درجة الذكاء • واجرى فى هذا الصدد اختبارات ذكاء على عدة اطفال لقياس الذكاء ومعرفة اذا ما كان موروثا او بيئيا ؟ فتبين له ان الذكاء موروث فى ٨٥٪ من الحالات بينما كان بيئيا فى ١٥٪ من الحالات وقد عدل العلماء هذين الرقمين الان الى ٨٠٪ و ٢٠٪ •

التشكك فى النتائج

وقد شك العلماء فى هذه النتائج التى توصل اليها البروفسير بيرت خاصة ان كبار العلماء يعتمدون فى تدعيم بحوثهم واقتناع الناس بها على سمعتهم العلمية ومكانتهم المرموقة بدلا من الحجة والاقناع •

ذكاء الاطفال الزنوج

اشتد الصراع فى امريكا حول ذكاء الاطفال الزنوج ورفع مستواهم كى يلحقوا



سيريل بيرت

بركب رفاقهم البيض العلمي • فقد ادعى العالم جنسن في عام ١٩٦٩ ان الاطفال الزنوج الامريكيين يفتقـــرون الى الاستعداد الفطرى والطبيعى للتعليم • وقد نتج عن هذا الزعم اتخاذ بعض الاجـــراءات التعليمية • فاقترح ادخال الدروس الاضـــافية للاطفال الزنوج التى قد لا تنجح نسبة لعتق ذكائهم الموروث • واوصى بعد ذلك بوسائل تعليمية اكثر فاعلية • وقد اثارت هذه التوصيات والنتائج المترتبة عليهـــا بركانا كامنا • فاعاد كثير من العلماء النظر فى الحقائق المكتشفة وبخاصة مزاعم البروفسير سيريل بيرت • ومن ضمن الذين تصدوا لهذه الفريات الكبرى البروفسير ليون كامين الذى نشر تحليلا فى عام ١٩٧٤ عنوانه :ـ الذكاء بين العلم والسياسة ••

واول ما اكتشفه ليون كامين ان دراسة البروفسير بيرت حول التوائم المفصـــولين متناقضة ومزورة • واذا اتضح ان العالم يزور نتائج بحثه حتى ولو مرة واحدة فان هذا يشكك فى كل اعماله واكتشافاته وبحوثه، وهذا امر ضرورى فى مجال البحوث العلمية كعقوبة على عدم الامانة العلمية •

واذا قبلت بينة تزوير البروفسير بيرت لنتائج ابحاثه عن الذكاء الموروث، فان كل صرح بناء فى هذا الشان سيكون موضع شك عظيم، لان نتائج ابحاثه ينبغى ان تدعمها ابحاث اخرى تستخدم معلومات وموادا جديدة•

دحض نتـــائج ابحـــاث بيرت المزورة

نشرت مجلة «نيتشر» الانجليزية فى سبتمبر ١٩٧٦ موادا تدحض نظرية بيرت عن الذكاء الموروث • فقد اجرى احد المعاهد المهتمة بدراسة شئون الاطفال مسحا على كل الاطفال الذين ولدوا فى انجلترا واسكتلنده وويلز فى احد اسابيع شهر مارس ١٩٥٨ اشار فيه الى عدم صحة نظرية بيرت عن الذكاء الموروث• ومن المؤكد انطلاقا من هذا ان تجرى ابحاث اخرى للقضاء على ما بقى من نظرية سيريل بيرت التى تقوم على تميز جنس معين من البشر وطبقة معينة دون غيرها بالذكاء مما اثار الحفائظ السياسية والانسانية والعلمية والعرقية •

قناة السويس

قناة السويس الحالية ليست هى القناة الاولى التى تربط بين البحرين الاحمر والابيض، فقد اتضح من دراسة صور جوية لدلتا النيل ان هناك آثارا لممرين مائيـــين جافين • وقد اكتشف الجيولوجيون ان هناك سدودا صنعها الانسان تشير الى ان قناة قديمة شقت قبل اربعة الاف عام •

شقت بداية هذه القناة من البحر الابيض المتوسط متجهة شرقا عابرة قناة السويس الحالية قرب مدينة القنطرة ،وقد اقتربت من بحيرة التمساح قرب الاسماعيلية التى اكتشفت بها آثار القناة القديمة •

وبالرغم من ان الرياح والرمال واعمال الرى والصرف قد محت آثار القناة القديمة، الا أن الجيولوجيين يعتقدون أن الممر المائى القديم قد انقسم الى قسمين احدهما يتجه غربا الى ان يتصل بالنيل ويمضى الاخر حتى يصل البحر الاحمر متبعا ممرا مائيا اصبح جزءا من قناة بناها الغـــزاة الفرس وعلى راسهم داريوس •

كان عمق الممر المائى القديم بين سبعة وعشرة اقدام وكان ذلك كافيا لمرور البوارج القديمة، غير ان شاطىء الممر القـــديم كانا يبعدان عن بعضهما بعضا (اى عرضه) مسافة مائتى قدم، وهذا عرض اكبر من حجم حركة المرور فى ذلك الزمن السحيق • ولكن من المحتمل ان القناة العريضة تشكل حاجزا طبيعيا ضد الغزاة الذين كانوا ياتون من الشرق، كما انه قد استفيد منها فى توفير مياه الرى •

هل استطاع قدماء المصريين بناء تلك القناة العظيمة ؟ ولم لا ؟ علما بانهم قد شيدوا الاهرامات قبل ذلك بمئات السنين •



اللياقة البدنية للرجل والمرأة الحامل

القرن العشرون قرن السرعة والعلم، لايكاد الانسان يجد فيه متنفسا ليعتنى ببدنه امتثالا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ان لبدنك عليك حقا *** وروحوا عن القلوب ساعة بساعة ** ان القلوب اذا كلت عميت * ان كثيرا من الناس لا يستطيعون العدو لمسافة مائة او مائتى متر وذلك يعود الى ان لياقتهم البدنية لا تسمح بذلك بسبب عدم المران والتدريب والخمول وضيق الوقت وعدموجود الاماكن المناسبة القريبة لممارسة اى نوع من الرياضة ولظروفهم الصحية والاجتماعية*

ان النساء والرجال من العاملين فى مجال الاعمال والمال والدواوين الحكومية يفرض عليهم عملهم ان يحتفظوا بلياقة بدنية تجعل قلوبهم ورئاتهم فى صحة وعافية، كى ينتجوا ويفكروا ويخططوا لان العقل السليم فى الجسم السليم * ان الرئة والقلب هما مفتاح اللياقة والصحة البدنية والعقلية، وهما مهمان للرياضى ورجل الاعمال والمرأة ** حامل او غير حامل على حد سواء *

عصر الضوضاء والتلوث :ـ

فى عصر الضوضاء والتلـــوث اصبح من الضرورى المحافظة على رئة الانسان وقلبه لكى يعيش حياة سعيدة صحية معافاة خالية من الامراض والمنغصات والكدر * فالاعتقاد السائد بان لياقة البدن لا يختص بها الا الرياضيون ولاعبو الكرة والملاكمون اعتقاد باطل ، لان غيرهم فى حاجة امس اليها * ولذا نجد ان بعض الرجال والنساء من غير الرياضيين يحتفظون بلياقة بدنية حسنة *

ان تجنب معاقرة الخمر والتدخين والعيش فى ظروف بيئية نظيفة بعيدا عن التلوث تساعد على الاحتفاظ باللياقة البدنية الكافية للحياة السعيدة الهانئة *

صيانة الجسم

الجسم كالسيارة ** تحتاج الى عناية وصيانة دائمة * ويقول بعض العلماء ان انسان القرن العشرين يصون سيارته اكثر من صيانته لجسده فتتدهور صحته وهو فى مقتبل العمر وتفتك به الامراض بسهولة، ويصاب بالانهيار الصحى والبدنى العام، وتقول احدث الابحاث الطبية ان احد اسباب هذا الانهيار يرجع الى الطريقة التى نصون بها اجسادنا ونحافظ بها على صحتنا فى مختلف اطوار حياتنا *

اللياقة والعناية بالصحة تبــدأ بالنسبة للانسان وامه حبلى به

ان اللياقة البدنية والصــحية للانسان لا تبدا عندما يولد، بل يجب ان تبدا وهو جنين فى رحم امه * فعلى الام الحامل ان تعتنى بصحتها وتحافظ على لياقتها ،ذلك لان كل ما يؤثر على صحتها يؤثر تاثيرا مباشرا على الطفل الذى تحمله فى احشائها *

الرعاية الطبية خلال فترة الحمل :ـ

عندما تشعر المرأة انها حامل، وذلك بعد ملاحظاتها انقطاع العادة الشهرية، ينبغى عليها التوجه للطبيب فورا للتاكد من ذلك* وعند ثبوت الحمل تختار بعد ذلك الطبيب الذى يتابع حالتها الصـــحية ويقدم لها الارشادات اللازمة خلال مدة الحمل ويتولى اجراءات وعملية الوضع فى المستشفى او فى منزلها اذا كانت الظروف مهياة لذلك *



حماية الطفل خلال فترة الحمل :ـ

تقع على الام مسئولية كبرى خلال مدة الحمل، فيجب عليها حماية طفلها بالامتناع عن كل ما قد يؤثر على صحته بطريقة مباشرة او غير مباشرة • ويوصى الاطباء ان تمتنع الام عن التدخين خلال مدة الحمل وكذلك عن معاقرة الخمر اذا كانت من الاوربيات • كما يقع واجب آخر على الاب، وهو الامتناع ايضا عن التدخين وشرب الخمر خلال مدة الحمل لان الام اذا جلست الى جواره وهو يدخن فانها تستنشق الدخان الذى يأخذ طريقه الى الطفل نفسه فيضر بصحته فيخرج الى العالم وهو يشتكى من الداء • كما ان هناك اعتقادا علميا بان ابناء مدمنى الخمر قد يصبحون مدمنين هم بدورهم، ولا يكون ذلك بالوراثة وانما بالتأثر بالظروف المحيطة به • فالطفل الذى يشاهد والده يدخن ويدمن الخمر سيرسخ فى ذهنه ان التدخين وشرب الخمر مثلا عادتان لا بأس عليهما •

وعلى المرأة الحامل ايضا ان تتجنب الاصابة بالمرض •• فالاطباء يقولون ان بعض الامراض التى تصيب الام الحامل تنتقل الى طفلها الذى لا يستطيع المقاومة لتخلف وسائل الدفاع عنه وعدم تطورها الكافى • فالحصباء مثلا اذا اصابت الام خلال الثلاثة اشهر الاولى للحمل قد تؤثر على الطفل ونموه الطبيعى • والاعتقاد العلمي ـبعد البحوثـ هو ان اصابة الام بمرض قد تصيب طفلها وهو فى رحمها فيخرج الى العالم وهو سقيم مريض بداء القلب او ضعف النظر او الصمم الجزئى او التخلف العقلى او النمو العقلى والبدنى البطيء •

تجنب تناول العقــاقير والتدخين وسوء التغذية :

ينصح الاطباء الامهات العاملات بعدم تناول العقاقير الا وفقا لارشادات الاطباء تجنبا للاجهاض والمضاعفات الصحية • ومن العوامل التى تؤدى الى الاجهــــاد حسب ملاحظات الاطباء تدخين المرأة الحامل السجائر خلال فترة الحمل وسوء التغذية وعدم كفايتها، ـ ان هناك اعتقادا طبيــا بان ربع النساء الحاملات فى بريطانيا يتعـــرضن للاجهاض واسقاط الجنين قبل اكتمال نموه فى حالة نقص الغذاء •

غذاء المرأة الحامل :ـ

لكى تحافظ المرأة العــامل على لياقتها البدنية وصحة طفلهــا يستحسن ان تتبع ارشادات الاطباء بشأن الغذاء الذى تتناوله• وينصح الاطباء بصفة عامة النساء الحاملات بتناول الاغذية الاتية :

١ ـ الطعام الطازج بدلا عن المعلبات والخبز بدلا عن البســكويت • ويجب ان تحافظ المرأة الحامل على وزنها، فاذا زاد عن الحد الذى يقرره الطبيب يجب عليها الامتناع عن تناول السكريات والنشويات بكثرة حتى يعود وزنها الى ما ينصح به الطبيب • وينبغى عدم تناول الفيتامينات الا بناء على توجيهات الطبيب •

٢ ـ اللبن، وذلك بشرب رطل منه لتوفر لجسمها البروتين والكالسيوم •

٣ ـ اللحم والسمك او البيض لمد الجسم بالبروتين والحديد وفيتامين ب •

٤ ـ الخضروات والفواكه والسلطة الطازجة لانها غنية بفيتامين «ج» •

٥ ـ الخبز لتموين الطــاقة الكافية والفيتامينات وتجنب الامساك •

٦ ـ الكبد وزيت السمك مرة فى الاسبوع لتموين الجسم بالفيتامينات وخاصة « ١ » و « د » والايودين •

واذا اصيبت المرأة الحامل بضعف الشهية والقيء وعدم الاقبال على مختلف او بعض انواع الاغذية، فان هذا خطــر على صحتها وصحة الطفل، لانها معرضة لسوء التغذية • وينصح الاطباء هنا بان تجبر المرأة الحبلى نفسها على تناول اللبن والخبز اذا لم تطق غذاء غيرهما • واذا لم تكن من النوع الذى يشعر بالقيء عند استيقاظها من النوم فيجب عليها ان تأكل وجبة افطار كاملة •



خطـــر الضوضـــاء علـــى الإنســـان

الضوضاء من اعدى اعداء الانسان لانها تسبب التوتر وشد الاعصاب والقلق وقد قام الدليل العلمى الان على أنها قاتلة من الدرجة الاولى •

وقد اجرى العلماء البحوث حول الاثار الضارة التى تحدثها الضـــوضاء على صحة الانسان البدنية والعقلية •

عصرنا هو عصر البلاستيك والضوضاء

اطلق الناس على كل عصر اسما ••• عصر البخار •• عصر الكهرباء •• عصر الذرة •• عصر الفضاء •• اما عصرنا هذا فقد يعرف بعصر الضوضاء الذى عانى الانسان فيه من الضوضاء التى أتت بها الصناعة والاله •



يقول الدكتور جون كونيل رئيس جمعية القضاء على الضوضاء، انه من المحزن حقا ان الشباب فى عهدنا هذا يعرضون انفسهم للضوضاء غير الصـــناعية، فالاطفال الذين يتعدون الحادية عشرة من اعمارهم يعرضون انفسهم فى اوقات فراغهم الى ضوضاء مفزعة قد تفقدهم الســمع وتصيبهم بالصمم * ان الشباب قد تعودوا على طلب المسجلات الموسيقية ذات الصوت العــالى للتــرفية والاستماع والرقص، ويعترض الشباب على اى تخفيض فى ضوضاء الموسيقى وتردداتها وذبذباتها، مما يهددهم بالصمم التدريجى ** حقــا ان هذا الجيل هو جيل الصمم !!





صوت الموسيقى

ان العلماء يحذرون من ان الاصغاء للموسيقى العالية الصوت، فى اجهزة الاذاعة المسموعة والمرئية وفى الحفلات الراقصة ** يسبب الصمم التدريجى بسرعة * وقد طلبت جمعية القضاء على الضوضاء من بعض شركات انتاج الالات الموسيقية ان تخفف من وقعها الضوضائى عندما يصل الحال الى درجة الخطر *

الضوضاء تبدد الطــاقة وتضيع الوقت

بعد اجراء بحوث عن اثر الضوضاء على الانتاج والعمل والطــاقة البشرية اكتشفت جامعة كولومبيا فى الولايات المتحــدة ان الموظفة الطابعة التى تعمل فى مكتب يعج بالضوضاء والجلبة، تضيع ٢٠٪ من وقتها وطاقتها فى محاربة الازعـــاج والضوضاء والتغلب عليهما * وان المديرين التنفيذيين فى مجالات العمل يبددون ٣٠٪ من طاقتهم ووقتهم فى التغلب على الضوضاء *

ان الضوضاء التى تسببت فيها الصناعة والموسيقى ووسائل الاعلام والوسائل الاخرى تهدد الاف الناس بالتوتر ومرض الاعصاب والامراض الاخرى *

والضوضاء التى ينتج عنها كل هذا هى التى توجد فى المكان غير المناسب وفى الوقت غير المناسب *

فالاصوات الخافتة المستمرة كتدفق الماء من الماسورة او تحرك بابه مع الريح او صوت مروحة وهى تدور او مكيف وهو يعمل تعذب الانسان خلال الليل وتحرمه من النوم وتؤرقه *

كراهية الضوضاء :ـ

تبدا كراهية الضوضاء بشعور من القلق والازعاج والاستهجان ثم الغضب الذى يصاحب رد الفعل او الارق * ويفكر الانسان المعرض للضوضاء بعد ذلك فى كيفية ايقاف مصدر الازعاج، وهنا يلتقى العامل النفسى بالشعور العميق لعمــل شىء ما لايقاف الضوضاء المزعجة * ويعتمد نوع الاجراء الذى يتخذه الانسان فى هذه الاحوال على الظروف * ان كثيرا من الناس العاديين ربما ياخذون القانون



فى أيديهم لاسكات مصدر الضوضاء او اتخاذ اجراء مع صاحب سيارة يستعمل آلة التنبيه بطريقة منفرة او يصفع باب السيارة بصوت عال * ونورد هنا بعض امثله رد الفعل :

حادث قتل بسبب الضوضاء :،

فى مدينة بيرويك اون تويد فى بريطانيا بينما كان رجل يغط فى نوم عميق استيقظ اثر سماعه اصوات غناء وموسيقى منبعثة من راديو فى الشارع المار بمنزله، فهب من نومه مذعورا وخرج للشارع فوجد ثلة من الشباب يغنــون ويترنحون ويديرون اجهزة الراديو باعلى صوت * وفى ادب جم طلب منهم أن يكفوا عن ذلك لان القانون يمنع مثل هذه الضوضاء التى ازعجت سكان المنطقة، فما كان من الشباب الا ان طاردوه الى داخل منزله، وهنا غلى راسه غضباً فتناول بندقيته وقتل اثنين منهم بمقذوفين ناريين * وعند تقديمه للمحاكمة خففت المحكمة الحكم عليه وادانته بجريمة القتل الخطا بدلا من القتل العمد *

وفى شيكاغو فى عام ١٩٦٧ قتل رجل جاره بسبب الازعاج الذى سببته حفلة راقصة فى شقة القتيل *

وفى عام ١٩٦٨ـ فى امريكا، كان عدة اطفال يلعبون ويصيحون قرب عمارة من ثلاثة ادوار، مما سبب ازعاجا شديدا لاحد الساكنين، فاتكا من داخل نافذة شقته وطلب من الاطفال الكف عن الازعاج، ولكنهم لم يابهوا لرجائه ونداثه، فما كان منه الا ان تناول مسدسه ونزل الدرج وقتل احد الاطفال *

الانتحار بسبب الضوضاء

فى منتصف لندن يقع حى سوهو الشهير

الذى تكثر فيه قاعات الــرقص والموسيقى والملاهى، وكانت هناك امراة تسكن فى شقة فى هدوء لم يحركها سوى افتتاح قاعة رقص تحت شقتها، فقدمت عدة شكاوى لادارة المنهى ثم للشرطة ثم لسلطات بلدية لندن .الا ان اى نوع من الاجراء لم يتخذ .ولما اشتد عليها الالم والازعاج انتحرت !!

انخفاض سعر الايجارات والمبانى بسبب الضوضاء:

من المعروف اقتصاديا أن ايجار اى مبنى او سعره ينخفض اذا كان بالقرب منه مصدر ضوضاء .كالملاهى والمــراقص والمطارات والاندية .كما ان السكان قد يطالبون بتخفيض العوائد والضرائب المحلية عليهم • وهذا هو احد الآثار الاقتصادية السلبية للضوضاء •

ضوضاء اجراس الخطر

اذا كنت من التعساء عديمى الحظ فاسكن بالقرب من مغسلة او مصنع صغير او دكان ركب به جرس خطر يدق ويرن فى حالة تسلق لص الحائط او سطو عصابة على المحل • ان صوت الناقوس يزعجك ويوقظك من نومك، ومن الجائز جدا ان ينطلق الجرس رانا من عند نفسه ودون سطو اى لص، وهنا تبحث انت الجار عبثا عن حارس او عن صاحب المحل وبخاصة فى عطلة نهاية الاسبوع او العطلات الاخرى •

التهاب المعدة والمخ

اجرى معهد ماكس بلانك الالمانى ابحاثا عن اثر الضوضاء على الجسم البشرى فاتضح انها تسبب التهاب المعدة والمخ، كما ان للضوضاء اثرا على شرايين الدم وبخاصة الشرايين الصغيرة .وذلك لانها تضيقها مقللة بذلك كمية الدم المتدفقة على مختلف اعضاء الجسم• ان قلة سيلان الدم فى الجسم تضعف دقات القلب وتبضـــاته مما قد يهدد حياة الانسان •

عمال الاخشاب فى السويد :ـ

اشتكى عمال صناعة الاخشاب فى السويد، ذلك البلد الاسكندناوى المتحضر المتقدم من ان ضوضاء مناشير الاخشاب تمنع الدم من التدفق الى اصابعهم •• فتفقدوا زرقاء ميتة •





الموت وضعف النظر :ـ

يقول المهندس الروسى قسطنطين سترامنتون ان الضوضاء قد تقتل الانسان، كما ان صوت آلة التنبيه من سيارة على بعد ياردتين يضعف النظر •

خطر الاصوات الباطنية :ـ

تسببت الاختراعات الصناعية فى القرن العشرين فى صنع آلات لها دوى مريع يحدث اصواتا مسموعة مفزعة واخرى تحت المسموعة، ولهذه الاصوات ذبذبات تبلغ العشرين فى الثانية الواحدة • وقد اجرى المركز الفرنسى للبحث العلمى تجارب على صفارة ضخمة اطلق عليها اسم « الوحش الصغير » •

وكانت اول تجربة لصـــوت هذه الصفارة مريرة ،الا انها اوقفت بسرعة • وكان كل انسان قريب من مداها وسمعها قد اصيب بقىء لساعات عديدة • واشتكى الباحثون من ذبذبات فى المعـــدة والقلب والرئتين ، وتقيا العاملون فى المعامل والمختبرات الاخرى القريبة •ويبدو ان موجة ذات سبع ذبذبات فى الثانية تنبعث من صوت مفزع كافية لان تودى بحياة الانسان • انها تعطل العقل وتشيع شعورا من الانقباض وعندما تزداد كثافة الصوت غير المسموع (Infrasonic)

يصاب المرء بالغثيان والتعب والقىء •وعندما تزداد كثافة الصوت غير المسموع المنبعث من الالات تتذبذب اعضاء الجسم وتحتك مع بعضها البعض ويلقى الانسان حتفه وهو يئن تحت وطأة الالم المريع •

الاثر المباشر للضوضاء :ـ

وفى مجالات البحث الاخرى اجريت تجارب حول الاثار المترتبة على الضوضاء فقد اجريت تجربة على ٥٠٠ جندى عرضوا فيها لضوضاء ذات ذبذبات عالية (٩٠ دب بكثافة قدرها ١٧٥٠ ذبذبة فى الثانية) لمدة ١٥ دقيقة • وبعد ساعات من بدء التجربة اهتزت القدرة البصرية لخمسة وسبعين بالمائة (٧٥٪) من الجنود ولم يستطيعوا ان يصيبوا الاهداف التى حددت لهم واصيب ٧٠٪ منهم بعمى الالوان •

الراديـــو والتلفـــزيون والمسجل والفونوغراف:

ان اجهزة الراديو والتلفـــزيون والمسجل وسائر المعدات الالكترونية الاخرى تنبعث منها اصوات عالية تصيب المرء بالصمم تدريجيا وبخاصة الشبان الذين يحبون الموسيقى العالية الصاخبة وهم لايشعرون انهم يفقدون سمعهم بالتدريج • ان على كل رب اسرة ان يتاكد من ان هذه المعدات قد خفضت اصواتها داخل المنازل والحجرات الى ادنى حد ممكن ويستحسن وضعها فى غرفة منفصلة بعيدا عن غرف النوم والمجالس • واذا اردت ان تشترى اى معدات موسيقية فيجب ان تتاكد من ان اصـــواتها يمكن التحكم فيها وذلك بتجربتها قبل شرائها •

من كتر ما عرفت نفسي ··
عـدت باجهلها ··
قرية صـــغيرة ··
لكين تايه في مجاهلها ··
ما عدت عاوز أعـوز ··
ولا عدت عـاوز اخسر ··
ولا عـاوز افـوز ··
لا باعـود لايام خـلت ··
ولا باسـكن البـكرة
لا باحب ولا باكـره ··
لا عـدت عاوز أعـود الطفل ··
ولا اكون كهل أسكن أهل أو فكرة ··
ولا عـادت الفكرة بتولف في اعشاشي ··
افكاري بتقابلني ع الماشي ··
عصرت قلبي في كباية وشربت المر ··

المر في قلبي مـر حزين ·· ما غناشي ··
وقتلت سحر بوادي كنت شاعرها ··
صبحت حمولي ماهيش ملكي وشايلها ··
ما عادش حاجـة تسر ··
نفس الحبيبة مـر ··
واذا عزت اقـول آه ··
احس بالصدر اللي كان وسع النهار ··
مـش حـر ··
يا هـلترى آهـتي دي ؟··
انمـا مالهـا ؟··
متغربة ف صوتي زي ماكون شايلها ··
مش اللي قايلهـا ؟··
(ابعد عن الحزن واهرب يا فتى بروحـك ··
الدنيا متغطية بجروحك ··) ··
(ابعـد عن الحزن اموت ··
أنا ما فزعني غير رنين الصوت ··
ده صــوتي ده ولا ··) ··
ده ناس بتقوم وناس بتمـوت ؟··
ده صـوتي ده ولا ··
الفجـر متوجع من العلة ··
الفجـر متوجع ما بيقومشي ولا بيمشي ؟··
وبعـدت عن وشي ··
بلديات ووديان وازمان واحزان بعيـدة
بعدت عن وشي ··
بعدت عن وشي ولا بيسالني ··
ولا اساله ··
وشي اللي كان ما أنبله ··
وما اسـهله ··



وما أجمـله ••
ما عرفش ايه حـوله ••
ماعرفش ايه قصره وايه طوله ••
صوتي اللي كان طاهر ومعلوم منهـله ••
وفي المـروج الحـرة ••
كان يهمزني كنت اصـهله ••
والمس بايدي اخـره من اولـه ••
ماعرفش ايه بدله وايه اوله ••
وتقـوللي ابعد عن الحـزن ؟••
وكيف نعيش يا صاحبي من غـيره ؟••
الحـزن ما أصعب ليـاليه •• انما •
ـ وفي اللحظـة دي ـ
ما أسـهله !؟••

●★●

كان لي جنينة وانا اللي الورد ••
كان صـاحبي ••
يشفني يفـرح بي ••
يفـتح كمامه لما يلمحني ••
وعمـره ما جرحـني ••
جنينتي دلوقت تطرح ورد من غـير عطر ••
ورقها دبـلان ••
ونجيلتها من غـير جدر ••
مغمـض الورد •• مش هوه •• ومش وردي
ولا المكان ده سريري ولا أهلي ••
ولا مخليني أسمع ناس •• بتندهلي •
ولا انتي جنيـة ••
من بحر اختلى بنجمـه ••
ولا انا ضـحكة هـلال ••
ولا انا أحلا حتة عشق في الموال ••
ولا انـا ••
ولا انـتي ••
ولا حـد تاني ••
جاوبوا على السـؤال •

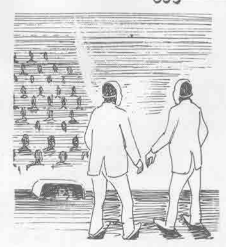
●★●

تخضري في ايدي ساعات ••
كما حزمـة النعنـاع ••
تفوري زي البحر بالرغبـة ••
بحر التقى بالارض بعد مشقة ••
كما نسيم بكـر لسه اتعلم الطيران ••
طيرين في رحـلة غـروب ••
نباتين في اخـر المواسـم ••
حبيبين شربوا ونعسوا جنب البـير ••
حصانين عرقوا ف رقصة السـاحة ••
النخـلتين اللي بقـوا ••
من هجـرة الساحة ••
انفض تراب الكذب والهجـير ••
انفض ترابي •• واسترد الاسم ••
واحس وشي مـلان ••
انسـان بسماحة •••



نجيب سرور

العلاقة بين الممثل والجمهور



عندما يظهر احد الممثلين فى الشارع او فى احد المحلات العامة ٠٠ أو أثناء لقطة خارجية ٠٠ يلتف الجمهور حوله على الفور ٠٠ ويحاول الاقتراب منه قدر الامكان ٠٠ انه يحدق فيه ويكاد أن يزنه ويقيسه طولا وعرضا ٠٠ ويتحسسه ويلمس طرف ثوبه ٠٠ يريد التعرف عليه ٠٠ وقد يحتاج الامر احيانا الى استدعاء البوليس لتفريق الجمهور وانقاذ الممثل :

والحقيقة أن الجهور ساذج ومعذور فى نفس الوقت ٠٠ ساذج لانه ينسى بتأثير الوهم أن الممثلين أناس عاديون جدا ياكلون ويشربون ويمارسون ما يمارسه الناس العاديون ، ومعذور لانه لا يراهم فى ضوء النهار وانما فى أضواء وألوان المسرح ، ولا يراهم مكشوفى الوجوه وانما يراهم من خلف الماكياج والاصباغ التى تلعب دور الاقنعة فى المسرح القديم ، انه يراهم مقنعين، ثم هو لا يراهم عن قرب وانما يراهم على بعد ويفصل بينه وبينهم ما يسمى بالحائط الرابع ٠٠ حائط الوهم او الايهام ٠ وأخيرا هو يراهم لا فى شخصياتهم وهوياتهم الطبيعية وانما متقمصين شخصيات أخرى تماما ٠٠ قد يكونون فىحياتهم الشخصية أبعد ما يكونون عنها منحيث التكوين الذهنى والنفسى ٠٠ وأخيرا ان الممثلين أناس يستريحون عندما يعمل الجمهور ٠٠ ويعملون عندما يستريح الجمهور ٠٠ فليس ثمة فرصة للقاء حقيقى بين الطرفين فى وضح النهار ٠

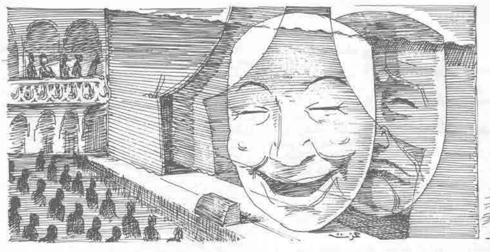
الجمهور ساذج أيضا لانه قد لا يطيق أن يجلس مع ممثلة أو ممثل اكثر من خمس دقائق دون ملل اذا ما أتيحت له فرصة مثل هذه الجلسة بعيدا عن أوهام الحائط الرابع ٠٠٠ وبعيدا عن الاقنعة والاصباغ والالوان والاضواء والملابس الزاهية والديكورات وكل ما يصنع جو الايهام المسرحى ٠٠ ان اكثرهم ـ أكثر الممثلين ـ تافهون وسخفاء وفارغون الى أبعد الحدود ٠٠ واكثرهم جاهلون وسطحيون ونرجسيون ومبتذلوا الاهتمامات الى حد ملفت للنظر ٠٠ ولذلك فالعباقرة منهم هم فى منتهى الندرة فى تاريخ المسرح ٠٠ بحيث لا تطيق أن تجلس الى الواحد منهم كما قلت أكثر من خمس دقائق دون ملل ٠٠ ولكن الجمهور لا يعرف عنهم هذا بحكم بعده عنهم ويعدهم عنه ٠٠ ولكن هذه نظرة الى العلاقة بين الممثل والجمهور من الخارج أى خارج العرض المسرحى ٠٠ اما عن العلاقة الداخلية بين الممثل والجمهور فثمة ملاحظات اخرى اكثر اهمية ٠٠ اننا هنا نتحدث عن العلاقة بين الممثل والجمهور من خلال عرض مسرحي ٠٠ تبدأ هذه العلاقة منذ اللحظة التى تقطع فيها تذكرة الدخول وتدفع ثمنها ٠

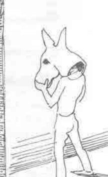
استدراج

كل ما حولك من اعلانات وعناوين وزينات يحاول ان يستدرجك الى عالم آخر ٠٠ بعيد عن عالمك ٠٠ وربما الى عصر آخر بعيد عن العصر الذى تعيش فيه ٠٠٠ أضواء طرقات المسرح خافتة نسبيا تستدرجكالى الصالة وتسحبك بذكاء من أضواء ٠٠ أضواء الصالة أكثر خفوتا تستدرجك الى درجة أخرى أو خطوة أخرى على المشوار الى العالم المغاير لعالمك ٠٠ قد تكون هناك موسيقى خفيفة تهيئك نفسيا لتتقمص هذا العالم الجديد بالتدريج ٠٠ أو تفصلك بالتدريج عن عالمك ٠٠ منظر الستارة ٠٠ البناوير ٠٠ الالواج ٠٠ المقاعد ٠٠الداخليه والخارجية ٠٠ وما قد يظهر من الديكور اذا شاء المخرج أن يكون الديكور مكشوفا وللستارة أن تكون مفتوحة منذ البداية ٠

تذكرة الدخول ٠٠ عقد

ها أنت الان مهيأ نفسيا لاستقبال العرض المسرحى ٠ انت كما لو كنت قد وقعت عقدا منذ قطع التذكرة بينك وبين المسئولين عن المسرح بالتنازل عن عالمك واستعدادك للدخول فى عالم آخر بكل ما يتطلبه هذا





الدخول من تنازلات اخرى ستتضح بعد قليل ٠٠ لان المسرح سلسلة من التنازلات المستمرة ٠٠ التنـــازلات الاصطلاحية المشروطة من جانب المتفرج وسيفي المخرج بالتزاماته في هذا العقد ويقوم بكل واجباته في نقلك من عالمك الى العالم المغاير ٠٠ ولن يكون من حقك ان تناقش شيئا أو تعترض علــى شيء أو تقف في الصالة لتقول « هذا معقول » وهذا « غير معقول » لان العقد ــ التذكرة ــ ينص أيضا بطريقة ضمنية على الا حدود بين المعقــول واللامعقول في عالم الايهام المسرحي أنت الآن في مسرح حديقــة الازبكيـــة مثلا ٠٠٠ الـــواقع في ميدان العتبة الخضراء الواقعة في قلب القاهرة ٠٠ وكذلك وقد فتحت الستارة وبدأ العرض قد انتقلت فجأة من مسرح حديقة الازبكية الى حـــديقة في قصر باكنجهام بلندن أو الى اى مكان آخر ٠٠ والواقع أن هذا لم يحدث فجأة ٠٠ فمنذ قليل أطفئت أنوار الصـــالة واضيئت الستارة تمهيدا لهذا الانتقال ٠٠ ثم فتحت الستارة على « المكان » الجديد ٠٠ المكان الذى ستدور فيه الاحداث وتتشابك العلاقات والمصائر الـــدرامية وتصطرع فيه الشخوص ٠٠ ساعة الصالة تشير الى التاسعة والنصف مساء تماما ٠٠ بينما ساعة بداية الاحداث الدرامية بعد رفع الستار تشير الى الرابعة صباحا مثلا ٠٠ وانت لم تصرخ بعد في الصالة ولم تقل للجالسين من حولك وللمسئولين عن المسرح ليس معقولا أننى الان في لندن وان الساعة الرابعة صـــباحا لاننى في مسرح حديقة الازبكية بالعتبة ولان الساعة هى التاسعة والنصف مساء ٠٠ ولو فعلت لضحك منك الجمهور والممثلون وتكون قد ارتكبت جريمة الشغب التى تحتاج أيضا الى استدعاء البوليس ٠٠ وربما أخـــذوك من المسرح الى مــــستشفى للامراض العقلية ٠٠ اذ سيبدو انـــك أنت المجنون لا الجمهور ولا الممثلين ولا المسئولين عن المسرح ٠٠ لان هناك كما قلت عقدا غير مكتوب كله بنود من التنازلات من قبل المتفرج وبنود لا تناقش ولا تـــراجع وليس للمتفرج أى حق في الاعتراض ٠

الايهام المسرحي

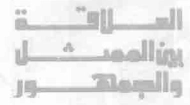
اننا هنا أمام ما يسمى بالايهام المسرحى وفي ظل الايهام كل شيء جائز وممكن ٠٠ حتى نمـــو الذيول للآدميين ٠٠ ان اللحظة التي فتحت فيهـــا الستارة هى اللحظة التى تنقلك من مكان الى مكـــان ومن زمـــان الى زمان ٠٠ انك الان تعيش زمن الشخوص الدرامية لا زمنك الخاص ٠٠ وذلك فور أن رفع الحائط الرابع عن بداية الاحداث ٠٠ والحائط الرابع هو الحد بين واقع حقيقى وواقع ايهامى ٠٠ وبين زمن حقيقى وزمن ايهامى ٠٠ وهو الحد بينك وبين الممثلين ٠٠ تراهم على بعد ٠٠ تسمعهم على بعد ٠٠ **وليس لك حق اختراق هذا الحائط الايهامي والصعود الى المسرح والاشتراك في الاحداث مهما كانت أعذارك ودرجة انفعالك بما يحدث ٠٠**

تحطيم الحائط الرابع

هنا نصل الى كل محاولات تحطيم الحائط الرابع من قبل المخرجين في المدارس المسرحية المختلفة والحديثة والمعاصرة بشكل خاص ٠٠ انني أميل الى القول بأن ليس من حق المخرجين والممثلين تحطيم هذا الحائط بقدر ما أنه ليس من حق المتفرجين ٠٠ هذه المحاولات جميعا قد باءت بالفشل رغم جميع الحجج النظرية والتطبيقية التى قدمت لتبريرها ٠٠ ثم هى محاولات كررت نفسها بحيث مجها المتفرجون وبدأ يمجها المخرجون والممثلون أنفسهم لكثرة تكرارها ودورانها في حالة « محلك سر » ٠٠ ثم انني اعتقد أن تحطيم الحائط الرابع هو تحطيم للمسرح ذاته ٠٠ والكف به عن أن يظل هـــو المسرح ٠٠ انه ينقل المتفرجين من الايهام المسرحى الفنى المقصود من المسرح

الى شىء شبيه بالوهم الذى رأيناه منذ قليل عندما ظهر الممثل فجأة فى الشارع أو فى أحد المحلات العامة او أثناء لقطة خارجية ·· ينقله من الايهام الفنى الى الوهم الساذج ·· وشتان ما بين الاثنـــين ·· فلو لاحظ أحد الاذكياء ما يحدث فى الصالة بالضبط عندما يهبط اليها ممثل أو أكثر مواصلا أو مدعيا أنه يواصل الاحداث الدرامية للفت نظره أن الجمهور يكف فى نفس اللحظة ـ لحظة تجاوز الحائط الرابع من قبل الممثلين ـ عن أن ينظر الى الممثلين باعتبارهم شخوصا درامية فى مسرحية ما فى مكان ما فى زمن ما بينهم علاقات ما وصراعات ما ·· لينظر اليهم باعتبارهم «ممثلين» بعيدين عن الاحداث ليعود فيحاول أن يتلمسهم أثناء مرورهم بين الصفوف وأن يحدق فيهم وأن يزنهم وأن يقيسهم طولا وعرضا وأن يتعرف على حقيقتهم ·· تماما كما يفعل فى الشارع

·· اذن لقد كف الجمهور عن متابعة **الاحداث او توقفت** احداث **المسرحية** لتبدأ **مسرحية** أخرى **خارجية لا علا**قة لها بالمسرحية موضوع العرض ·· ولو لاحظ المتفرج الذكى الصالة بطريقة أكثر دقة لوجد أن الجمهور فى **هذه اللحظة** ـ لحظة تجاوز الحائط الرابع ـ **تتنازعه مشاعر مغايرة للمشاعر التى كانت تتنازعه منذ قليل أثناء** استمرارية العرض المسرحى فى وجود **الحائط الرابع ·· اقلها** الضحك مع الممثلين وعلى الممثلين ·· والواقع أنه يضحك من غباء المخرج الذى أراد أن يخترق الحائط الرابع نزولا الى الصالة مع أن هذا خطأ فى حق المسرح تماما كخطأ المتفرج المنفعل الذى يخترق الحائط الرابع صعودا الى خشبة المسرح ·· **قلت ان** المسرح فى هذه الحالة يكف عن أن يكون مسرحا ، **والايهام** يتحول الى وهم مثير **للضحك** ·· وذلك **لان تحطيم الحائط** الرابع هو محاولة خاطئة ويائسة ومضحكه لتحطيم البعد الرابع فى المسرح ·· تحطيم الزمن ·· فالممثلون فى هذه الحالة ـ حالة اختراق الحائط الرابع ـ يكفون عن أن يعيشوا زمن الشخوص الدرامية ··· هذا الزمن الايهامى والافتراضى والشرطى والاصـــطلاحى ···· ويكفون فى نفس الوقت عن أن يعيشوا زمن الصالة ·· زمن المتفرج ·· **ذلك** هو سر **الحـــيرة التى يقع فيها** المخرجون **والممثلون** على المسرح **مثل تلك اللحظات بالرغم** من أن **كثيرين من المخرجين** فى **شرقنا العربى وفى اوربا** الغربية والاشتراكية مازالوا **مصرين على لعبة المستحيل هذه ·· وما زالوا يكررون نفس الحيل التى يدعون** انها **سرحية وانها تجديد لاجتياز الحائط الرابع او البعد الرابع** ·· لا توجد **قصة فى العالم ولا عبقرية يستطيع** أن تحطم بعد الزمن فى المسرح ·· اذ لا يمكن أن يتوازى زمن الصالة مع زمن الخشبة بعد رفع الستارة ·· واذا توازى فاثناء القاء خطبة أو مقالة أو قراءة قصة قصيرة أو قصيدة ··· ولكن ليس ابدا أثناء عرض مسرحى ·



اعيدوا النظر

فلنرى فيما يساق الينا من الفكر المسرحى الاوربى مما يسمى بمدارس التجديد ·· ولنعد النظر فى الكثير من البديهيات ولنتعلم من فشل مســـارح أوربا جميعا فيما يتعلق باجتياز الحائط الرابع ·· ولنتعلم أيضا من ملل الجمهور لكثرة تكرار هذه المحاولات ·· ولننظر بجدية أكثر الى ضحك الجمهور أثناء جميـــع محاولات

مسرح بريخت

اجتيـــاز الحائط الـــرابع نـــزولا الى الصـــالة وهنــا بالـــذات نصـــل الى التغـــريب الـــذى كثـــر الكـــلام عنــــه حتى مجــــه الاســـماع وخصوصا لدى بريخت ·· أولا ان بريخت نفسه لم يقل صراحة بأن مسرحه ضد العاطفة بل قال العكس تماما وهو أن لا فن بلا عاطفة ·· **ولم يقل بريخت ان المسرح** يجب ان يخاطب العقل **اولا فهذه مسالة تخفى وراءها مغالطة كبيرة شاعت وذاعت عن بريخت ومسرح بريخت ·· والقول بها يعنى أن المسرح قبل بريخت لم يكن يخاطب العقل ·· مع ان المسرح كان ومنذ اقدم عصور التاريخ يخاطب العقل دائما** ·· ولو قال برخت بغير ذلك كما ينسب اليه أحيانا لكان رجلا فى منتهى الغباء والسذاجة والجهل ·· ولكن بريخت أذكى من ذلك بكثير فهو يقول ان مسرحه يخاطب العقل كما يخاطب الوجدان وينكر أن يكون قد قال بالعقل وحده كما يدعى مفسروه وشارحوه ··

اذن ما الجديد الذى جاء به بريخت ؟!

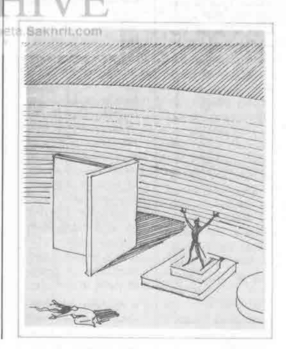
لعلنا أو لعلهم يقصدون أن بريخت حاول تحطيم الحائط الرابع والغاء الايهام المسرحى وهذه كما قلنا لمتة شبية تصادر على المسرح ذاته وتلغيه ولا تحقق شيئا من التجديد أو التقدم ·· ولم يكن بريخت من الغباء بحيث يقع فى مثل هذا المطب المستحيل ·· ان برخت يحطم الايهام من نوع ما لكى يقيم عليه ايهاما من نوع آخر ·· انه يحطم الايهام لحساب الايهام نفسه ·· يحطم الايهام الاعمى ليقيم الايهام البصير ·· يحطم الايهام الانفعالى البحت الساذج ليقيم الايهام التنويرى ·· ولكن هذا موضوع آخر يطول شرحه ·· أعد بأن أعالجه فى فرصة أخرى ·

الجديد فى مسرح بريخت

ومرة ثانية ما الجديد الذى أتى به بريخت ؟! لو قرأ القارىء الذكى هذا المقال مرة ثانيـــة يتأمل لرأى أن المسرح بطبيعته تغريبى وانه ليس فى حاجة الى تغريبات أخرى .. انه تغريب فى الزمان وفى المكان على السواء .. انه كما سبق أن قلت الانسلاخ من عالم حقيقى الى عالم آخر حقيقى أو ممكن .. **فالمسرح ضمنا هو التغريب نفسه ، والايهام هو التغريب نفسه .. كان المسرح كذلك ومازال وسوف يظل .. فكيف يكـــون برخت مبتدعا للتغريب فى المسرح !! الا اذا كان الشراح والمفسرون يقصدون امكان تحطيم الحائط الرابع وهذا كما قلت مستحيل . والا اذا كانوا يقصـــدون أن مسرح برخت يخاطب العقل لا الوجدان وهذا ما لم يقـــل به برخت نفسه ..**

هانحن نمثل !

هنا ننتقل لنؤكد ان أسوأ أنـــواع التمثيل هو ذلك الذى تشعر معه دائما بأن الممثلين يقولون لك ملحين فى القول اثناء العرض المسرحى .. ها نحن نمثل .. انك تشعر بأنهم يوجهون اليك الكلام مباشرة مع أن المفروض



الا يحدث ذلك .. المفروض انهم يتحدثون مع بعضهم البعض دون أن يشعروا بانك طرف ثالث تنصت للحديث أو تشارك فى الاحداث بالتعاطف أو الاعتراض .. انهم هنا يتحولون الى كائنات مضحكة أيضا .. فلاهم يعيشون زمنهم الخاص زمن الاحداث الدرامية .. ولاهم ينجحون فى ان يعيشوا زمن الصالة زمنك انت المتفرج الذكى .. انهم يضربون رءوسهم فقط فى الحائط الرابع ... ويفشلون فى اقناعك بما يحدث .. ويعلنون فى كل لحظة انهم يمثلون .. فيصادرون على الايهام المسرحى ليقعوا بدورهم فى الوهم الساذج الذى أوحى به اليهم المخرج الذى لا يعرف خصائص المسرح وطبيعتـــه وامكانياته ووظيفته وشروط العقد الضمنى المكتوب أو غير المكتوب بينه وبين الجمهور .

مسرح برخت يحاول فيما يظن كثيرون أن يفعل ذلك. أن يقول للمتفرج فى كل لحظة حذار من الايهام .. ان ما تراه مجرد تمثيل .. ولعل هذا هو ما يقصده المفسرون والشارحون بالتغريب لدى برخت فى فن قائم بطبيعته كما قلت على التغريب .. ماعساها تكون نتيجة « تغريب التغريب » !! هى النتيجة المضحكة التى نراها فيما تقدم لنا من مسرحيات برخت .. الفشـــل فى تحطيم البعد الرابع « الزمن » والفشل فى تحقيق التوازى بين زمن الصالة وزمن الخشبة .. انه خليط غريب من زمنين متباعدين كل التباعد .. زمن شخوص بريخت هذا الذى يتحركون فيه ويفعلون ويتصرفون ويعانون ويصطدمون .. وهذا الذى يعيش فيه المتفرج .. وقد يجوز الخلط فى كل شىء الا فى الزمن هذا البعيد غير المنظور وغير المحسوس .. ولذلك يتورط مخرجو برخت حين يطبقون ما يتوهمون أنه نظرية برخت تطبيقا أعمى .. اما فى هذا الخلط غير الممكن وغير الـــذكى بل والمضحك بين زمنين .. واما فى تغريب التغريب وهى نتيجة أخرى مضحكة .. أو ينزلون بمسرحيات برخت نفسها على شروط المسرح الضمنية ويمثلونها التزاما لمنطق الايهام المسرحى والحائط الرابع .. وعندئذ فقط يحققون نجاحا ما .. **ان لكل فن طبيعته الخاصة وشروطه التى يقوم عليها والتى بدونها يكف عن ان يكون هو نفسه .. واكتشاف الخصيصة المميزة للمسرح « كأى فن » هو وحده الكفيل بتجنيبنا الوقوع فى المطبات المحرجة** .. ولكن قليلين منا يجرؤون على أن يعاودوا النظر فى الكثير من البديهيات والمسلمات .. وتظل الاخطاء شائعة وذائعة ولها قوة القانون .. ولكن حركات التجديد الحقيقية بدأت بالذات بمثل هذه المراجعات التى قد تبـدو للكسالى والابواق نوعا من الحرث فى البحر .. أقـــول هذا لكى تتجنب الحركات المسرحية الوليدة والناشئة فى عالمنا العربى أخطاء وسلبيات الحركة المسرحية فى مصر .

من تجاربي الشخصية

بلا ظلال

سألت نفسي : اين تذهب الآن ؟ .. مع ذلك ظللت واقفا بجوار عامود * عامود محطة * محطة اتوبيس * الشمس تلفح بصهدها الجو * تصهر اسفلت الميدان * الميدان صغير * خال* السماء فضية متوهجة * بعد الظهيرة بقليل * منذ قليل خرجت من مقر عملي الساقي المسلم * احس اني انسان تائه * لا اعرف الى اين اذهب او ماذا افعل * ظللت واقفا ساهما لا افكر في شيء * عقلي خاو * ضحل * صدري ملئ بالضجر * بالحزن * حزين انا على ماذا ... * عربات الاوتوبيس تمر امامي * تتوقف فيقفز داخلها الركاب* فابقى وحدي * وحدي بجوار عامود المحطة * يجيء الناس آخرون * ينتظرون * تجيء عربات اخرى * تركب الناس* فيشتمون نحوها * يستقلونها* تنطلق بهم * فابقى وحدي من جديد متسمرا كعامود المحطة * عامود وحيد وسط صحراء قاحلة * يوجد ازاء المحطة باب الباب التنقل المستشفى (المشرحة) * باب حديدي عريض* متصلب كالتمثال* الباب مفتوح على مصراعيه * خلف الباب هناك يستكن مبنى صغير *مربع* مطلي بجير اصفر مقشور *أعرف انه مبنى مكون من غرفتين *غرفة : جدرانها بلاط ابيض متسخ* هي غرفة المشرحة* الغرفة الاخرى لا اعرف عنها شيئا* او لا اتذكر معالمها جيدا *دخلت المبنى مرة واحدة في حياتي* من خلف الباب الحديدي

رأيت* رأيت مشهدا غريبا * رأيت نعشا تحمله * يحمله اربعة رجال* يخرجون به من خلال الباب* الى الشارع * وراء النعش اربعة رجال آخرون يسيرون في صمت * وراءهم عدد قليل جدا من النساء *يرتدين ثيابا سوداء جربا، *رأيت في ذيل الموكب طفلين* طفلا رث الهيئة نحيلا كعود قصب صغير هزيل * صبية ترتدي جلبابا قديما ممزقا *كلهم سمر الوجوه * جنازة ضامرة فقيرة *لا احد يبكي الميت* لا احد يطلق صرخة او ولولة *الصبية الصغيرة تنخرط في مشيتها * منكسة راسها الطفل البائس* شعرها منكوش* عفر * الطفل نحيل* شاحب الوجه* بتوالي وثبات عرجاء عصبية* سار الموكب في عرض الشارع* خال* ساروا في صمت مهيب* الصبية خافضة الراس*

شعرت بصوان الصغيرين * بيتم الطفل* بضياع الصبية* شعرت بمشاعر اخرى شتى غامضة *الميت شخص غريب* لم اعرف أهو رجل او امرأة؟ شعرت بدوار خفيف *عندما اقتربوا مني : قبة السماء فضية متوهجة* فروع الاشجار عارية الا من وريقات جافة* مصفرة* وريقات وشيكة السقوط *رأيت الرجال حاملي النعش كاشباح خرافية هزيلة* احدهم له هيئة حوذي، آخر بدا لي كعامل تراحيل * الثالث كفران* كل شيء فيه ضامر *محترق* الرابع فلاح أعرج : كان هيكله من خشب مسوس* افرز جلدي العرق* سال العرق على وجهي* على ظهري* عرق ساخن* بدت لي أجسام السائرين ثقيلة * مهدودة الحيل* تشد نفسها شدا على الاسفلت* كأنها تلتصق بقار الاسفلت المصهور* القيظ حارق* هجير الظهيرة لا يطاق* لا اعرف ماذا افعل ؟!

احسست بالشيء الغامض يطفو* تحرك في اعماقي * تضخم وجوده في داخلي* مر الموكب امامي* على بعد خطوات رفعت قدمي اليسرى على الرصيف* هبطت بالاخرى * تحركت خطوتين* ثم ثالثة* وجدت نفسي مدفوعا وسط المسيرة الحزينة *نظرت الى امرأة من خلال سواد جلبابها* أخذت طريقي بين الطفلين* الطفل عن يميني* الصبية عن يساري* ظللت اسير معهم* مررنا عبر ممر مطروق وسط الحديقة* في وسط الحديقة تمثال قصير* تمثال فلاحة * فلاحة قابعة في عجز *في قنوط *ربما تندب حظها العاثر* التمثال لا يعكس ظلا* يحيق به سور صدئ *توقفت عن المسير* ظل الموكب يسير امامي وأنا واقف* نظرت الصبية نظرة واحدة وراءها في وجهي وهي تمشي* ظلوا يبتعدون فوق اديم الاسفلت المصهور* بدا الاسفلت كجلد فيل محترق* ظللت واقفا ارقبهم* تراءوا لي من بعيد كلعب صغيرة تهبط المنحدر حتى نهايته *ظللت واقفا تحت التمثال* ظللت انظر اليه * انظر اليه !

حسني محمد بدوي

القاهرة

من تجاربي الشخصية

بلا ظلال

سألت نفسي : أين تذهب الآن ؟ مع ذلك ظللت واقفا بجوار عامود * عامود محطة * محطة اتوبيس * الشمس تلفح بصهدها الجو * تصهر أسفلت الميدان * الميدان صغير * خال* السماء فضية متوهجة * بعد الظهيرة بقليل * منذ قليل خرجت من مقر عملي الشاق المضنى * احس انى انسان تائه * لا اعرف الى اين اذهب او ماذا افعل * ظللت واقفا ساهما لا افكر في شيء * عقلي خاو * ضحل * صدري ملىء بالضجر * بالحزن * حزين انا على ماذا ... * عربات الاوتوبيس تترى أمامي * تتوقف فيقفز داخلها الركاب * فابقى وحدي * وحدي بجوار عامود المحطة * يجيء الناس آخرون * ينتظرون * تجيء عربات اخرى * ... فيندفعون نحوها * ... تنطلق بهم * فابقى وحدي من جديد متسمرا كعامود المحطة * عامود واحد وسط صحراء قاحلة * يوجد ازاء المحطة باب ... * ... باب حديدي ... متصلب ... كالتمثال * الباب مفتوح على مصراعيه * خلف الباب هناك يستكن مبنى ... * مربع * مطلي بجير أصفر مقشور * أعرف انه مبنى مكون من غرفتين * غرفة : جدرانها بلاط أبيض متسخ * هي غرفة المشرحة * الغرفة الاخرى لا أعرف عنها شيئا * او لا اتذكر معالمها جيدا * دخلت المبنى مرة واحدة في حياتي * من خلف الباب الحديدي

رأيت* رأيت مشهدا غريبا * رأيت نعشا ... * يحمله اربعة رجال* يخرجون به من خلال الباب* الى الشارع * وراء النعش اربعة رجال اخرون يسيرون في صمت * وراءهم عدد قليل جدا من النساء *يرتدين ثيابا سوداء جرباء *رأيت في ذيل الموكب طفلين* طفلا رث الهيئة نحيلا كعود قصب صغير هزيل * صبية ترتدي جلبابا قديما ممزقا *كلهم سمر الوجوه * جنازة ضامرة فقيرة *لا احد يبكي الميت* لا أحد يطلق صرخة او ولولة *الصبية الصغيرة تنخرط في مشيتها * منكسة رأسها الطفل البائس* شعرها منكوش* عفر * الطفل نحيل* شاحب الوجه* بتوالي وثبات عرجاء عصبية* سار الموكب في عرض الشارع* خال* ساروا في صمت مهيب* الصبية خافضة الرأس*

شعرت بسوار الصغيرين * بيتم الطفل* بضياع الصبية* شعرت بمشاعر اخرى شتى غامضة *الميت شخص غريب* لم اعرف أهو رجل او امرأة؟ شعرت بدوار خفيف *عندما اقتربوا مني : قبة السماء فضية متوهجة* فروع الاشجار عارية الا من وريقات جافة* مصفرة* وريقات وشيكة السقوط *رأيت الرجال حاملي النعش كاشباح خرافية هزيلة* احدهم له هيئة حوذي، آخر بدا لي كعامل تراحيل * الثالث كفران* كل شيء فيه ضامر *محترق* الرابع فلاح أعرج : كان هيكله من خشب مسوس* افرز جلدي العرق* سال العرق على وجهي* على ظهري* عرق ساخن* بدت لي أجسام السائرين ثقيلة * مهدودة الحيل* تشد نفسها شدا على الاسفلت* كأنها

تلتصق بقار الاسفلت المصهور* القيظ حارق* هجير الظهيرة لا يطاق* لا اعرف ماذا افعل ؟!

احسست بالشيء الغامض يطفو* تحرك في اعماقي * تضخم وجوده في داخلي* مر الموكب امامي* على بعد خطوات رفعت قدمي اليسرى على الرصيف* هبطت بالاخرى * تحركت خطوتين* ثم ثالثة* وجدت نفسي مدفوعا وسط المسيرة الحزينة *نظرت الى امرأة من خلال سواد جلبابها* اخذت طريقي بين الطفلين* الطفل عن يميني* الصبية عن يساري* ظللت اسير معهم* مررنا عبر ممر مطروق وسط الحديقة* في وسط الحديقة تمثال قصير* تمثال فلاحة * فلاحة قابعة في عجز *في قنوط *ربما تندب حظها العاثر* التمثال لا يعكس ظلا* يحيق به سور صدىء *توقفت عن المسير* ظل الموكب يسير امامي وانا واقف* نظرت الصبية نظرة واحدة وراءها في وجهي وهي تمشي* ظلوا يبتعدون فوق اديم الاسفلت المصهور* بدا الاسفلت كجلد فيل محترق* ظللت واقفا ارقبهم* تراءوا لي من بعيد كلعب صغيرة تهبط المنحدر حتى نهايته *ظللت واقفا تحت التمثال* ظللت أنظر اليه * انظر اليه !

حسني محمد بدوي

القاهرة

د. زينب عبد العزيز



اندريه مالرو بين الأسطورة والواقع

ما هي حقيقة شخصيته ؟ هل كان مناضلا ملتزما أم نفعيا متسلقا ؟
هل ذهب الى الهند الصينية للدفاع عن حقوقها ام لسرقة آثارها

كان اندريه مالرو يؤمن بان قيمة الانسان تكمن « فيما يحتوى عليه » وان « الانسان هو نتاج عمله » • واذا حاول المرء تحديد معالم مالرو اجتماعيا وادبيا ،لما وجد ادق واصلح من هاتين العبارتين اللتين آمن بهما وعمل على بلورتهما • اذ ان قيمة اعماله الادبية تكمن في كل ما كان هو يحتوى عليه من تجارب استقاها من خضم الحياة ،وخرج منها بتلك القيم والمفاهيم التى كونت فلسفته فيما بعد • وما وصل اليه من تحقيق الذات وما حصل عليه من مجد وتكريم لم يكن سوى نتيجة لما قام به من افعال وما اتخذه من مواقف عاشها بوعى واصرار •

الرجل والاسطورة

الا ان هذه الاعمال والمواقف ـ مثلها مثل اعمال ومواقف معظم الاشخاص الذين يبرزون فى الحياة العامة ويتعرضون لها وفقـــا للظروف ـ قد اثارت الكثير من التعليقات والتفسيرات المتباينة بل والمتناقضة فيما يتعلق بنفس الحدث • فما كاد مالرو يشق طريقه فى الحياة حتى نسجت من حوله اسطورة المارد المناضل ضد الفاشية ،واليسارى المكافح فى صفوف شعب الهند الصينية ضد الاستعمار الفرنسى، والمتطوع فى حرب اسبانيا الاهلية ضد الفاشية والدكتاتورية، ثم المجاهد فى صفوف الثوريين الفرنسيين فى حرب المقاومة ايام الاحتلال النازى •

وكلل هذا الكفاح بتعيينه وزيرا للاعلام فى اول وزارة مؤقتة كونها شارل دى جول، ثم عين وزيرا للثقافة عندما عاد دى جول الى الحكم ثانية •

الصورة المضادة

ومع تكوين ملامح هذه الاسطورة، اخذت ترتسم له صورة اخرى ـ ليست بنفس هذه الاشراقة، لتتهمه بالتوجه الى الهند الصينية لتهريب بعض آثارها ،والتسبب مباشرة فى مقتل مئات الفلاحين والعمال الصينيين ، والقيام بدور المرتزقة فى الحرب الاهلية الاسبانية، ثم اعتلاء موجة الحكم والحصول على مناصب جماهيرية حســـاسة مثل الاعلام والثقافة فى وزارة عرفت اجمالا بانها يمينية •

حقيقة الرجل

لكن، اين يقف اندريه مالرو من هـــذه الاوصاف المتناقضة ؟ وما هو الدور الايجابى الذى لعبه فى الحياة والاثر الذى تركه فى تطور الحضارة الفرنسية ؟

لعل حياة اندريه مالرو فى الواقع كانت أبسط فى ايقاعها من ذلك الصخب الذى احاطه ـ سواء مؤيدا او معارضا ،ولعل اختياره للادوار التى لعبها كان اكثر واقعية او تمشيا مع الاحداث فى سياقها الرائج •• الا ان الواضح فى حياته وفى اعماله على السواء ، ان موقفه من المجتمع ومن الاحداث قد تغير تماما فى اواخر الاربعينات •

لقد ولد مالرو مع مطلع هذا القرن، اى عام ١٩٠١، وامتد به العمر حتى ثلاثة ارباعه تماما • فهو بحكم تاريخ مولده ،يعتبر واحدا من رجال ذلك الجيل الفرنسى الذى ولد ونمت مداركه فى احلك الفتــرات الســياسية والاجتماعية التى عاشتها بلده • فقد عاصر الحرب العالمية الاولى، وعايش الحرب العالمية الثانية • وعندما تم تحرير فرنســا عام ١٩٤٥ ،كان هو فى الرابعة والاربعين من عمره •• انسانا مكتمل النمو ،ترعرع على ويلات حربين، وتفتحت مداركه على رؤية آلاف الضحايا والجرحى، وتكونت مفاهيمه على كل ما احاطه من انقاض وتداعى للقيم وللبنيان الاجتماعى والاقتصادى برمته •

وحينما بلغ سن العشرين، وبينما العالم من حوله يخوض اضخم المعـارك الحضارية والسياسية والاجتماعية، كان مالرو يخوض معركته الفردية فى تزويد نفسه بالثقافة التى التهمها من شتى الكتب وفى مختلف الميادين• كما كان قد عمل فى احدى دور النشر، وتعرف الى جماعة من الساخطين على تلك المفاهيم الحضارية السائدة التى ادت بالعالم الى حافة الهاوية ••

وخطى مالرو اولى خطواته فى مجال الكتابة والادب، بعمل بعض الابحاث وتقديم بعض الفنانين • ومن خلال هذه الكتابات، وفى

اندريه مالرو

هذا السن المبكر ،كان قد وضع الحجر الاساسي لمنهجه الذي سار عليه فيما بعد ،وهو المقارنة ** مقارنة الاعمال المختلفـــــة او مقارنة الحضارات المختلفة بغية الوصول الى مزيد من وضوح الرؤية والفهم والتعمق *

بيع التماثيل

وفي نفس هذا السن تقريبا ،تزوج مالرو من فتاة ثرية المانية يهودية، تدعى كلارا جولد شميت ـ رغم معارضة الاسرتين * وكان مورد رزقهما انذاك المضـــاربة في بورصة الاوراق المالية * اذ ما ان تم زواجهما حتى سارع مالرو بوضع ما لديه من نقود وما كانت تمتلكه زوجته من ثروات في بورصة النقود * وصادفه الحظ حتى كاد ان يصبح « مليونيرا » على حد قول زوجته * وفي اوائل سيف عام ١٩٢٢، اختل الاقتصاد الفرنسي وانهارت البورصة وانهارت معها ثروة مارلو في لحظة !

وحينما سالته زوجته عن المصير بعد هذا الافلاس، اجابها بالرد بما لم تكن تتوقعه * وتكتب كلارا في مذكراتها عن حياتهما في سن العشرين اجابة زوجها لتقول : « من سيام الى كمبوديا ، طوال الطريق الملكي الواصل بين دانجرك وانجكور ،كانت توجد هناك معابد كبيرة ، تلك التي اكتشفوها ووصفوها في السجلات * ولكن، لابد انه توجد هناك معابد اخرى ما زالت مجهولة لليوم ** ستذهب الى احد هذه المعابد الصغيرة في كمبوديا ،وناخذ بعض التماثيل وتبيعها في امريكا ـ مما سيسمح لنا بان نعيش بهدوء لمدة عامين او ثلاثة ** »

ولا احد يدري ان كانت كلارا صادقة ام مغرضة في هذا القول اذ من المعروف انهمـا قد انفصلا بعد ذلك، وعاش مالرو معغيرها *

تهريب الآثار

وبدات مغامرة اندريه مالـــرو في الهند الصـــينية مزودا ببعض المعلـومات التي استقاها من محاضرات مدرسة اللوفر ،مدفوعا بامله في اجتياز ازمة مؤقتة * وعثر على معبده المنشود ،معبد «بانتاي سري»، واستقطع منه ما رآه قيما من نقوش وتماثيل * الا ان البوليس قد تمكن من القبض عليه متلبسا بتهريب الاثار وهو عائدا على المركب قبل مغادرة الميناء ** وحوكم مالرو في قضية علنية وفي الواحد والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٢٤ صدر عليه الحكم بالسجن ثلاث سنوات وحرمانه من الاقامة في هذه البلاد لمدة خمس سنوات * الا ان كلا من المحاميين السيد بيزياة والسيد جالـــوا مونبران ـ وكانا من اشهر محامين المستعمرة الفرنسية ـ قد ترافعا عنه في المعارضة بعد ذلك استطاعا ان يخفضا العقوبة الى عام واحد مع ايقاف التنفيذ ،مستندين الى عدم وجود قانون لحماية الاثار وبعدم وجود ذلك المعبد بين السجلات المثبوتة * ولم يكن قانون حماية الاثار الدولى قد سنن بعد *

مواقفه السياسية

وفي عام ١٩٢٥ عاد مالرو مرة ثانية الى الهند الصينية ليساهم في تأسيس جريدة فرنسية تكون لسان حال المناضلين الثائرين على الاستعمار الفرنسي * الا ان الحاكم المحلي سرعان ما اجبره على مغادرة البلاد * فعاد مالرو بعد ان وعد اصدقائه المناضلين باستمرار مساندتهم من هناك **



وان اتسم مالرو ســـياسيا بشيء خلال السنوات التالية، فهو بكراهيته الواضحة للفاشية اينما كانت * وكان اليسار في فرنسا انذاك هو الجبهة المحاربة للفاشية * فانضم الى اليسار * ويوصف مالرو في هذه الفترة بانه كان رفيق كفاح ** رفيق كفاح غير ماركسي ضد الفاشية * لذلك عندما اشترك في مؤتمر الكتاب في موسكو عام ١٩٣٤ ، ممثلا للكتاب الفـرنسيين، عومل كضيف عظيم اكثر منه كرفيق لهم، اي انه عومل كفنان اكثر منه كمناضل * وخرج مالرو من هذه التجارب باحســـاس واضح لمعنى التاخي والتضامن، الذي يعد من الالحان الاساسية في اعماله *

محاربة الفاشية

ورغم الانتقادات المتبـاينة لتذبذب توقف مالرو السياسي وتضامنه مع الستالينية لعدة سنوات، ثم اتجاهه الى التروتسكية ليستقر به الامر فيما بعد الى وسط المعارضة الفرنسية والى اليمين، ثم ميله بعض الشيء الى السياسة الامريكية، على حد قول موريس بونتي، فان مالرو قد ثبت في شيء واحد محدد هو : محاربة الفاشية *

لذلك، عندما اندلعت الحرب الاهلية في اسبانيا ضد التدخل الفاشستي، سارع مالرو بالسفر الى هناك ** وخاض تجربة الحرب فعلا لمدة سبعة اشهر من منتصف عام ١٩٣٦ حتى اوائل عام ١٩٣٧ *

وفور وصوله الى مدريد، ادرك ان ضعف كيان الدفاع الجمهوري يكمن في عدم امتلاكه اية طائرة يحارب بها * فتقدم مالرو بعرض حماسي * وعهدت اليه جبهة المقاومة بمهمة تزويدها بالطائرات الحربية الفرنسية *وعلى الرغم من توقيع حكومة بلوم على معاهدة بعدم التدخل الى جانب الاتحاد السوفيتي في حرب اسبانيا ضد الفاشية، الا ان مالرو قد استطاع شراء خمسين طائرة حربية بفضـــل صلاته ومعارفه في وزارة الحربية الفرنسية * وعين قائدا لهذا السرب برتبة « كولونيل » ـ وان لم يكن معدا لهذا المنصب !**

واختلف المؤرخون حول تفسير الدور الذي قام به مالرو في اسبانيا وهل كان مجرد « مرتزقا » يبحث لنفسه عن الشهرة والمجد ؟

ام قام فعلا باعمال نضالية حقيقية ؟ وربما كان في الواقع اشبه ما يكون بلورانس العرب، الذى لم يكن يهاجم السياسة البريطانية الاستعمارية ـ التى كان يمثلها ـ بقدر ما كان يهاجم الاستعمار الفرنسي بشكل غير صريح •

الفن والحكم

الا ان مالرو قد خرج من هذه التجربة باحدى اهم تجارب حياته الفنية وهى : دخوله مجال السينما • فقد كتب واخرج فيلم « سييرا دى ترويل » المعروف باسم «الامل» عن الحرب الاهلية الاسبانية • وهو يعتبر فيلما فريدا من نوعه في مجال السينما العالمية، وسباقا على افلام روسلليني من حيث الواقعية في تصوير الاحداث •

وعندما احتل الالمان فرنسا، بادر مالرو بالانضمام الى صفوف المقاومة الفرنسية • ثم خاض تجربة الاعتقال •• وفي الواحد والعشرين من شهر نوفمبر عام ١٩٤٥ عين وزيرا للاعلام في وزارة شارل ديجول المؤقتة• وبذلك انتقل مالرو ـ اجتماعيا ـ من صفوف المناضلين الى منصة الحاكمين ••

وصمت مالرو •• صمت ليتفرغ للكتابة حتى عام ١٩٥٥، عندما زاد الحديث عن معسكرات الاعتقال الفرنسي في الجزائر وعن بشاعة وسائل التعذيب • فخرج عن صمته وعاد الى حماس الصبا ليدين السياسة الفرنسية ويدين وحشية وسائل القهر التى كانت تمارس مع الجزائريين الوطنيين • وان كانت هذه الادانة ـ في الواقع ـ لصالح بلده اكثر منها من اجل الجزائريين • فكيف كان يمكن للحكومة الفرنسية، التى تتزعم شعار الحرية في العالم، ان تقنع شعبها بما تقترفه من اهوال كحكومة استعمارية ؟ فانسحبت من الجزائر ـ مرغمة ـ مثلما سبق لها وانسحبت من ديان بيان فو ••

ومرة ثانية، اسند اليه شارل ديجول منصبا في حكومة الجمهورية الخامسة • وعمل مالرو من عام ١٩٥٩ الى عام ١٩٦٩ وزيرا للثقافة • وتتصف فترة اشتراكه في الحكم هذه بالاعتدال ـ وان كان ياخذ عليه مواطنوه موقفه من مطالب العمال ومن ثورة الطلبة عام ١٩٦٨، يصعب ادراجها في قائمة مواقفه النضالية الطويلة ••



اعماله الادبية

اذا كانت هذه الملامح المختصرة تمثل اندريه مالرو كانسان مناضل، جاهد من اجل ايمانه ومبادئه ضد الفاشية والاستعمار، ثم كل النضال وصفوف المناضلين ـ مثله مثل الكثيرين من ابناء ذلك الجيل ـ ليلتقي بعد ذلك في مصاف الحاكمين، فلا شك ان صورته كاديب فنان اكثر عمقا واكبر اثرا • الا ان اعماله الادبية تمثل علامة من علامات تطور الرواية الفرنسية في القرن العشرين • فقد اعطى للرواية الحديثة شكلا وخلفية جديدة في الوقت الذى كان فيه معظم كتاب الرواية الفرنسيين يتجهون الى المسرح لتصوب نبعها • فخرج مالرو بالرواية الفرنسية من الموضوعية المحلية الى الموضوعية العالمية •

وقد كان يصف الرواية بانها « اوضح اسلوب يعبر عن ماساة الانسان » • ذلك ان الماساة في نظره هى محاولة الخلاص من محنة ما • ومن هنا يمكن اعتبار رواياته كانماط مختلفة لمحاولات من محن معينة ، عبر تجربة الواقع الانساني ـ وان كان يعتمد اساسا على النزعة البطولية في الانسان، وخاصة في مواجهة الموت •

نقل التجربة الانسانية

ويتميز اسلوب اندريه مالرو بالانسانية • بمعنى انه ليس اسلوبا متعالقا يهدف الى الدقة اللغوية والتنميق، وانما اسلوب انسان يهتم بنقل تجربته الانسانية، اسلوب يقول شيئا للاخرين •• وتكمن قوة الصورة او المواقف التى يعبر عنها عادة في صلتها بما في الواقع نفسه من احزان • فهي صور تدل على مدى ارتباط العالم بماساة الانسان • اينما كان •

كما انه يعتمد على السرد والحوار معا، في ايقاع سريع متبادل الفقرات • الا ان معظم محاور رواياته يعتمد على تلك اللحظة الماساوية التى يواجه فيها الانسان الموت، والتى ترتفع التماسها ـ في اعماقه ـ قوة مبهمة، لعلها اقوى من آماله او من هلعه، تعثه على مواجهة الموت او ترهبه منه •

ومن المعروف عن مالرو انه كان كاتبا ثوريا ـ وما كان يعنيه في الثورة هى تلك اللحظات الحاسمة، لحظات الصراع التى تنصهر فيها رؤيا الانسان وتتبلور قدراته على الكفاح والنضال • اى انه كان يهتم بالثورة داخل اعماق الانسان اكثر من اهتمامه بها في العالم المحيط به • كما ان الثورة في نظره تتخذ مضمونا معنويا اخر ، يكمن في صراع الانسان ضد الاهانة المفروضة عليه •

عالم الفن

ومثلما ابتعد مالرو في الواقع عن النضال ابتعد عنه ايضا في مجال الكتابة ليتجه بكل ما به من خيبة امل واحزان دفينة الى ذلك العالم الواسع، المبهم الابعاد، الى عالم الابداع •• راح ليكتب عن الفن والفنانين، عن « اصوات الصمت » في ذلك « المتحف الخيالي » الذى يعتبر ملجا كريما لكل من لا يجد لنفسه مكانا صادقا في مجتمعه •••

واذا ما اتسمت الفترة الثورية في حياة مالرو بالنضال، النضال في الواقع وفي مؤلفاته معا، فان تغيير موقفه الاجتماعي والسياسي بعد ذلك ـ وكثيرا ما يكون هذا التغيير خاضعا لظروف تخرج عن طاقة الانسان كفرد ـ انعكس على اعماله بشكل اخر •• فهو كاديب صادق لم يمكنه التنكر لاعماله السابقة وتمجيد او التعبير عن عكس المواقف النضالية للانسان المقهور •• لذلك يبدو مالرو وكانه طوى صفحة النضال الادبي، ليتجه الى ابعاد عالم الابداع الفني، عبر العصور والحضارات المختلفة ـ على اساس ان الفن هو اصدق ما يقلقه الانسان من بصمات ••

د. أحمد الحوراني

الأمن الغذائي

مطلب استراتيجي عربي

الاولوية للغذاء

تحقيق العمل الاقتصادي العربي ينبغي ان يتم وفقا لاولويات معينة، ولعل الاجماع يكاد ينعقد على اولوية توفير الامن الغذائي للمنطقة العربية، نظرا للعجز المتزايد في الغذاء المتاح، نتيجة لتزايد السكان في الوطن العربي بنسبة ٢٫٩٪ سنويا ،وتزايد استهلاك المواد الغذائية نظرا لارتفاع مستوى المعيشة، واتجاه السكان المشتغلين بالزراعة الى المدن بحثا عن الاستخدام في الوظائف الحكومية . ونقص الاستثمارات في القطـــاع الزراعي اضف الى كل ذلك صعوبة الظروف العالمية المحيطة بانتاج الغذاء ،والمتاجرة فيه، حيث اصبح من السلع الاستراتيجية، فقد اصبحت الدول المصدرة للمواد الغذائية ترمي الى تحقيق مكاسب استراتيجية لخدمة اهدافها القصيرة والمتوسطة والبعيدة المدى •

تدني الدخل والانتاجية

ولعل نظرة على الارقام الرئيسية المتعلقة بالنشاط الزراعي العربي تبين ما يعانيه من اوجه القصور المختلفـــة فالسكان العرب الذين يعملون في الزراعة يقدر عددهم بحوالي (٧٥) مليون نسمة عام ١٩٧٢، اى بنسبة تبلغ حوالى (٦٣٪) من مجموع عدد السكان في البلاد العربية، اما القوة البشرية العاملة في قطاعات الزراعة في الوطن العربي فانها تبلغ حوالى (٢١) مليون نسمة •

قصور الزراعة

وقد بلغت قيمة اجمالى الناتج الزراعي العربى حوالى ستة بلايين دولار امريكي للعام المذكور ،وهذا يعني ان الدخل السنوى للسكان الزراعيين يبلغ حوالى (٨٥) دولارا للفرد ، اما العامل الزراعي فيبلغ دخله السنوى حوالى (٢٨٥) دولارا • ويتضح مدى تدني هذه الارقام عند مقارنتها بالارقام الامريكية المشابهة • فقد بلغ اجمالى الناتج الزراعي الوطني حوالى (٣٥) بليون دولار عام ١٩٧٢، تقوم بانتاجه قوة عمالية زراعية امريكية تقدر بحوالى ثلاثة ملايين عامل • مما يعنى ان الدخل السنوى للسكان الزراعيين يبلغ حوالى (٤٢٩٣) دولارا للفرد • اما العامل الزراعى، فيبلغ دخله حوالى(١١) الف دولار •

ومهما يكن، فان هذه الانتاجية المتدنيه ، تنعكس في تفوق استهلاك المواد الغذائيه على انتاجها في العالم العربي، فالبيانات المتاحة من الانتاج والاســـتهلاك لمجموعة الحبوب الرئيسية ـ القمح والشعير والارز والذرة ـ عام ١٩٧٢، تشير الى عجـــز في انتاج هذه الحبوب عن استهلاكها لمجموعة كبيرة من الدول العربية ،ويقدر هذا العجز بنحو (٣٫٨) مليون طن •

ومن اللافت للنظر، ان جميع دول هذه المجموعة تعاني من عجز في مجموعة الحبوب الرئيسية، وان اختلف مقدار العجز في كل دولة ،وترتيب الـــدول حسب اولوية مقدار العجز : مصر • السعودية • لبنان • ليبيا• سوريا • السودان• الكويت• اليمن الشمالي• اليمن الجنوبى • الصـــومال • العراق • البحرين •

قصور الانتاج الزراعي يجعلنا عالة على الاستيراد، وقد يؤدى الى التبعية

عجز الانتاج

اما على مستوى السلعة، فتشير البيانات المذكورة الى ان هذه المجموعة من الدول العربية قد حققت عجزا في انتاج اى سلعة في مجموعة الحبوب الرئيسية عن استهلاكها، باستثناء العراق الذى حققت فائضا في انتاج القمح بلغ حوالى (٦٠) الف طن، وسوريا حققت فائضا في انتاج الشعير بلغ حوالى (٣٦٫٦) الف طن، ومصر التي حققت فائضا في انتاج الارز بلغ (٤٥٦٫٥) الف طن •

ولم يكن الحال الافضل في انتاج الفواكه، والحبوب الزيتية، والمحاصيل السكرية، والبقوليات • فقد بلغ العجز في انتاج الفواكه حوالى (٢٠٨٪) من الانتاج، وفي البقوليات (٧٠٠٪) من الانتاج، والمحاصيل السكرية (١٧٠٪) من الانتاج •

الاستيراد أو المجاعة !

وتتضح مشكلة الغذاء على المستوى العربي بمقارنة النمو المتوقع في انتاج الحبوب للفترة (١٩٧٥ ـ ١٩٨٥) مع النمو المتوقع للسكان في نفس الفترة • فمن المتوقع زيادة السكان في الوطن العربي بنحو (٤١٫٣) مليون نسمة اى بنسبة ٣٠٪ تقريبا، والزيادة المتوقعة في انتاج الحبوب لا تكفى الا لسد نصف احتياجات الزيادة السكانية للفترة المذكورة ••• الامر الذى يمكن ان يتسبب بمجاعة في حالة عدم الاستيراد، او نقصانه عن مستوى العجز الحاصل لظروف يصعب التنبؤ بها ولكنها متوقعة • وذلك من شانه ان يفقد العالم العربي حرية اتخاذ قراراته فيما يتعلق بمصالحه الوطنية العليا •

نحو خطة متكاملة

ومن هنا، فقد بات لزاما على الاقطار العربية ان تعمل بصورة فردية او ثنائية او جماعية على سد العجز ـ او التقليل منه ـ في المنتجات الغذائية • ولتحقيق ذلك ينبغى تنفيذ اجراءات قصيرة ومتوسطة وطويلة الاجل، لعل اهمها يتلخص في النقاط التالية :

● العمل على زيادة الانتاجية للموارد الزراعية الحالية في كل قطر •••• الامر الذى يتطلب دراسات مفصلة حول عوائق ومعدلات الانتاجية، ويمكن في هذا الصدد من



الاستعانة بخبرة المنظمة العربية للتنمية الزراعية، على ان يجرى تحديد المعوقات والمعددات الخارجة عن مقدرة الدولة صاحبة العلاقة بكل وضوح لتصار الى بحثها في اطار عربي مشترك بهدف ايجاد الحلول الملائمة لها •

● زيادة مخصصات الاستثمار الزراعي في الاقطار العربية، ويمكن التغلب على نقص التمويل الذى تواجهه العديد من الاقطار العربية بواسطة تاسيس بنك زراعي، يكون تابعا للمنظمة العربية للتنمية الزراعية، وذلك اسوة بالبنوك والمؤسسات الاقراضية المتخصصة المنتشرة في سائر الاقطار العربية •

● الحد من هجرة أهل الريف الى المدن، بتوفير الخدمات الاساسية للريف، وتخصيصه بمشاريع ـ خاصة الزراعية او القائمة على المنتجات الزراعية ـ متنوعة لاستيعاب اليد العاملة الباحثة عن العمل، الامر الذى يغنيها عن البحث في مجالات العمل المتوافرة في المدينة •

● العمل على ربط الانتاج الزراعي النباتي بالانتاج الزراعي الحيواني ـ مع ان عدة اقطار عربية قد ساهمت في تنفيذ هذا الاجراء بتقديم تسهيلات للمزارعين بهدف اقتناء الحيوانات ـ للتخلص من البطالة المقنعة التي تعاني منها الزراعة العربية، وبالتالى زيادة انتاجية العمل في القطاع الزراعي •

● اصلاح الهيكل التنظيمي في القطاع الزراعي، وعلى سبيل المثال، يمكن توزيع الاراضي الزراعية الحكومية على الراغبين في العمل في القطاع الزراعي ـ خاصة خريجي المعاهد والكليات الزراعية ـ والتخلص من الملكية المشاعة للارض بتخصيص ملكيتها • وتاسيس المنظمات التعاونية التي تقدم تسهيلاتها في الانتاج والتسويق بهدف تذليل الصعوبات التي تواجه المزارعين •

● تخطيط التعليم المهني الزراعي في كل قطر عربي، بحيث يجرى تطوير العلوم الزراعية الحديثة بما يتناسب والبيئة المحلية، ومن الضرورة بمكان تاسيس المعاهد والكليات الزراعية في المناطق الريفية لتمكين الطلبة من ممارسة العمل الزراعي، بصورة تسهل عليهم الاندماج في هذا العمل بعد تخرجهم • اما على الصعيد الكمي، فانه ينبغى التخطيط لزيادة عدد خريجي المعاهد والكليات الزراعية، فنسبة اعداد هؤلاء الخريجين تعتبر ضئيلة اذا قورنت باعداد الخريجين في الدول المتقدمة زراعيا • ومهما يكن، فان مكافحة الامية بين صفوف المزارعين يعتبر شرطاً ضروريا لاستجابة هؤلاء للطرق الحديثة في الزراعة، اذ لا يمكن لدولة معظم سكانها لا يستطيعون القراءة والكتابة من تحقيق تقدم اقتصادى • فمن ابرز المسائل التي يسببها ارتفاع نسبة الامية الصعوبة في نشر المعلومات، بالاضافة الى عدم مقدرة السكان على فهم الافكار الجديدة ••• فالانتشار الواسع للامية يخلق مسائل اخرى اقل وضوحا ،ولكنها تحمل تاثيرا اجتماعيا سيئا ،فالامي يشعر انه ادنى منزلة من غيره، وغير واثق في نفسه، واكثر مقاومة للتغيير •

● استغلال المناطق الزراعية الشاسعة في بعض الاقطار العربية، كالسودان والعراق وسوريا ومن المؤكد انه في حالة استغلالها بصورة مثلى، فانها ستغطى احتياجات العالم العربي من السلع الغذائية الاستراتيجية •

ولعل في تاسيس المشاريع الزراعية العربية، وما يتطلبه ذلك من تجنيد للاموال والايدى العاملة العربية الوسيلة المثلى لتحقيق هدف الوطن العربي في تحقيق الامن الغذائي •

ولاشك فان الامر يستدعى القيام بالمزيد من الاجراءات العربية والاقليمية ،للتوصل الى حل لمسالة الامن الغذائي •••• فالظروف ملائمة والحاجة ملحة •

همسة

فى بداية الحياة الزوجية ـ ككل بداية ـلابد من الخلافات ** والسبب هو محاولة كل من الزوج والزوجة اثبات وجوده وتمسكه بسلطات عديدة فى المنزل **

والحقيقة *** عزيزى الرجل *

المراة مخلوق عاطفى ** وفى امكانك ان تستحوذ على قلبها وان تبقى لنفسك كافة السلطات فى مملكتك الصغيرة اذا استفدت من تجارب الاخرين **

قال احد الازواج « لقد وجدت باب السعادة مفتوحا لى من خلال ابنائى ** كنت اغرقهم بالحب والحنان امام زوجتى لانهم قطعة منى ** وقت فـــراغى لهم ** العب معهم ** اضحك معهم ** اكون مثلهم ** لقد استطعت ان اكسب حب زوجتى وابنائى فى وقت واحد ** ولم يعد هناك مجال خلاف ابدا » **

وزوج اخر قال « يوم العطلة هو اسعد يوم فى حياتى ** اقضيه مع زوجتى ** اعيش كل لحظة فيه ** نخرج سويا ** ادعو اهلها لزيارتنا ** اساعدها فى اعمالها ** ادخل المطبخ معها ** لم ادع الخلاف يتدخل فى حياتنا ** وهكذا عشت سعيدا فى مملكتى » **

وبعد عزيزى الرجل ** الست معى فى ان يوم حنان واحد منك يجعل زوجتك تبذل اقصى طاقتها لاسعادك ستة ايام كاملة *

شاديه

أخبار للمرأة

طوكيو

اوضح احصاء اجرى فى سبتمبر الماضى على الف موظفة يابانية غير متزوجة ان ٨٨ر٣٪ يقمن مـــع عائلاتهن **** بينما تقيم النسبة الباقية فى شقق بمفردهن *

كما اشارت الاحصائية الى ان ٩٠٪ من هؤلاء الموظفات يتقاضين ما بين سبعين الى مائة الف ين * وتدخر الموظفة ٢٥ الف ين فى المتوسط شهريا وتعطى عائلتها نسبة من راتبها كما تنفق فى المتوسط ٤٤٠٠ ين فى دروس الطهى او تنسيق الزهور و ٨٤٠٠ ين على المآكل و ٣٨٠٠ ين للملابس وادوات التجميل و ٢٢٠٠ ين لتسديد الاقساط المستحقة عليها *

مكسيكو

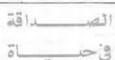
اقترحت الباحثة المكسيكية الدكتورة جوليانا كونكوبي ان يتجه العالم الى تربية الحشرات واعدادها كغذاء يمكن ان يسهم بشكل جزئى فى حل مشكلة النقص فى الغذاء الذى يهدد البشرية *

وقالت الدكتورة جوليانا ان الحشرات بعد اعدادها يمكن ان توفـــر مـــوردا غذائيا هاما حيث تحتـــوى على ٣٠ فى المائـــة بروتـــين بينما تحتوى لحـــوم الابقـــار من البروتين على ١٨ر٩ فى المائة والاسماك على ٢٠ر٢ فى المائة ** كما يحتوى البعوض(عثة العربر) تحتـــوى على اربعة احماض امينية تلزم الانسان *

بـــون

اثبتت الدراسات التى قامت بها ادارة التلفزيون المدرسى فى مدينـــة بريجن بالمـــانيا الاتحادية ان اطفال المدارس يفضـــلون تلقى دروسهم من مدرسيهم مباشرة وليس عن طريق التلفزيون المدرسى *

واوضحـــت الدراســـات ان التلاميذ لا يستطيعون مواصلة التركيز امام التلفزيون فترة طويلة بينما تساعدهم المناقشات التى تتم بينهم وبين مدرسيهم على استيعاب مناهجهم بصورة افضل *



الصـــداقة فى حيـــاة الأطفـــال

ان نمو الصداقة وتطورها بين الاطفال موضوع يهم الاباء والامهات ** نظرا لما يحدثه هؤلاء الزمان والاصـــدقاء فى شخصية الطفل ***

وبوجه عام ** فان الاطفال الصغار يفضلون اللعب مع الاطفال الذين فى مثل سنهم وكلما نضجوا ظهر هذا الميل الى الرفاق الذين يتحلون بنفس الصفات والذين يتساوون معهم فى تفكيرهم ***

ومع ان الصداقة بين الاطفال الصغار جدا محدودة تماما الا انه لوحظ ان الاطفال الاكثر ذكاء والذين فى سن واحدة يرتاحون الى رفقـــة بعضهم بعضا ،والذين يتمتعون بذكاء متوسط يتصادقون ،فى حين ان الاغبياء يلعبون مـــع اطفال يصغرونهم فى السن اذا لم يجدوا اطفالا فى سنهم يلعبون معهم *

وكل ما فى استطاعة الاباء عمله من اجل صداقات ابنائهم

افكار عملية

ثوبك القديم استفيدي منه

يمكنك فك ثوبك القديم وتحويله الى ثوب جميل جديد استعملي الباترون *** اضيفي بعض القماش الى الثوب القديم *** ليعود جديدا كالسابق •

ذات الشعر المجعد

موضة ١٩٧٧ ** اذا اردت ان تجعلي شعرك مجعدا (افروهير) فان ذلك ممكن في عام ١٩٧٧ ** وتكون التجاعيد صغيرة او معقدة •

طلاء الاظافر

كثيرا ما تتسخ اطراف اظافرك وانت تطلينها *** اليك طريقة سهلة تمنع الطلاء من التجمع على لحمية الاظافر • امسحي لحمية الاظافر بكريم او زيت قبل ان تبدئي **** ثم امسحي الزيت عنها بعد ان تنشف ***

واذا كانت اظافرك قصيرة *** ضعي بعض الطلاء على لحمية الاصابع •

كبكوب الصوف

اذا كنت من اللواتي لهن هواية حياكة الصوف *** فاليك هذه الفكرة كي يبقى خيط الصوف نظيفا ***

ضعي كبكوب الصوف في داخل كيس *** ثم اثقبي الكيس كي تخرجين من الثقب الخيط *** بهذه الطريقة يبقى خيط الصوف نظيفا •

هو تهيئة مكان يستطيع فيه ابناؤهم ان يلتقوا باصدقائهم ** على ان يشعر الاطفال في ذلك المكان بالسعادة والامان •

وقد يشكوا الاباء من وجود طفل في الحي لا يريدون ان يختلط ابناؤهم به لئلا يكتسبوا منه العادات القبيحة ** فيمكن لهؤلاء الاباء ان يمهدوا لاطفالهم مجال اللعب في البيت حتى تستطيع الامهات ان يشرفن عليهم •

والطفل في التاسعة من عمره يميل للاشتراك عادة في اكثر من اربعين لعبة وخاصة الالعاب الجماعية ** وهذه الالعاب تكون نواة للتعامل مع المجتمع عامة في المستقبل • وفكرة تكوين الجماعات هي مجهود ذاتي يبذله الاطفال لخلق مجتمع ملائم لهم *** والفرقة تمثل مؤسسة جماعية من الاطفال المتجاورين في السكن يلعبون معا ** وهذه الفرقة تجتمع لايجاد وسيلة لقضاء الوقت **** وممارسة الوان النشاط •

وقد دلت الدراسات التي قام بها احد المعاهد العلمية ان اكثر المنحرفين هم الذين حرموا في طفولتهم من اللعب سواء في المنزل او مع رفاقهم في الاماكن الملاصقة خارج البيوت •

ولعل من ابرز الوسائل التي تشجع بها اطفالنا على ممارسة اللعب المفيد تشجيعهم على الاشتراك في المعسكرات الصغيرة للكشافة لتدريبهم على النظام والطاعة ** وبهذه الوسيلة سيجد الاطفال متنفذا لما يصادفونه من مضايقات في حياتهم اليومية ودافعا على التعلق بعادات التعاون مع الرفاق والولاء للجماعة •

نساء دخلن التاريخ

مدام دوستال

مما لاشك فيه ان العناية بتربية البنت فى صغرها يهيء لها مستقبلا رائعا يحفظ لها كرامتها •

ومن الفتيات اللاتى لقين الرعاية الكافية فى صغرهن آن لويس جيرمن •• ابنة احد الوزراء الفرنسيين فى عهد نابليون عاشت آن فى بيت علم وادب واعتبرت واحدة من عباقرة عصرها فلقد علقت على كتاب روح الشرائع لمونتسكيو وحللت اراء روسو الاجتماعية فى مؤلفاته وهى لم تتعد سن الخامسة عشرة ••

فطرت « آن » على ذكاء لامع واحساس مرهف ومواهب تبعث على الاعجاب وكان لها الرها العظيم فى عصرها وفى توجيه تياراته الادبية ومعالجته الفكرية والاجتماعية ••

تهافت على صالونها الادبى المفكر الفرنسى الكبير تاليران الذى قال عنها •• بانه سيكون لها شان كبير فيما بعد •• وبالفعل استطاعت آن لويس جيرمن ان يكون لها شان كبير •• فتهافت عليها الراغبون فى الزواج بها • الا انها اختارت البارون دوستال هولستن الذى كان دائما يتساءل عن سحر عبقريتها •• فحملت اسمه وعرفت فى الاوســـاط الادبية والفكرية باسم مدام دوستال •• فاصبح لها نفوذ عظيم فى فكر وسياسة فرنسا •• وكان لها الفضل الاول فى ان يصبح تاليران وزيرا فى الحكومة الفرنسية •

ثارت مدام دوستال على نابليـــون لتكبره وتهكمه على المفكرين والادباء واستخفافه بشعبه •• ولم تكن تعلم انها كانت ملهمة نابليون فى ارساء دائم فرنسا فى كل ما كانت تكتبه وتنشره •• ومع هذا لم تسلم من اضطهاده لها ولغيرها من المفكرين •• لذلك قررت هى وزوجها مغادرة فرنسا •• وعاشت بعد ذلك سلسلة من الاضطراب والتنقل من بلد الى آخر وكانت فى جميع مراحل ترحالها هى وزوجها تلتقى بمعظم المفكرين وكانت تستقبل فى بلاط الملكات استقبال العظماء •• الى ان استقرت فى انجلترا •• حيث تفرغت للكتابة بالرغم من مؤلفاتها العديدة التى نشرتها فى المانيا وايطاليا وجميع البلاد التى زارتها •• ومع هذا فقد كانت طموحه الى ابعد حدود الطموح •• وكانت تردد دائما •• « ان الفكر الانسانى معين لا ينضب » ••

وخلال الفترة الاخيرة من حياتها مرت بها احداث جسام •• فقد مات زوجها ثم والدها ثم مات احد ابنائها •• مع هذا فقد كانت فى هذه الفترة مثمرة باثارها الادبية ••

ان مدام دوستال بفكرها وادبها مثلت دورا هاما فى التاريخ منذ فجر الثورة الفرنسية الى سقوط نابليون •

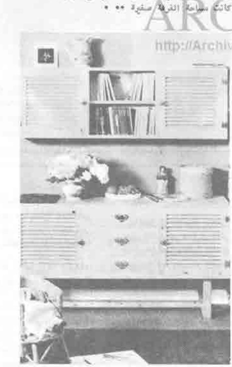


- أعتقد يا مارتا أنك أوصلتني إلى بداية السلم وأحتاج الآن الى اليقون لأصل الى قمته ؟

ديكور

لغرفة الابناء الاعزاء ••• خزانة تعلق بالحائط ••• تستعمل لحفظ الكتب وما يلزم الابناء من ادوات ••

اسفل خزانة الحائط •• بالامكان وضع خزانة بادراج وذلك للحصول على مزيد من الاتساع فى الغرفة وخاصة اذا كانت مساحة الغرفة صغيرة •• •





شعرك ... تاج على رأسك

ان جمال الوجه يحتاج الى اطار يبرزه ويعبر عن جاذبيته .. وهذا الاطار يتمثل في الشعر الجميل الذي يتطلب منك عناية دائمة .. وهذه العناية تختلف باختلاف نوع الشعر .. ولذلك يجب ان تعرفي اولا نوع شعرك ثم العناية به بالطريقة المناسبة بعد معرفة عيوبه .

الحيوية لشعرك

اذا ظهر شعرك خاليا من الحيوية فهذا قد يرجع الى نوع الغذاء الذي تتناولينه.. او الى ضعف الصحة بوجه عام .. ولمعالجة هذه الحالة ... تناولي المواد التي تحتوي على البروتين مثل اللبن واللحم والسمك والبيض والجبن .. بالاضافة الى الاكثار من تناول الخضروات الطازجة .. كما يجب الاقلال من تناول الشكولاته والاطعمة التي تحتوي على نسبة كبيرة من الدهون وخاصة في حالة الشعر الدهني .. مع الاكثار من تناول عصير الفاكهة والماء ...

قشرة الرأس

هناك اسباب كثيرة لظهور القشرة في الشعر .. منها ضعف الدورة الدموية في فروة الرأس ... او استعمال الشامبو بكثرة الذي يساعد على ظهور قشور الرأس .. وكذلك القلق والضغط العصبي يلعبان دورا هاما في هذه الحالة .. والاهمال في علاج قشرة الرأس يسبب في بعض الاحيان ظهور الحبيبات وانتشارها على بشرة الوجه او عند قاعدة العنق من الخلف ..

علاج قشرة الرأس

في حالة ظهور القشور يجب العناية بنظافة المشط والفرشاة والكلبسات المستعملة وذلك عن طريق غسلها مرتين في الاسبوع .. مع مراعاة عدم استعمال اي مشط يخص الاخرين .. ومن الاشياء التي تفيد في العلاج ... اضافة قدر من الخل الى الماء الدافيء عند شطف الشعر ..

واذا كانت قشرة الراس ناتجة من جفاف فروة الراس .. فمن الافضل تغذية فروة الرأس بزيت الزيتون الدافيء وعمل تدليك لها على ان تكون حركة اليد دائرية .

سقوط الشعر

ان اسباب سقوط الشعر كثيرة منها ما يتعلق بالصحة والانفعالات او استعمال الباروكة باستمرار او البوستيش ... بالاضافة الى عدم العناية بتغذية فروة الرأس ..

ومن الاشياء التي تفيد في علاج سقوط الشعر ... عمل حمامات الزيت الدافيء والخروج الى الهواء الطلق بكثرة .. والقيام ببعض التمرينات الرياضية .

انقسام اطراف الشعر

من عيوب الشعر ايضا تقصف اطرافه .. وفي مثل هذه الحالة يستحسن استعمال الكريمات المغذية للشعر مع استعمال الشامبو المناسب ويفضل استعمال النوع الذي يدخل في تركيبه الزيت .... بالاضافة الى قص الاطراف بين كل فترة واخرى والابتعاد عن استعمال الصبغات ... مع مراعاة استعمال الكريم المغذي بعد غسل الشعر لكي يكتسب الشعر النعومة المطلوبة .

فكاهات

● عاد الاب يوما الى بيته في المساء فوجد ابنه الصغير يضرب اخته ضربا اليما ..

فسأله : لماذا تضربها ؟

فقال الصبي : لانها خدعتني يا ابي .. كنا نقوم بتمثيل قصة آدم وحواء .. فكانت هي تمسك تفاحة كبيرة بين يديها .. ولكن بدلا من ان تغريني باكلها .. راحت تلتهمها وحدها .. مؤكدة لي ان حواء القرن العشرين قد تغيرت وانها اذكى من جدتها .

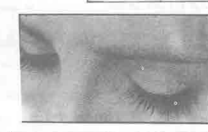
● تشاجر الزوجان .. واخذ كل منهما يعير الاخر بما فعله لاجله من افضال ..

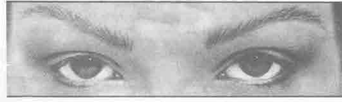
قال الزوج : لو لم اكن محبالك لما امنت لك على حياتي بالفي دينار تحصلين عليها وحدك عند وفاتي ..

فقالت الزوجة في سخط .. وما الفائدة مادمت تصر على استدعاء الطبيب كلما توعكت صحتك ؟









الحواجب والخطوط الانيقة :ـ

بعض النســاء الاوربيات يلتقطن حواجب عيـونهن ثم يرسمن عليهن بالاقلام الخطوط التي يردنها، بالــرغم من ان الحواجب الكاملة ذات الشعر الكثيف اصبحت هي الموضة الان ** الا ان ما يناسب كل الاذواق هو الجمع بين الحواجب الطبيعية والخطوط المرسومة بالاقلام *



ظلال جفن العين

في عام ١٩٧٧ تفضــل الحسناوات تظليلجفون عيونهن وذلك بتقريب الظــلال من رموش العين * وافضل الوان الظلال هي الاخضر الفــاتح والبني الفاتح والازرق الناصع

رموش العين

اذا اردت ان تكون رموش عينيك ناعمة وطبيعية وسئمت من مسكارا- اصبغي -الرموش في اى صالون تجميــل، او استعملي مسكارا الجديد(ميري كوانتـ صبغة الرموش) ، ولا تحتاجين لاكثر من هذا في رموش عينيك خاصة اذا ظللت جفون عينيك ورسمت خطوطا بالقلم على حاجبيك *



هــل تــريدين ان تكوني ناجحة ؟

هذا هو ثمن النجاح: من تجارب مشاهـير النساء :

سونيا لانامان :

سونيا لانامان كاتبـة على الالة الكاتبــة في مـدينة برمنجهام ببريطانيا ** وهي من بطلات الرياضة فيبريطانيا ** ان نجاحها الحــالي كان سيقودها الى نيــل ميدالية ذهبية فيدورة الالعابالاولبية في العام المــاضي في كندا الا انها اصيبت بجراحوتشنج في الاعصاب قبل ساعات من سباق المائتى متر * فارتمت على الارض واجهشت فيالبكاء ** لقد انهارت كل صروح امالها ** ولكنها مصممة على ان تشترك في دورة الاولمبياد القادمة ** وهي تواصل الان تدريباتها لمدة ساعتين كل يوم ** بما في ذلك يوم الاحد ** وتقضي اربعة ايام بعيدا عن اهلها من مايو الى سبتمبر مما افقدها صحبة الاصــدقاء والصديقات والحياة الاجتماعية ** وهذا هــو ثمن الشهرة والنجاح والبطولة

السيدة روزالين كارتر .. زوجة الرئيس الامريكي جيمي كارتر :-

سيدة امريكا الاولى خجولة، وجميلة، ودقيقة القوام .. شعرها ناعم اسمر، وعيناها زرقاوان كالبحر وذات ابتسامة هادئة .. ستدخل على البيت الابيض حفاوة الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية .. وتبدو اصغر بكثير من عمرها الذى ناهز التاسعة والاربعين .. لاتدخن ولاتعاقر الخمر ويهتم بها زوجها الرئيس اهتماما فائقا •



الكاتبة مارجريت باول .. عمرها ستون سنة !!

فى عمر الستين ملات شهرة مارجريت باول الافاق• بعد ان كانت زوجة قابعة فى البيت اصبحت شخصية عالمية • وكانت وسيلتها للشهرة .. تاليف الكتب .. قفزت سمعتها الادبية الى الافاق حين نشرت كتابها الاول «الدرج الاسفل» عن حياتها فى الخدمة .. ولدهشتها فقد نجح الكتاب نجاحا منقطع النظير • لم اعقبته بعشرة كتب اخرى .. وبعد تسع سنوات لم يبق لها وقت .. وقال الناس عنها .. انه من المحزن حقا ان مؤلفاتها وقريحتها تفجرت فى هذه السن المتاخرة .. ولكنها تخالفهم الراى وتقول .. ان الانسان عندما يكون شابا يكون له امل عريض ويحتمل الفشل والنكبات .. اما المسن فلم يبق له شىء او خيار •

وتستيقظ الكاتبة، مارجريت الساعة الخامسة والنصف صباحا وتكتب حتى الساعة الثامنة صباحا، اذا كانت فى حالة حسنة، والا فانها تدبر امور بيتها ،ولها برامج محاضرات واذاعة احاديث وحفلات فى كل انحاء بريطانيا مما سبب لها بعض الحرج والمشاكل العائلية التى تحاول التغلب عليها فى هذه السن المتاخرة •

النجمة السينمائية الطفلة بوني لانجفورد :

صعدت الطفلة بونى لانجفورد سلم الشهرة فاصبحت نجمة تلفزيونية وسينمائية عندما كان عمرها سبع سنوات • وعمرها الان ١٢ عاما وتكسب من كل عرض تشترك فيه ما يزيد عن ٦٦٠ جنيها استرلينيا• ولكنها كما تقول والدتها انها طفلة اقتصادية جدا .. ترضى بخمسين بنسا فى الاسبوع• وقد بدا صعودها عندما فازت فى مسابقة تلفزيونية بالمرتبة الثانية واشتركت بعد



ذلك فى فيلم (ذهب مع الريح) ومسرحية (الغجرية) التى عرضت فى لندن، وطافت ارجاء امريكا لعام كامل وزارت

هوليوود ارض النجوم، وتصلها عروض من المسارح والتلفزيون وشركات السينما للاشتراك فى المسرحيات والافلام ،ويحاول والداها ان يجعلاها تعيش حياة عائلية هادئة وتمر بطفولتها مرورا عاديا •



النجمة كاتي كاربي

عانت هذه النجمة الكثير من كراهية الجمهور لها فى المسرح وعداء التلفزيون وهجوم الصحف عليها .. ورغم ذلك فقد تحملت وتجلدت وصارت تقول: ان الجمهور يحبها • وفى كل مرة تظهر على المسارح ••• يهتف الجمهور بسقوطها واختفائها ويشتمها افراده .. وشنت الصحف عليها هجوما عنيفا وصفتها فيه بانها «الالهة التى هوت» والطفلة الصغيرة التى لن تكبر ابدا ولن تنضج، والقرف الاول .. وكانت تقول عن نفسها بانها محطمة وبلهاء .. وسكبت دموعا غزيرة بسبب المضايقات التى تلاقيها من وسائل الاعلام .. وبرغم كل هذا احتفظت بشجاعتها واعصابها وتزوجت ولازمت حياتها الفنية لانها المتفائلة الابدية •

القصاصة ساره باترسن وعمرها ١٦ عاما

بدات سارة باترسن الكتابة وعمرها ١٦ سنه عندما كانت تحضر لامتحان الشهادة الثانوية العليا .. وقد كتبت كتابا اسمه (الصيف البعيد) الذى سرعان ما اصبح من اكثر الكتب ذيوعا وانتشارا •ورحلت الان الى جزيرة جيرس مع والدها الكاتب جاك هيجنز الذى الف كتابا مشهورا اسمه (الصقر يهبط)• وقد بدات الكتابة عندما بلغت سن التمييز



فانا سار تسكنني اعراس الماضي
اسكنها ارحام الآتي ، والآتي من (رزم) الانباء ؟
اعشقها ابراج المستقبل اطفالا ، وبيارق اسراء
ترفعني ذاكرة الشوق الحضري ،
اتوضا من ماء الشهداء ؟
اتمسك أقدام الاشجار يغردني في الغربة طابور الغرباء !
وانا سار في خارطة الاشياء
اتمزق طيرا مرتاعا ٠٠ واطير ٠٠ اطير
اتملى اتملى الاسماء ؟
لاشيء حبيبي ينسيني ينسيني الحب ٠٠
لاشيء ابدا رغم الداء ؟
فاليك حبيبي عمري ٠٠ راياتي
واوقع بالشوق رسالاتي
تفعمها احلام مطلقة
سفن تغزوها الانوار
فاليك حبيبي اللغة السمراء
فانا منك عليك عباءة حب خضراء

وانا أهواك ربيعا تحلم فيه ملايين الشعراء ؟
وانا اهواك سباقا للحب
مهمازا للريح ، صواعق ٠٠ واحات ٠٠ صحراء
اتمنى أن تسكنك الازهار البيضاء
اتمنى ان تركض في ملعب عينيك ٠٠
عصافير وعصافير ٠٠
أن ترشف من فوديك النور محابر هذا العالم ؟
اتمنى ياوطنى وطن الشهداء ؟
فانا سار وتدغدغني الاشواق اغني ٠٠
فافيض مواويل دعاء
واقول حبيبى ٠٠ وطني
يشفع ان كانت لغتي هوجاء
فانا ماش أحمل قنديل الشرفاء ؟!

مصطفى احمد النجار
حلب ـ العبارة الجديدة
سوريا

السقاء

الفصل صيف والحرارة تلفح الوجوه •

كنا نتمدد على الرمال الحارة نحرق اجسادنا •• نقتل الوقت بين الامواج الهائجة •وكانت نعيمة تخبىء يدي بين اناملها الرشيقة • بينما سبحت أريد استعادة صورة السقاء الضائعة بين تلافيف ذاكرتي، كان يحمل الماء في صناديق من الحديد ،في كل حي ودرب كان يصيح : (العلو ••• الماء حلو ••) لكن من يشترى الماء في عصرنا هذا ؟ فالماء في كل منزل موجود ! وان لم يكن ففي زجاجات المياه المعدنية • فمن يشترى هذا الماء ؟

في احياء القصدير واكواخ الخشب حيث تركض المستنقعات وبعيش البعوض، متهافت الاهالي على الماء بثمن بخس، يحس السقاء من خلاله ان عرقه لم يذهب سدى •هكذا كانت حياة هذا السقاء ،كلها تعب وشقاء فماذا سيعمل ان لم يتعب ؟ فالانسان منذ الماضي مقرون المصير بالتعب، وما جدوى التعب ؟ وقالت نعيمة :

ـ تفكر في ماذا يا احمد ؟

ـ افكر في السقاء الذى صادفته هذا الصباح، وطلبت منه جرعة ماء فالمني منظره واحزنتني هيئته التي لا تبعث على الراحة •

القيظ يزداد بشدة ،واجلاف البشر تتوافد على الشاطىء بقصد الاستجمام والراحة، نشاط مريب يعرفه هذا الشاطىء اليوم الحركة غير عادية والامواج هائجة، وعيون حبيبتي تترصد عيون حسناء جلست بجانبي الايمن تسترق النظر الفينة بعد الاخرى • قالت نعيمة :

ـ لنسبح قليلا •

ـ ليست لدى رغبة في السباحة •

لا زالت تلك الحسناء تسترق النظر، في عينيها قرات افكارا غريبة، ربما كانت تريد ان تتحدث معي، ربما كانت تريد وضع العصفور داخل المصيدة • على اى حال فلقد اضحت تسترق النظر الى ما لا نهاية، وصاحت نعيمة :

ـ لنمش قليلا على ضفة الشاطىء فالهواء هناك منعش •

ـ انني احس بتعب مرهق وليست لدى رغبة المشي •

عادت صورة السقاء لذاكرتي من جديد ، فامتزجت بصورة هذه الحسناء ،حاولت مقارنتها فرجعـ ـسقاء وصعدت هي• وقالت نعيمة :

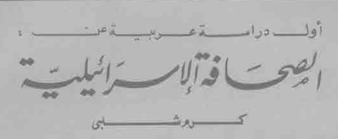
ـ لنذهب الى المنزل فقد حان الوقت •

لم اتردد هذه المرة ،وانما وافقتها لانني فهمت ما تقصد ••

صدوق نور الدين
ازمور ـ المغرب

نظرة تحبس الحنين وتبكي ، وتتـادى بضوئها الوثاب
ترجاك واللسان كليـل ، عاجز عن صراحة الاحباب
تبعث الضعف والحياء رسولا ، ثم ترعى خطاه بالاهداب
والنداء الحزين يفرش شوكا ، ذابل الورد في عيون الروابي
نظرة تهمس الغضـوبة ، والدعوة فيها لاشرف الآراب
هل الىي نداء عينيك؟ ، اني من نداءين خافقي في اضطرابي
انما انت تقطرين حيـاء ، ونقاء كعذب ماء الرباب
كم تعشمت يا فتاة وحنت ، روح عقلي وطربت اعصابي
ان قلبي خلق غريب وشوقي ، مثل سلسال روضة في انسكاب
بل فؤادي طير خفوق وشوقي ، مثل شلال دافق ذى اصطخاب

سيد السرار محمد
مجلس شعبي مدينة العمارات
الخرطوم ـ السودان



أول دراسة عربية عن:

الصحافة الإسرائيلية

كرم شلبي

٤٠٠ صحيفة ومجلة تصدر بلغات متعددة داخل اسرائيل منها ٢٥ صحيفة يومية و ٥٠ مجلة اسبوعية

منذ عشر سنوات مضت • وبعد حرب يونيو عام ١٩٦٧ على وجه التحديد ،فرض واقع الصراع العربي الاسرائيلي على الباحثين العرب ـ في شتى التخصصات ـ توجها جديدا الى رصد ظاهرة الكيان الاسرائيلي من جوانبه المختلفة • وبحيث لا تظل الدراسات العربية في هذا الصدد قاصرة على المنهج التاريخي وحده في متابعة الاحداث والوقائع التي تجري في إطار هذا الصراع بل تتجاوزه الى تحليل هذه الظاهرة ومكونات جوانبها العسكرية والاقتصادية والاجتماعية ،وبكل ما يندرج تحت هذه العناصر الرئيسية ويتفرع عنها من جزئيات تدخل في مجالات علم النفس الاجتماعي والاحصائي ومناهج علم الاتصال ونظرياته •• وما الى ذلك

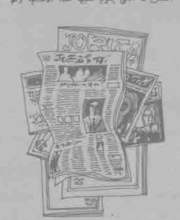
وبالفعل •• فان هذه السنوات العشر الماضية قد شهدت ـ وبشكل شديد الوضوح ـ اثر هذا الاتجاه الجديد ،متمثلا في عشرات البحوث التي تناولت الكيان الاسرائيلي من جوانب مختلفة، وبمنهج تحليلي لعناصر هذا الكيان سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا ونفسيا • وهي البحوث التي قدمها مركز الدراسات الفلسطينية والتي قام باعدادها عدد من كبار الباحثين والمتخصصين العرب، الى جانب عدد آخر من المثقفين الفلسطينيين الذين اتاح لهم وجودهم داخل الارض المحتلة لسنوات طويلة فرصة المعايشة الواقعية لنمط الحياة داخل اسرائيل، وبالتالي رصد جوانب هذا الكيان رصدا هو اقرب للتقرير المباشر منه [illegible] والتفسير والتاريخ [illegible]



غير ان القاهرة التي [illegible] [illegible] الاعلام الاسرائيلي باعتباره اداة من الادوات الرئيسية في الصراع العربي الاسرائيلي وسلاحا رئيسيا من اسلحته • الا انها في نفس الوقت لم تتجاوز حدود البحث في النظريات التي يقوم عليها هذا الاعلام، ولم تتطرق الى البحث في وسائله وادواته بشكل تفصيلي • وعلى ذلك فقد ظلت المكتبة العربية تفتقر الى وجود دراسات عن السينما ، والكتاب، والراديو والتليفزيون والصحافة في اسرائيل • وجاءت الاشارة الى هذه الوسائل عابرة في مجال بحوث تحليل المضمون وبحوث نظريات الدعاية الاسرائيلية وفلسفتها (وهذا ما ورد في بحث الدكتور منذر عنباوي والدكتور حامد ربيع وغيرهما) • وكذلك الامر بالنسبة للصحافة على وجه التحديد، حيث ظلت المصادر العربية الوحيدة عن الصحف الاسرائيلية قاصرة على بحثين من البحوث «البيبليوجرافية» احدهما للباحثة سلوى حبيبي، والاخر للشاعر العراقي سامي مهدي • وفيهما انحصرت كل المعلومات عن الصحف والصحافة في اسرائيل في حدود اسماء هذه الصحف، وتاريخ صدورها واسماء بعض رؤساء تحريرها ولاشيء غير ذلك •

ومن هنا •• تأتي اهمية الدراسة الاخيرة التي تقدمت بها الباحثة المصرية «راجية قنديل» وحصلت بها على درجة الماجستير في الصحافة من كلية الاعلام بجامعة القاهرة وكان موضوعها «الصراع العربي الاسرائيلي في صحيفة الجيروزاليم بوست» • وترجع هذه الاهمية لعدد من الاسباب والاعتبارات الرئيسية يمكننا ان نوردها على النحو التالي:

اولا : ان هذه الدراسة وان كانت قد



اول معلومات هامة عن الصحف العربية التي تصدر داخل اسرائيل
قراء الصحيفتين المسائيتين اكثر من قراء باقي الصحف الاخرى

اعتمدت اساسا على صحيفة «الجيروزالم بوست» ـ وهي الصحيفة الوحيدة التي تصدر باللغة الانجليزية في اسرائيل وتحمل وجهة نظرها لكل المتحدثين باللغة الانجليزية والذين يجيدون قراءتها في الخارج، وتحتل مكانة متقدمة في التوزيع بالنسبة لبقية الصحف الاسرائيلية ـ الا انها قدمت في نفس الوقت عدة مباحث على قدر كبير من الاهمية بالنسبة للصحف الاسرائيلية وارقام توزيعها ومصادر تمويلها ،وعلاقاتها بالاحزاب داخل اسرائيل •

ثانيا : قدمت الدراسة كذلك اول معلومات مهمة عن الصحف العربية التي تصدر داخل اسرائيل، من حيث قيمتها الفنية وارقام توزيعها وحدود تاثيرها •

ثالثا : تناولت الدراسة في صحيفة الجيروزالم بوست الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٦٨ ،وهي الفترة التي شهدت فاعلية النشاط الفدائي العربي ضد اسرائيل ، ووقوع حرب ١٩٦٧ ،والنشاط الدبلوماسي الاسرائيلي المكثف (دبلوماسيا وعسكريا) خلال تلك السنوات • وعرضت لكيفية انعكاس ذلك في هذه الصحيفة •

٤٠٠ صحيفة ومجلة

وقد كان اهم ما كشفت عنه هذه الدراسة التي قدمتها راجية قنديل في هذا الموضوع بالنسبة للجانب المتعلق بالصحف الاسرائيلية، هو انه يوجد في اسرائيل حوالي ٤٠٠ صحيفة ومجلة ، من بينها ما يصدر يوميا واسبوعيا ونصف شهرية ،وشهري • وفصلي (اى كل ثلاثة شهور) • اذ توجد ٢٥ صحيفة يومية، و ٥٠ مجلة اسبوعية ، و ١٥٠ مجلة نصف شهرية وشهرية ، و ١٠٠ مجلة فصلية • الى جانب حوالي ٧٠ مجلة اخرى تصدرها الحكومة •



وكما تعددت الصحف الاسرائيلية وتنوعت من حيث مواعيد وتوقيت صدورها على هذا النحو فقد تعددت وتنوعت كذلك اللغات التي تصدر بها • اذ تصدر بعض هذه الصحف باللغة العبرية ، وتصدر بعضها الآخر باللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والرومانية والبولندية والمجرية والعربية و « اليدشية » التي هي لغة يهود المانيا • واذا كانت هذه الصحف التي تصدر بلغات اخرى غير العبرية ـ باستثناء صحيفتين فقط ـ قد صدرت جميعها بعد عام ١٩٤٨ ، فان الباحثة ترجع السبب في ذلك الى زيادة عدد المهاجرين من يهود العالم الى اسرائيل في ذلك الوقت حيث اصبحت الحاجة ماسة الى اصدار جرائد بلغات متعددة من اجل اشباع حاجات المهاجرين الذين لم يكونوا قد تمكنوا بعد من دراسة اللغة العبرية • والى حرص الاحزاب السياسية المختلفة على اصدار صحف بلغات اجنبية متعددة لترغيب هؤلاء المهاجرين وتشجيعهم على الانضمام اليها •

صحيفتان مسائيتان

واذا كانت الصحف الاسرائيلية جميعها تصدر من مدينة واحدة هي « تل ابيب » ـ عدا ثلاثة منها تصدر في القدس ـ هي صحف « الجيروزالم بوست » و « هاموديا » و « هاكول » • فانه من بين الصحف اليومية الخمسة والعشرين، توجد صحيفتان مسائيتان فقط هما «معاريف» و «يديعوت احرانوت» وتوزعان معا ما يقرب من ١٣٠ الف نسخة وهو توزيع عال نسبيا ، نظـرا لان باقي الصحف مجتمعة توزع ما بين ٥٠٠ الف و ٦٠٠ الف نسخة • ويعني ذلك ان قراء الصحيفتين المسائيتين يعدون اكثر من قراء باقي الصحف الاخرى كلها في اسرائيل •

اما تفسير هذه الظاهرة ـ كما ورد في الدراسة ـ فهو ان هاتين الصحيفتين وبحكم انهما مستقلتان عن الاحزاب تصبح امامهما الفرصة سانحة اكبر لان تنشر نقدا للسياسة العامة ، وهو ما لا تقدم عليه الصحف الاخرى التي تعبر تعبيرا مباشرا عن سياسة الاحزاب التي تنتمي اليها ولا يمكنها ان تحيد عن هذه السياسة في تناول القضايا السياسية والموضوعات العامة • والى جانب ذلك هناك عامل اخر ساعد هاتين الصحيفتين على ارتفاع ارقام توزيعهما هو انهما تصدران في العاشرة والنصف صباحا ـ رغم انهما صحيفتان مسائيتان ـ نظرا للتنافس بينهما والرغبة في الوصول الى القارىء مبكرا • وكذلك فان وجود فترة للراحة السابقة مابين



يبدو أننا بالغنا في عدد الاطفال حين خططنا لهذه الحديقة !

الصحافة الاسرائيلية

الساعة الواحدة والنصف والساعة الرابعة مساء يمثل عاملا آخر هاما في زيادة عدد قراء هاتين الصحيفتين •

مصادر التمويل

وبالنسبة لمصادر تمويل هذه الصحف فانها تعتمد في ذلك على الاحزاب التي تصدر عنها، الى جانب الهيئات الدينية والطوائف والاعانات من الخارج • والقلة القليلة جدا منها يعتمد على « الاعلان » كمصدر للتمويل • وهو دائما « اعلان محلي » من حيث مصدره ومموله والسلعة التي يعلن عنها • وتمثل نسبة المادة الاعلانية في هذه الصحف ما يصل الى ٥ر٣٣٪ تقريبا من مساحة الصحيفة • اما باقي المساحة، فان معظم هذه الصحف تخصص النسبة الكبرى منها لنشر الاخبار العالمية والاخبار الخارجية بصفة عامة، خاصة اخبار الولايات المتحدة الامريكية، ودول اوروبا والاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط • ويظهر ذلك بوضوح في الصحف التي تصدر بلغات غير العبرية على وجه الخصوص •

الاهتمام بالمرأة

والى جانب ذلك تزود هذه الصحف صفحاتها بعدد من الاعمدة عن اللغة العبرية لتزويد معارف القارئ بهذه اللغة كما تخصص اعمدة للاداب والاقتصاد والمال والالعاب الرياضية وصفحات خاصة بالمرأة، وهذه الصفحات عن المرأة آخذة في الازدياد بشكل مضطرد بعد عام ١٩٦٧ على وجه التحديد ، وتركز على ابراز دور المرأة الاسرائيلية « كامرأة » و « انثى » و « ربة بيت » • وهو الاتجاه الذي برز واضحا بعد عام ١٩٦٧ في هذه الصفحات، وبعد ان كان عدد من الزعماء السياسيين والمواطنين الاسرائيليين

قد وجه نقدا عنيفا للصحف التي كانت تركز على ابراز المرأة الاسرائيلية في ثياب المرأة العاملة والمرأة « المقاتلة » • والذي كان دائما يفسر على ان المرأة في اسرائيل هي التي تعمل وتقاتل بينما يبقى الرجال في البيوت !!

نوعية العاملين بالصحف

والى جانب ذلك • فان الباحثة راجية قنديل في دراستها هذه ،لا يفوتها ان تشير الى العاملين في هذه الصحف • وتصل في دراستها الى تحديد اعداد هؤلاء العاملين بالنسبة للجنسيات المختلفة التي ينتمون اليها • وهم وان كانوا ينتمون الى اصول امريكية واوروبية واسيوية وافريقية • فان نسبة الاوروبيين والامريكان من هؤلاء العاملين تصل الى ٨٠٪ بينما لا تتجاوز نسبة الاسيويين والافريقيين ٥٪ فقط • ومعظم هؤلاء العاملين مارسوا الصحافة من قبل في امريكا واوروبا قبل قدومهم الى اسرائيل، ونقلوا خبرتهم الصحفية المتقدمة الى هذه الصحف التي يعملون بها •

تفوق الصحف اليومية على المجلات

غير انه واذا كانت الصحف اليومية تحتل مكانة متميزة [illegible] من حيث المستوى الفني والتوزيع [illegible] فان ذلك العنصر ليس متوفرا



بالنسبة للمجلات الاسبوعية • اذ لا تزيد ارقام توزيع اكثر المجلات الاسبوعية انتشارا في اسرائيل عن ٤٥ الف نسخة ،وهو الرقم الذي تحققه المجلة الاسبوعية النسائية المصورة (Laisha) ومجلة عسكرية اخرى هي (Damahane) في الوقت الذي توجد فيه خمس مجلات اسبوعية للاطفال والشباب (ما بين سن السادسة عشرة) ومجلة اسبوعية • وقد نتج عن ضعف المستوى الفني وضعف مستوى التوزيع والانتشار لهذه المجلات ان سارعت الصحف اليومية الى اصدار ملاحق اسبوعية لها تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع ويقع في ١٦ الى ٢٤ صفحة ، تحفل بالكثير من الموضوعات المتعددة والمتنوعة من عروض للكتب الى عروض الازياء والتعليقات والصور الملونة والتحقيقات •

صحف عربية محدودة الانتشار

اما بالنسبة للصحف التي تصدر باللغة العربية في اسرائيل، فيشير البحث الى انها هي اقل الصحف توزيعا واضعفها من حيث المستوى الفني والتحرير والطباعة • ومن هذه الصحف جريدة « اليوم » والتي صدرت في الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٨ ثم توقفت دون ان يتجاوز توزيعها ثلاثة الاف نسخة • وكانت تصدر عن « منظمة العمال » الاسرائيلية «الهستدروت» وصحيفة « القدس » التي صدرت يومية هي الاخرى في النصف الثاني من عام ١٩٦٨ ويحررها مجموعة من الشباب من ابناء الضفة الغربية لنهر الاردن التي احتلت بعد حرب ١٩٦٧ • والى جانب ذلك، يوجد عدد من المجلات الاسبوعية والشهرية والفصلية التي تصدرها الاحزاب السياسية الاسرائيلية باللغة العربية وكلها تشارك الصحف اليومية في عدم انتشارها وقلة ارقام توزيعها ،لا لضعف مستواها الفني والتحريري فقط ،ولكن لاسباب اخرى ايضا من بينها تركيز وجود العرب في المناطق الريفية البعيدة عن العاصمة والقرى الصغيرة المتناثرة • ومن بينها كذلك انخفاض المستوى العلمي والثقافي لليهود المهاجرين من الدول العربية وارتفاع نسبة الامية بينهم•

صحيفة « الجيروزالم بوست »

اما بالنسبة لصحيفة «الجيروزالم بوست»

الصحف الصادرة بالعربية أقل في التوزيع وأضعف في المستوى

محاولة ابراز دور المرأة الاسرائيلية كأنثى وربة بيت عن طريق الصحافة

والتي كانت هي النقطة الرئيسية في موضوع هذه الدراسة فان اهم ما اشارت اليه الباحثة وتوصلت اليه في بحثها عن هذه الصحيفة ونشاتها وكيفية تعبيرها عن الصراع العربي الاسرائيلي في الفترة من ١٩٦٦ الى ١٩٦٨ يمكن رصده على النحو التالي :

اولا : كان الهدف الرئيسي من انشاء هذه الصحيفة ـ كما جاء في المذكرة التي قدمها « جرشون اجرون » الذي انشاها وتولى رئاسة تحريرها عندما صدرت عام ١٩٣٢ وقدمها الى مجلس الصحافة ـ هي « ان الصحيفة سوف تعمل على تدعيم النفوذ الاوروبي في منطقة الشرق الاوسط ، وتاييد سياسات الانتداب البريطاني والفرنسي في المنطقة ،كما سيعمل مراسلوها في البلاد العربية على اظهار عدم جدوى الوحدة العربية والتركيز باستمرار على تلك الجوانب التي لا تعكس مزايا الوحدة العربية » •

ثانيا : عند اعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ ، واثر التساؤل من مدى الاحتياج الى مثل هذه الصحيفة التي تصدر باللغة الانجليزية ،صرح بن جوريون تصريحه الذي استمدت منه هذه الصحيفة وجودها ونفوذها وهو التصريح الذي جاء فيه « ان الصحيفة ليست مخصصة لرجال السلطة ،ولكن لليهود وغير اليهود الذين يقيمون في البلاد بصورة دائمة او لفترة محددة من الوقت، والانجليزية هي اللغة السائدة بالنسبة لهم ،وبالاضافة الى هؤلاء هناك ممثلو الامم التي اعترفت باسرائيل، ولهم الحق في ان يتلقوا كل صباح صورة حقيقية لما يجرى في البلاد ، واعلاما صحيحا بنوايا الحكومة » •

ثالثا : كان اسم الصحيفة عند اصدارها في البداية هو « فلسطين بوست » وتغير الى « الجيروزالم بوست » في الايام الاولى لقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ ،وقد فسر رئيس تحريرها « تيد لورى » في ذلك الوقت « ان تغير اسم الصحيفة الى جيروزالم بوست يؤكد للعالم ان القدس هي العاصمة الفعلية لاسرائيل »•

رابعا : توزع الصحيفة ٤١ الف نسخة من عددها الخاص الذي يصدر يوم الجمعة من كل اسبوع وتوزع في الايام العادية ٣١ الف نسخة، وتحتل بذلك المكانة الرابعة في التوزيع بين الصحف الاسرائيلية عامة ،والمكانة الاولى بالنسبة للصحف اليومية •

خامسا : تعد هذه الصحيفة هي النافذة التي تطل منها اسرائيل على العالم الخارجي، وتعرض من خلالها وجهات نظرها وسياستها على جمهورها من قارئي الانجليزية داخل اسرائيل وخارجها • كما تعد الصحيفة حلقة الاتصال بين يهود اسرائيل ويهود الشتات « الموجودين خارجها » ولذلك كان [illegible] هاما ،كمصدر من مصادر المعلومات عن اسرائيل لهؤلاء الذين لا يعرفون العبرية من اليهود وغير اليهود ،تبدو فيه اسرائيل بمحاسنها وعيوبها ومشاكلها وانتصاراتها»•

سادسا : كانت « الجيروزالم بوست » تحرص دائما على ان تؤكد ان اسرائيل دولة صغيرة مسالمة توجه امكانياتها الى صداقة الشعوب، ومد يد العون والمساعدة الى الدول حديثة العهد بالاستقلال، خاصة في افريقيا• وقد خصصت المساحات الكبيرة من صفحاتها للاشادة بالصداقة والحب التي يتمتع به المسئولون الاسرائيليون من جانب شعوب العالم، ومظاهر الود والترحيب التي يقابل بها المسئولون الاسرائيليون في كافة البلاد التي يقومون بزيارتها في مختلف انحاء العالم ،وترحيب اسرائيل الدائم بضيوفها من الدول المختلفة الذين يتوافدون عليها •

سابعا : حرصت الصحيفة على ان تصور الفدائيين العرب للرأى العام العالمي في صورة مجموعة من « القتلة » الذين يسعون لتدمير اسرائيل، واطلقت عليهم دائما اسم « الارهابيين » • وكانت تبرز تصريحات الزعماء والمسئولين العرب عن العمليات الفدائية وموقف الصحافة العربية المؤيد لهذه العمليات وتقدمه كوثيقة للرأى العام تثبت بها ان قتل الاسرائيليين وتخريب ممتلكاتهم اصبح «بطولة ورسالة وطنية في راى العرب» وكذلك كانت تؤكد دائما على ان هذه العمليات من اعمال العنف، انما هي « معركة مخطط لها » تستهدف ايجاد توتر دائم داخل اسرائيل• وفي نفس الوقت كانت الصحيفة تمهد دائما وتهيء الرأى العام لان يتعاطف مع اسرائيل عندما تقوم باعتداءاتها المسلحة على البلدان العربية، مصورة ذلك على انه « اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب » •

وفي النهاية • فان هذا البحث غير المسبوق عن الصحافة الاسرائيلية وان كان يفتح المجال واسعا امام الباحثين العرب المتخصصين في الدراسات الاعلامية وفنون الاتصال • ويضع امام مخططي الاعلام والسياسة جوانب على قدر كبير من الاهمية بالنسبة لوسيلة شديدة الاهمية من وسائل الاتصال في اسرائيل • فان جانبا اخر شديد الاهمية كشفت عنه هذه الدراسة ايضا • وذلك هو « ندرة » بل وانعدام وجود مصدر عربي يمكن منه الحصول على الاعداد التي صدرت وتصدر من الصحف الاسرائيلية الاربعمائة • فلا وزارات الخارجية العربية ولا وزارات الاعلام ولا حتى اجهزة الامن العربية تملك مثل هذه الوثائق المهمة ،في الوقت الذي تهتم فيه المؤسسات التجارية الخاصة في اوربا بذلك، وتحتفظ لديها بكافة الاعداد لهذه الصحف والمجلات • وتقدمها مصورة على افلام «الميكرو» لكل من يطلبها ويدفع تكاليفها • واظن انه قد ان الاوان لان نتنبه الى هذا القصور الشديد الذي نعاني منه نحن اصحاب المشكلة الرئيسية والطرف الرئيسي في هذا الصراع •

أول الغيث .. في الأبحاث الخليجية

محمد جابر الأنصاري

الباحثون العرب بدأوا الخطوة الأولى لدراسة الخليج علميا

اصبح بامكاننا القول ان الباحثين العرب قد خطوا الخطوات الاولى الصحيحة والجادة نحو دراسة شؤون الخليج الان، وانهم قد اقتربوا او اخذوا في الاقتراب من مستوى تلك الدراسات العلمية الدقيقة التي قام بها العلماء الاوربيون عن هذه المنطقة منذ اواخر القرن التاسع عشر . فلقد اتى علينا حين من الدهر كان الكتاب العرب يخلطون فيه بين اسم هذا البلد الخليجي وذاك وبين عاصمة هذه الدولة وتلك ولا يقع اللوم كله على عاتق الباحثين العرب وحدهم فقد كانت سلطات الحماية الاجنبية في عهود سيطرتها تمنع اي باحث عربي من دخول المنطقة بينما تترك المجال مفتوحا لرجالها من المستشرقين وغيرهم يذرعون انحاءها وتحت ايديهم كل التسهيلات ***

دراسة اللهجات .. لماذا ؟



* ومما دعانا الى الاستبشار بظهور ابحاث عربية رصينة عن الخليج في الوقت الحاضر، الكتاب الذي نشرته كلية التربية القطرية [illegible] للدكتور [illegible] الباحث العربي [illegible] الخليجية [illegible] كتاب [illegible] بعنوان «الظواهر نادرة في لهجات الخليج العربي» . وكان د . مطر قد نشر قبل هذا كتابا حول « لهجة البدو » وكتابا آخر بعنوان «خصائص اللهجة الكويتية » . كما يذكر انه يقوم في الوقت الحاضر بدراسة عن لهجة قطر ، وانه قد اوشك على الانتهاء من دراسة عن لهجة البحرين بتكليف من المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم لتنشر في كتابين «الحركة الادبية والثقافية في البحرين» سيصدره معهد البحوث والدراسات العربية .

اللهجات بين غاية وغاية

ويؤكد د . مطر ، ان غاية هذه الدراسة هي خدمة العربية الفصحى بالدرجة الاولى *** هي الربط بين هذه اللغة الخالدة واللهجات التي تنتمي اليها *** هي تقديم نتائج يفسر في ضوئها كثير من ظواهر اللهجات العربية القديمة ،وتقوم على اساسها محاولات التقريب بين الفصحى واللهجات » .

وذلك تنبيه ضروري . لان دراسة اللهجات العامية استهدفت في وقت من الاوقات تعميق الهوة بين الفصحى والعامية وتقوية الازدواجية في حياتنا اللغوية تمهيدا لتفتيت الثقافة العربية وبالتالي الشخصية العربية ذاتها . اما ما يقصده الباحث فهو على النقيض من ذلك حيث يجري ربط الروافد (اللهجات)

أفكار للتأمل

- اذا كنت في طريقك الى الصعود فانه يجب أن تمسك بالفروع .. لا بالزهور .
- اغرس في نفسك العادات الطيبة دائما .. فالعادات السيئة كلها تنمو كالنباتات البرية . .
- لا فائدة من قولنا اننا نبذل ما في وسعنا .. بل نقنع انفسنا انه لابد ان ننجح فيما هو ضروري في حياتنا ..
- عندما يدير النجاح رأس شخص ما .. فهذه أول خطوة على الطريق الى الفشل .

أهمية دراسات اللهجة المحلية وعلاقتها باللغة الفصحى
سوسيولوجيا المعرفة .. هل يمكن تطبيقها على اللغة ؟

بالتيار الام، وحيث ترد الظاهرة العامية الى اصلها في اللغة الفصحى •

جهود متعددة

ويقدم المؤلف تسع ظواهر لغوية نادرة بعضها مرتبط بلهجات محلية معينة كالقطرية والبحرينية، وبعضها باللهجة الخليجية عامة• ومن امثلة ذلك : اضافة هاء السكت بعد ياء المتكلم في لهجة قطر نحو بيتيه ـ بدل بيتي ـ وكتابيه بدل كتابي •• الخ • ومثل تحويل الثاء الى فاء في اللهجة القروية بالبحرين نحو فلافة بدل ثلاثة ، وفوب بدل ثوب •• الخ • ومثل استخدام صيغة فعاعيل كتجاجير وغواويص لجمع صيغة ، فعال ، المفرد العاقل ، اى تجار وغواص ، بينما في الفصحى تجمع باضافة الواو والنون : تجارون وغواصون •

منهج البحث

وطرافة منهج الباحث تتمثل في انه يبدأ بحثه بوصف ميداني يثبت به وجود الظاهرة من خلال مشاهداته ومقابلاته في انحاء الخليج ثم يرد هذه المشاهدة الميدانية الى اصلها اللغوي التاريخي بارجاعها الىاصلها في الفصحى او في احدى لهجات العرب القديمة المندثرة • بحيث تصبح الظاهرة اللغوية الحالية التي يراها كثيرون ويندهشون لغرابتها دون معرفة لتفسيرها اللغوى التاريخي ، تصبح مفهومة ومبررة على ضوء اصولها العربية القديمة •

ملاحظات على المنهج

ومما لاشك فيه ان الدراسة الوصفية



الدكتور عبد العزيز مطر

الميدانية هي الخطوة الاولى لاي بحث علمي في عالمنا المعاصر • كما ان الدراسة التاريخية المصدرية الوثائقية وسيلة مساعدة لا ينكر اثرها • وانا لا اعلم ما المنهج الذى اتبعه الدكتور مطر في دراساته اللغوية الاخرى لانه لم يتح لي الاطلاع عليها بعد ، ولكنني اعتقد ان منطلق تجميع الظواهر النادرة ـ رغم طرافته ـ لا يساعد كثيرا على التوصل فالنوادر لا تعكس القاعدة العامة كما ان الدراسة الوصفية ـ رغم اهميتها المبدئية ـ تحتاج الى خطوة ابعد ، هي خطوة الربط بين الظاهرة اللغوية واصولها الاجتماعية القائمة •• لا اللغوية التاريخية فحسب • الننا

ستفهم مجتمعات الخليج فهما اعمق وادق لو ربطنا لهجاتها بتكوينها الاجتماعي السكانى وعلاقة الفئات السكانية ببعضها ضمن نسيج العلاقات الاجتماعية وتكوينها الاقتصادي، وذلك طبقا للمنهج الذى اطلق عليه العالم الاجتماعي ماكس شيلر منهج « سوسيولوجيا المعرفة » والذي نبه الى دوره كارل مانهايم ، وهو المنهج الذي يرى ضرورة ارجاع اية ظاهرة في الحياة الثقافية والشعورية الى جذورها الاصلية في التكوين الاجتماعي الاقتصادى • ولعل الدكتور مطر قد حقق شيئا من ذلك في ابحاثه التي لم نطلع عليها او انه سيتبع دراساته الميدانية بتحليلات اجتماعية في ابحاث مقبلة •

جهد مشكور

على ان هذه الملاحظة المنهجية يجب الا تقلل من الجهد العلمي المكثف والدقيق والطريف الذي قدمه لنا الدكتور مطر في بحثه ، واملنا ان ينهج اساتذة الجامعة القطرية والجامعات الخليجية الاخرى نهج الدكتور مطر فيقدموا لنا ابحاثا مماثلة كل في حقل اختصاصه من منطقة الخليج •••

اما نحن فلا نرى انسب من ان نختم عرضنا هذا بالابيات التي افتتح بها الدكتور عبد العزيز مطر بحثه :

طفت الخليج لكى اسجل لهجة
ابغي بها نحو الفصيح سبيلا
فوجدت للفصحى معالم ،صولا
وابنت للفظ الغريب اصولا
هذى « النوادر » في بحولى آية
يبدو بها لحن الخليج اصيلا
لهجاتهم تهدى الى اعراقهم
جعل اللسان على الاصول دليلا

مع رجاء النقاش
في "صفحات مجهولة في الأدب العربي المعاصر"

حياة الكاتب الخاصة بين الكمان والمصارحة

جمال سليم

دراما الحب والموت والالم في حياة المعداوى

رسائل انور المعداوى وفدوى طوقان
وثائق أدبية وعالم من المعاناة والحب اليائس

من منا يذكر الناقد انور المعداوى ؟

ومن منا يستطيع ان ينسى ذلك الشهاب الذى مر في سماء حياتنا الادبية ثم اختفى؟

بعضنا يذكر •

وبعضنا لايستطيع ان ينسى ••• انور المعداوى، فارس الاربعينات واوائل الخمسينات، المناضل الذى لا يتعب ولا ينال منه اليأس ولا العذاب •

اية ريح طيبة بعثت اسمه ،وايقظته بيننا ؟

شيء من الوفاء والحب ؟

على انه لا الوفاء ولا الحب وحدهما هما مبعث هذه الريح الطيبة •• انما هو قيمة الانسان وحقه، وعمله •• وحقه في ان يجد نفسه بين الناس وتجد ذكراه من ينفث فيها الحياة •

وقد قام بهذه المحاولة وتجرأ عليها الكاتب والناقد رجاء النقاش بحكم صداقته الطويلة والوثيقة بانور المعداوى، ومعرفته بالظروف التى صنعت دراما الحب والموت والالم في حياة المعداوى، واودت بحياته في سن مبكرة •

الطرف الآخر

على ان صداقة رجاء النقاش لانور المعداوى لم تكن وحدها هي التي [illegible]

رجاء النقاش



الاخر •• بالشاعرة فدوى طوقان •• ثم ـ وهذا هو الاهم ـ حصوله على الرسائل المتبادلة بينهما •• واذا كانت هذه هي المادة الاولية لمحاولته فانه لم يكتف وينسج منها صفحات كتابه الرائع ، صفحات مجهولة في الادب العربي المعاصر، انما قام بتحقيقات واسعة حول عدد من الوقائع •• التى جاء ذكرها في الرسائل •• ووراء كل واقعة كان ينكشف سر، وتنفجر مأساة ••

بداية القصة

يقول المؤلف في مقدمته :

« •• في اوائل سنة ١٩٧٤ تلقيت رسالة من الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان، وكنت قد التقيت بفدوى في بيروت سنة ١٩٦٧ في مؤتمر كتاب اسيا وافريقيا الذى انعقد قبل حرب يونيو بشهرين تقريبا ،وفي لقائي العاجل السريع مع فدوى طوقان دارت بينها وبيني احاديث متعددة كان من اهمها حديث عن الناقد المصرى الراحل انور المعداوى •• كان المعداوى بالنسبة لى استاذا وصديقا، وكنت اعلم منه انه كان على صلة وثيقة بفدوى عن طريق رسائل متبادلة بينهما ، فهما لم يلتقيا ابدا ،وكنت اعلم منه انه يحمل في القلب لفدوى طوقان عاطفة عميقة

لماذا تردد المؤلف في نشر هذه الرسائل
ادب الاعترافات ليس معروفا في الادب العربي

تفوق عاطفة الصداقة ،وكانت هذه العلاقة الخاصة هي في صراحة وبساطة عاطفة حب كبير يملأ عليه قلبه ووجدانه ** وفي حياء شديد سألت فدوى في لقائنا السريع عما اذا كان بامكاني ان احصـــل على رسائل المداوى اليها ،لعل في هـــذه الرسائل ما يساعدني على ما عاهدت نفسي عليه من تاليف كتاب عن ادب المداوى ومأساة حياته ** ووافقت فدوى على ما طلبته منها بلا تردد ورحبت به **

وبعد سبع سنوات من لقاء المؤلف رجاء النقاش ـ بالشاعرة فدوى طوقان يفاجأ برسالة منها تحمل في نفس الوقت كل رسائل المداوى اليها ** وهكذا بدأت قصة الكتاب *

الاسرار الشخصية

واذا كانت قصة الكتاب قد بدأت ** فان مشاكله قد اطلت برأسها في نفس الوقت ** فقد عكف الناقد رجاء النقاش على قراءة الرسائل في اول الامر ** ثم ناقش نفسه طويلا في امر هذه الرسائل : هل ينشرها ام يطويها ؟ لقد تردد اول الامر في نشرها لانه ليس واثقا من ان الحياة الادبية تستطيع ان تتحمل ما يمكن ان تكشفه هذه الرسائل من جوانب شخصية صريحة تتصل بالمداوى وفدوى طوقان وادباء اخرين، كذلك فان هذه الرسائل قد زحفت على المؤلف من ناحية اخرى ـ وهو صديقه ـ اذ يكشف عما يعلمه من جوانب خفية في حيـــاة المـداوى مما قد ترى التقاليد الادبية انه غير سليم ذلك لان حياتنا ـ كما يقول المؤلف ـ ما زالت تعيش في جو من العاطفة والكتمان *** وقد اورد المؤلف [illegible] من جو العاطفة والكتمان الذي يسود الحياة الادبية بل والعامة في شرقنا العربي ** فمثلا عندما اصدر توفيق الحكيم منذ بضعة شهور كتابا جمع فيه عددا من الرسائل التي وصلته حول حياته الادبية ** [illegible] من صفحات هذا الكتاب كل ما يتصل [illegible] [illegible] العلاقة العاطفية يمكن ان تعيش مستورة في اذهان الناس، ولذلك اثر ان يغلق هذا الباب ويطوى هذه الصفحة **

ويتوصل المؤلف الى الحقيقة المؤلمة وهى « ادب الاعترافات » معدوم او شبه معدوم، « فلا احد من ادبائنا يبـــوح بشيء » ومن الضروري « ان ننتقل من عصر الكتمان هذا الى عصر الكشف والمصارحة ،وعلينا ان نبدأ فورا ، مهما صدمتنا الحقائق في اول الامر، لاننا بعد الصدمة سوف نستيقظ وننتبه ونبحث عن العلاج الصحيح » *

ويتخطى رجاء النقاش هذه المنطقة المظلومة ويقرر نشر الرسائل ويقتحم عصر الكشف والمصارحة **

ما وراء الرسائل

فاذا ما انتقلنا الى الصفحات التالية من الكتاب نجد انفسنا امام ســـؤال يطرحه المؤلف ماذا تعني هذه الرسائل التي كتبها انور المداوى الى فدوى طوقان ؟

يجيب : « مع السطور الاولى من هذه الرسائل نشعر ان المداوى قد كتبها باسلوب رائع جميل يتدفق حيوية وعذوبة ،وقد كان المداوى في كل كتاباته من اصحاب الاساليب المتميزة وكان على الدوام حريصا « على جمال اللفظ والعبارة وكان حريصا » في نفس الوقت على تحقيق نوع من الايقاع الموسيقي في كتابته مما اعطى لادبه لمسة من الشاعرية الحلوة ** « على ان الجمال الادبي في هذه الرسائل ليس وحده الذى يعطيها القيمة والاهمية، فقد ضمت الرسائل مجموعة من الاراء النقدية الذكية الجريئة ** وبالاضـــافة الى جمال الاسلوب والاراء النقدية ** فانها ** اى الرسائل ** تحمل روح الســخرية الراقية والفكاهة الحلوة خاصة في القسم الاول منها قبل ان يتعرض المداوى للمرض والازمات ** فعلا . على ان هذه الرسائل تحمل الينا الخطوط الرئيسية لقصة انور المداوى مع الادب والحياة *

وقد بدأ المداوى هذه الرسائل سنة ١٩٥١



ما أغباني .. لقد اشتريت عدد اليوم

حياة الكاتب الخاصة بين الكتمان والمصارحة

حيث كان في قمة مجده وتالقه الادبي سنة ١٩٥٤ حيث كانت محنته في الادب والحياة معا قد بدات ••

المعداوى الناقد

وقد لمع اسم المعداوى في الفترة ما بين ١٩٤٨، ١٩٥٢ بسرعة كبيرة واصبح خلال وقت قصير اكبر ناقد ادبي في الوطن العربي كله، وكان يكتب حينذاك في مجلة «الرسالة» بابا « اسبوعيا » بعنوان « تعقيبات » •

ويرى رجاء النقاش ان شهرة المعداوى في هذه الفترة جاءت لاسباب موضوعية اهمها ان ميدان النقد الادبي كان خاليا من رواده الكبار •• فقد كان العقاد وطه حسين قد انصرفا الى الدراسات الدينيـــة والفكرية والتاريخية •• واصبح النقد الادبي لهما على الهامش •• وكان هناك فارسان اخران في ميدان النقد الادبي هما محمد مندور وسيد قطب •• وفي هذه الفترة ١٩٥٢/٤٨ انصرف مندور الى العمل السياسي •• اما سيد قطب اتجه الى قضية الاصلاح الاجتماعي وقادته ثقافته الخاصـــة الى التحمس الكبير للفكرة الاسلامية فانضـــم الى الاخوان المسلمين ••

في هذه السنوات المجدبة من النقد الادبي ظهر انور المعداوى وتفرغ تفرغا تاما لوظيفة ادبية واحدة هي وظيفة الناقد ••

وكان المعداوى يملك من الموهبة والقدرة والرؤية الادبية الذكية ـ في ذلك الحين ـ ما كان يساعده ويمكنه من ان يملا الفراغ ويلفت الانظار •• لقد كان يتمتع باسلوب ادبي جميل متميز •• بالاضافة الى جراة بالغة •• اذ لم يكن يتردد في مهاجمة اديب كبير مهما كانت مكانته ولم يكن يجامل في ارائه، لقد هاجم طه حسين والعقاد وسلامة موسى •• وكان هناك مفكرون اخرون هاجمهم المعداوى هجوما بالغ القسوة والعنف حتى لقد اضطر بعضهم الى تقديم بلاغات للنيابة العامة على اعتبار ان ما كتبه المعداوى ضدهم هو نوع من القذف والتشهير فقد كتب المعداوى ضد الدكتور عبد الرحمن بدوى والدكتور احمد فؤاد الاهواني استاذ علم النفس في جامعة القاهرة •



وهناك جانب اخر ساعد على تدعيم مكانته في تلك الفترة هو انه [illegible] من القضايا الخاصة للادباء العرب ودافع عنها ••

والاسئلة الاساسية التي [illegible] المعداوى في نقداته التي [illegible] الاداء [illegible] في الفن •

الاداء النفسي

وقد بحث رجاء النقـــاش عن اصل هذه الفكرة النقدية وهو يجيب عن سؤال طرحه عن الجديد الذى قدمه المعداوى، فراى ان المعداوى هو في حقيقته ناقد جديد حقا، ولكنه في النهاية حلقة في سلسلة فتحتها مدرسة سابقة عليه في النقد العربي، وقد بدات هذه المدرسة بما يسمى باســـم « مدرسة الديوان » التى كان اعلامها هم : العقاد والمازني وشكرى •• وقد ظهرت هذه المدرسة في اوائل القرن العشرين وكان دعوتها تقوم على ان الشاعر ينبغي ان يعبر اساسا عن العالم الداخلي للانسان •• وقد تطور هذا المفهوم وازداد وضوحا على يد الدكتور محمد مندور الذى ما اسماه « الهمس في الفن » بدلا من « الخطابة » وهو ما يساوى عند المعداوى « الاداء النفسي » بدلا من « الاداء اللفظي » ••

مكانته الادبية

والان ما هو الانجاز الادبي البارز الذى قدمه المعداوى في فترة انتـــاجه الخصيب الغزير من ١٩٤٨ الى ١٩٥٢ ؟••

الانجاز هو صياغة فكرة «الاداء النفسي» صياغة ممتازة •• وهذا ما ساهم مساهمة فعالة في هدم المفهوم الكلاسيكي للادب •• ذلك المفهوم الذى كاد ان يؤدى الى تجميد الادب العربي كله عند حدود الالفاظ والقوالب التقليدية الجامدة ،فجاءت مدرســـة النقد العربي الجديد وارست مفهوما انسانيا شاملا للادب العربي، وكان المعداوى من ابرز نقاد هذه المدرسة •

وبالتحديد يلح المؤلف رجاء النقاش ـ على ارتباط المعداوى بالاتجاهات الجديدة في النقد الادبي واسهامه البـــارز في هذه الاتجاهات التي كانت تهدف الى تحرير الادب العربي من الصنعة والافتعال، وتحريره من الافاق الضيقة التى كان يتحرك فيها، ودفعه الى الافاق الانسانية الواسعة حيث يستطيع هذا الاديب يشمل التعبير عن النفس الانسانية وعن حياة الانســـان وصراعه مع المجتمع

غروب مدرسته

وعلى جناح هذه الاتجاهات سار وارتفع واصبح اسم المعداوى في الحياة الثقافية ملء السمع والبصر •• الى ان جاء عام ١٩٥٣

قيمة الرجل

● لكي تعرف قيمة الرجل الحقيقية •• انظـــر الى الذين حوله •• انك تجد صورته في كل الذين حوله •• وأجزاء من صورته •• فهم مرايا تنعكس عليها اخلاقه وصفاته وتصرفاته •

الرجل الصغير مثلا لا يختار عمالقة حوله •• فهـــو يتعهد أن يكونوا اصغر منه حجما ••

الجاهل لا يستريح للعالم •• الغبي لا يطمئن للذكي •• الضعيف لا يثق بالقوى •• التافه يستـــــــنقل دم العباقرة ••

الرسائل تكشف قصة المعداوى مع الادب والحياة
هل كان المعداوي يعاني مرضا منعه من الزواج

وتوقفت مجلة الرسالة عن الصدور وبدات الازمات تتوالى •• فقد ساد الاتجاه الواقعى فى الانتاج الادبى الوليد الذى واكب ثورة ٢٣ يوليو، ومع هذه الموجة ، ظهر ادباء جدد. ونقاد لهم منطق اخر فى فهم الادب وتقييمه غير منطق المعداوى • وكان هذا المنطق الجديد فى جوهره يدعو دعوة عنيفة ومباشرة وصريحة الى ان يكون الادب للحياة، وهذا ما يؤدى الى ما يسمى « الالتزام الادبى » •• هذا الالتزام الذى يفرض على الاديب ان يرتبط بقضية عامة كبيرة والا يقتصر فى تعبيره الادبى على قضاياه الذاتية •• وهذا ما دفع المعداوى الى اجراء تعديل فى نظريته او نظراته ،وقد ظل حتى اخر ايام حياته ينادى بالالتزام، لكن هذه المناداة بالالتزام والتى جاءت عن طريق نظرته للنقد ودور الادب •• هذه المناداة زحزحته عن مكانتــــه النقدية البارزة وافسحت المجال لنقاد اخرين •• وقد اصطدم المعداوى مع ابرز نقاد هذه المرحلة من ١٩٥٨/٥٢ وهو محمود امين العالم فقد كتب المعداوى ينقد رواية الارض لعبدالرحمن الشرقاوى ورد عليه العالم يطالبه بالدليل فكتب المعداوى بحثا ، تقديا ، يثبت فيه ان رواية الارض من الروايات التى يعتبرها كتاب اليسار من الواقعية الجديدة • وفى هذه المرحلة وقع الصدام بين المعداوى وبين اليسار،

لانه كان يرفض التضحية بالجمال الفنى من اجل الفكرة السياسية، ووقع فى نفس الوقت فى ازمة اشد واقسى مع اليمين الادبى لان ادب اليمين فى مصر كان، ومــــا زال ادبا سطحيا ، تافها ، يهدف الى الاثارة والرواج التجارى قبل كل شىء ،وهو ادب لا قيمة له لا من ناحية الفكر ولا من ناحيــــه الجمال الفنى •• .

العذاب والالم

هذا هو الجانب العام من حياة المعداوى •• فهو شخصية متكاملة، خصبة، متألقة تقتحم الآفاق، وتترك بصماتها على الاشياء والاماكن والصور والكائنات، وكان لابد لهذه الشخصية ان تجد زادها من الامال والفتى العاطفى والاكتفاء والاشباع فى جانبها الخاص •• لكنها •• ـ هذه الشخصية ـ عندما عكفت على نفسها وتاملت ذاتها لم تجد فى الداخل الا العذاب والالم والموت •• وهذا هو التناقض المروع الذى اوقع هذه الشخصية فى خضم الاسى والمحنة •

وتنقلنا صفحات الكتاب [illegible] الى هذا الجانب الخاص، وتوقف [illegible] ابواب هذا الجانب فلا نظر الا بمطارق القلق تشن من الطرق المتواصل الرتيب على المستحيل [illegible] الغزير [illegible] والقرحات •• ثم يتاخره الرحمن التى [illegible] توفيق الحكيم

يبدأ بحضوة فى الكل وينتهى الى « سقط النم الخبيث » •• ثم واخيرا يقف وجها لوجه امام الحب الذى لا امل فيه ولا طائل من ورائه •• وهو حبه للشاعرة الكبيرة فدوى طوقان ••

رفض الحياة

لقد انتهى المعداوى فى سنواته الاخيرة الى رفض الحياة، وهو موقف يتمشى تماما مع [illegible] التى كان يعانيها •• والهروب الوحيد له من التناقض الحاد بين حياته العامة وحياته الخاصة ••

هنا كان التناقض قد وصل الى حد الصدام المطلق بين حياته الخارجية وبين حياته الداخلية• ويرسم رجاء النقاش صورة اسيانه ولكنها واضحة الدلالة على اسباب المحنة التى كان يعانيها المعداوى •• وانها لصورة مضمخة بظلال كثيفة من الالم الحاد ،وانه لسبب كاف وحده لان يدمر انضج الفرسان واعتى الرجال ••

اسباب المحنة

يقول رجاء النقاش فى البداية على استحياء لكنه ما يلبث ان يجهر بها فالحقيقة لا يمكن ان تطوى طويلا • « لقد كان المعداوى ـ فى رايى ـ يعانى مرضه من الامراض التى منعته من الزواج، وقد حاول ان يخفى هذا المرض من الجميع وظل يعانى منه وحده حتى مات ».

هنا مربط الفرس كما يقولون •• هنا الداء وام الداء • وقد ظل هذا الرأى يطارد المؤلف وحينما كانت تسمح الظروف •• كان يسال •• وكان الاخر يجيب •• « كنت اسال المعداوى عن سر عدم زواجه فكان يجيب بانه لا يامن الظروف الاجتماعية، ولا يحب ان يحنى راسه، ولا يريد ان يعرض اولاده لاى مشكلة من مشاكل الحياة فى مجتمــــع مثل مجتمعنا لا يرحم » •

حياة الكاتب الخاصة بين الكتمان والمصارحة

كانت هذه الفكرة غريبة على المؤلف وهو صديقه وزميله خاصة وان المداوى - فى اوائل الخمسينات - كان فى مقتبل حياته وكامل قوته، وكان نجمه الادبى متالقا وكانت الحياة تفتح انذاك ذراعيها بقوة وحرارة .

ولذلك فلم يكن هناك مبرر لهذا التشاؤم المبكر ولم يكن هناك تفسير مسليم له **

ثم لاحظ رجاء النقاش ان كل علاقات المداوى العاطفية التى كتب عنها « او حدثنى بها دون ان يكتب حولها شيئا ** هذه العلاقات العاطفية كلها كانت تنتهى بالفشل على الدوام، وقد كتب عن علاقة عاطفية له فى مقال وجدانى نشره سنة ١٩٤٨ فى مجلة الرسالة بعنوان (من الاعماق) وانهى المقال بان حبيبته قد ماتت فجاة فى ليلة عيد ** وقد حدثنى المداوى عن ان هذه العلاقة لم تنته بالموت وانما انتهت بالافتراق لسبب من الاسباب، وهذا هو ما كتبه لفدوى طوقان فى احدى رسائله المنشورة فى هذا الكتاب» •

ويسرد المؤلف حكاية اخرى فى مجال تاييد رايه وهو « المرض المانع للزواج » يقول :

« ومرة اخرى قال لى انه سال فتاة كانت تحبه اشد الحب : هل بالامكان ان نتزوج ان تكون بيننا علاقة جسدية ؟ فاجابته الفتاة بان كل ما يهمها منه هو الحب** هو قلبه وعاطفته ** ولكن الفتاة ذهبت فى اليوم التالى ولم تعد اليه ابدا » •

هذا الحب

وعن قصة هذا الحب الذى نمى بين المداوى وفدوى يقدم رجاء النقاش فى كتابه نصوص سبع عشرة رسالة كتبها المداوى الى فدوى طوقان ** وفى هذه الرسائل السبع عشرة تجرى فصول الماساة وتاريخ اول رسالة هو نوفمبر سنة ١٩٥١ واخر رسالة وهى التى تمثل نهاية التراجيديا تاريخها هو ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٤ •

وبين هذين التاريخين نوفمبر ١٩٥١ وسبتمبر ١٩٥٤ تدور الاحداث والوثائق ** وتتفجر المشاكل وتتكشف الاسرار ** ليس سرهما فقط ** بل ايضا سر عدد كبير من الذين عرفوا فدوى طوقان والذين عـــرفوا انور المداوى ** فنعرف مثلا « ان فدوى طوقان وقعت فى حب احد الشعراء المصريين الذين كانوا يحاربون على ارض فلسطين سنة ١٩٤٨ ** ثم كان غرامها بالشاعر ابراهيم نجا ** الذى كتب لها وكتبت اليه ** وتبادلا عددا من الرسائل ** ثم كان الحب المثمر بانور المداوى ** وقد تولى انور المداوى كتابة الصفحة الاخيرة فى كتاب علاقتهـــا بالشاعر ابراهيم نجا حيث طلبت فدوى طوقان ان يسترد رسائلها منه **

كما تكشف لنا صفحات الكتاب عن علاقة انور المداوى بالشاعرة المصرية ناهد عبد البر التى ماتت فى شبابها ** وحقيقـة هذه العلاقة ** ثم يكشف ايضا عن قصة الحب العميق بين المداوى [illegible] قصة « من الاعماق » **

تنتقل نقلة سريعة فى نصوص الرسائل بين فدوى والمداوى

فى هذه الرسائل يقترب منها انور خطوة خطوة ، ** ففى الرسالة الاولى ** ولك باحتفاء من تقدير اليوم بعد تقدير الامس مع خالص التحية من الشاكر الذاكر **»

وفى الرسالة الثانية ** انا وحدى الذى الهم هذا الشعر ،شعر الذين يعتزون بصداقة الليل حين يعز فى الدنيا وجود الصديق ** ولك يافدوى العزيزة اخلص تحيات المخلص » •

وفى الرسالة الثانية ** « انـــا وحدى واكثر فيحدثها عن ديوانها الاول الذى اخذ على نفســه وعدا بنشره ** ، هل تصدقين انى قضيت الليل كله حتى الصباح وحيدا مع شعرك ؟ ** ان شعرك ارق منى الشعور قبل الجفون ** شعرك هذا الذى طالعت من ورائه قصة العمر التى كتبها بمداد الشجن قلم الحياة » •

وفى الرسالة الخامسة تبدا سحب الاحزان فى التجمع من خلال اشارة منه الى انسانة عزيزة يتضح - فيما بعد - ان هذه الانسانة

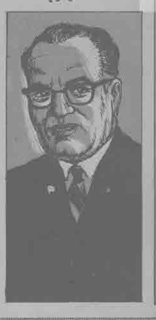
هى الشاعرة المصرية ناهد عبد البر تلك التى ظهرت فى الحياة الادبية فى مصر سنة ١٩٤٨ وكانت تنشر شعرها فى بعض الصحف اليومية المصرية، ثم بدات تنشر فى مجلة الرسالة، وكانت اول قصيدة نشرتها فى مجلة الرسالة فى ١٤ مارس سنة ١٩٤٩ ** وكانت توقع بالحروف الاولى من اسمها « ن • ع • وتوفيت سنة ١٩٥٠ **

بهذه الرسالة من الشاعرة ناهد عبد البر بدا حديث الموت والالم يدخـــل بين سطور الرسـالة ** ويضمخ الصفحات حزن لا مبرر له **

وقد التقط رجاء النقاش اسم الشاعرة وظل يبحث عنها ** الى ان عثر على الخيوط التى نسجت منها حياتها وشعرها وجذب هذه الخيوط ** فخرجت قصة شاعرة مصرية كان من الممكن لو عاشت ان تحتل دويا فى الحياة الادبية **

وقد اورد المؤلف نماذج من شعرها تعبر به عن جو القيود والتقـاليد التى تعيش فيها **

الشــرقاوي



علاقات حبه كلها تنتهي بالفشل

انقطاع وعودة

ولا يمكن تتبع الرسائل وما تحمله من اسرار واحدة بعد الاخرى ٠٠ وانما من الضروري ان نتوقف قليلا عند الرسائل الاخيرة التي اعقبت القطيعة التي استمرت عاما بين المداوي وفدوى ٠٠ ولنبدأ بالرسالة المؤرخة في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٥٣ والتي ينهي سطورها الاخيرة :

« لقد قلت لك بالامس وداعا واقول لك اليوم الى اللقاء » ٠

ويعلق رجاء النقاش في هذه الرسالة بسؤال هو متى قال المداوي لفدوى وداعا ٠٠؟ من المؤكد ان المداوي لم يلتق بفدوى ٠٠ ولذا لابد ان يكون قد قال لها كلمة الوداع في رسالة ليست بين ايدينا ولابد ان تكون هذه الرسالة قد تسببت في انقطاع الصلة بين المداوي وفدوى، ويشير المداوي في هذه الرسالة الى القصيدة (دوامة الغبار) التي كتبتها فدوى على اثر الازمة التي تعرضت لها علاقتها بالمداوي والتي لا نعرف لها سببا واضحا ٠

صراع مع الموت

واذا كانت قصيدة فدوى مضمخة بالحزن وترف حولها اشباح الموت ٠٠ فان الرسائل التالية لهذه القصيدة يتردد فيها صوت الموت كلحن جنائزي تتصاعد دقاته وتعلو ٠٠

« ماذا اقول لك يا فدواي، ترى هل يرضيك هذا النداء ،ويطمئنك على مكانك من قلبي ؟ انك تسالينني ان اصور لك صراعي مع الموت ٠٠ الا توافقينني على اننا يجب ان نرجيء هذا الحديث مادمنا نتحدث عن الحياة ؟

ويستوقف المؤلف في هذه الرسالة حديث المداوي الذي بلغ اقصى درجات الصراحة عن حبه لفدوى، الى الحد الذي يقول لها في رسالته « ياشريكة حياتي » ولكننا لا نلمح في هذه الرسالة اي محاولة من جانب المداوي الى تحويل عبارة « شريكة حياتي » الى حقيقة واقعية ٠ فكل الذي يطلبه من فدوى ان تكتب اليه ولا شيء غير ذلك ٠٠ ويقول رجاء النقاش انه لم يحاول طرح امكانية الزواج منها او ضرورة القيام بمحاولة في هذا المجال بل تقد اسعده كل السعادة تعريف فدوى للحب « الحب هو الحب ذاته » ٠٠

لو كنا معا

وتتوالى الرسائل ٠٠ وفي الرسالة الاخيرة يتطور مفهوم الحب عنده ٠٠ ولكنه تطور على الورق ٠

« انا واثق من اننا لو كنا معا في مكان واحد لحلت المشاكل، لان نظرة من العين او همسة من الشفة او ضغطة من اليد كانت تغني عن فراق اعوام، لانها الرصيد [illegible] الذي تحيا [illegible] النفس [illegible] القلب المجهول ٠٠ »

ويتقرر [illegible] ارض الاحلام ولكنه هبوط في الخيال فقط ٠

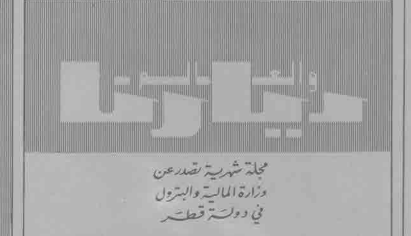
« صدقيني اذا قلت لك انني افكر كثيرا في ان اترك عملي هنا اذا ما قدر لي ان اجد عملا مناسبا في اي بلد يقربني منك، واكون اسعد انسان اذا كان هذا البلد مثلا هو نابلس » ٠

فهل كان صادقا في هذا الامل الذي سكبه على الورق لها ؟ ٠

اكان فعلا يتشوق الى الذهاب اليها ٠٠٠ والاقتراب منها، والالتصاق بها في نابلس ؟

اكانت الاشواق قد بدأت تسعى له بحيث تحول التناقض بين عالمه الخارجي والداخلي الى عالم واحد ودنيا واحدة ٠٠ ام ان الامر كان خلاف ذلك ٠٠ وان حياته وعالمه ٠٠ ودنياه قد اختلطت وامتزجت والتحمت في ماساة واحدة ٠٠؟

صفحات الكتاب سوف تجيب ٠٠ وتقول ٠٠ وتقول ٠٠ وانه لحديث طويل ٠٠ مثير واليم ٠٠ واهم ما فيه انه اضافة جديدة وهامة ٠



تحقيب علي مقال الشاعر عبد الرحمن الأبنودي :

حامل الرباب شاعر المستقبل وابن عروس

تحقيق الاصل التونسي لشخصية ابن عروس ليس مفاجأة

فقد طالعت في عدد نوفمبر سنة ١٩٧٦ من مجلة الدوحة القطرية ، مقالا للاستاذ (عبد الرحمن الابنودي) بعنوان (حامل الرباب، شاعر المستقبل وابن عروس) ذكر فيه انه اكتشف في العام الماضي ان الشاعر الشعبي (ابن عروس) المعروف في مصر ، كان تونسيا ، وانه عثر في كتاب قديم كتب عنه وطبع منذ تسعين عاما (انه استحدث منه الشكل الفني الذي نطلق عليه اسم (المربعات) ٠

ولما كان ما ورد في هذا المقال من انه (اكتشف) حقيقة (ابن عروس) في العام الماضي هو تكرار لما ذكره في حديث له مع الاستاذ (جلال جويلي) نشر بعدد ٦ مايو سنة ١٩٧٥ من جريدة (الاهرام) الغراء ، تضمن المعلومات الاتية :ـ

١) ان (الابنودي) اشترك مع وكيل وزارة الثقافة التونسي في دراسة استمرت ستة اشهر اسفرت عن مفاجأة هامة ، وهي ان (احمد بن عروس) كان تونسي الاصل ٠

٢) ان (ابن عروس) هذا استقر في صعيد مصر بعض الوقت في طريق عودته الى بلاده من الحج، حيث انتشرت عنه بعض حكمه واشعاره ٠

٣) انه كان يعيش في صباه ـ كما ردد الرواة التونسيون ـ في ظل القطب التونسي (سيدي محرز) ٠



٤) ان (الابنودي) استقى هذه المعلومات من مخطوط نادر [illegible] (المعوارى) [illegible] سنة [illegible] المربعات [illegible] مولد (ابن عروس) ٠

فقد بادرت ـ في ذلك الوقت ـ الى موافاة جريدة الاهرام بتعليقي على هذا الحديث ضمنته التصويبات والايضاحات الاتيـــة ، التي يؤسفني انها لم تحظ بالنشر، وان كنت لا استبعد اطلاع (الابنودي) عليها ٠

عبد الرحمن الابنودي



اولا : ان تحقيق الاصل التونسي لشخصية (ابن عروس) لا يقدم مفاجأة للقارىء العربي، فقد سبق لي ان كشفت هذه الحقيقة في دراسة مستفيضة نشرت بالعدد الخامس عشر ، ديسمبر سنة ١٩٧٠ ، من مجلة (الفنون الشعبية) المصرية بعنوان (ابن عروس والطريقة العروسية) ٠

ثانيا : انه لم يثبت في اي مصدر من المصادر التي تعرضت لسيرة (ابن عروس) انه ادى فريضة الحج، او زار مصر بل كانت رحلته الوحيدة الى المغرب حيث زار بعض المدن الجزائرية والمغربية ٠

اما الذين وفدوا الى مصر ونشروا حكمه واشعاره فهم تلامذته ومريدوه امثال (محمد بن عبد الله الرشيد) المعروف (بابي تلبيس القيرواني) و (كريم الدين البرموني المصراتي) وغيرهما ٠

ثالثا : ان القطب التونسي (سيدي محرز) واسمه كاملا (محرز بن خلف) المدفون في بلدة (المالستير) كان قد توفي في اوائل القرن الرابع الهجري، بينما الثابت ان (ابن عروس) توفي في القرن التاسع ٠

والمعروف انه اقام ـ عندما رحل من قريته الى تونس ـ في زاوية الشيخ (ابي عبدالله محمد المغبوب) ثم انتقل الى غيرها، كما اقام فترة من حياته في مقام الشيخ (ابي مدين شعيب) بعباد تلمسان بالجزائر ٠

مدينة سبتة مغربية وليست تونسية
كتاب ابتسام الغروسى ليس مخطوطا نادرا بل كتاب مطبوع

رابعا : ان كتاب (ابتسام الغروس) وصحة اسمه كاملا (ابتســام الغروس ، ووشي الطروس في مناقب قطب الاقطاب سيدي احمد بن عروس) ليس مخطوطا نادرا بل هو كتاب طبع في تونس سنة ١٣٠٣ هـ (١٨٨٦) م ومنه نسخة مودعــة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة *

وليس هذا الكتاب الوحيد الذي يحدثنا عن (ابن عروس) كشيخ تونسي، فهنالك ايضا الكتب الاتية :

١ ـ (الوصية الكبرى) لعبد السلام ابن سليم الاسمر *

٢ ـ (روضة الازهار ،وبغية السادات الابرار في جمع مناقب صــاحب القار) لعبد الكريم البرموني المصراتي، الذي تقفه واختصره محمد بن محمد بن عمر مخلوف الشريف في كتاب جديد ســماه (مواهب الرحيم، في مناقب مولانا الشـيخ سيدي عبد السلام بن سليم) *

٣ ـ (الضوء اللامع لاهل القرن التاسع) لشمس الدين السخاوي *

٤ ـ (شذرات الذهب، في اخبار من ذهب) لابى الفلاح عبد الحي بن عماد الحنبلي *

٥ ـ (الخلاصة النقية في امراء افريقية) لمحمد الباجي المسعودي

٦ ـ (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية) لعبد الرؤوف المناوي *

وهذه الكتب جميعا مطبوعة، ماعدا الاخير فهو مخطوط *

خامسا : انه وان تعذرت معرفه السنة التي ولد فيها (ابن عروس) على وجه التحديد فانه يمكن ـ على الاقل ـ معرفتها بوجه التقريب، فقد ذكر (ابن عماد الحنبلي) انه توفي سنة ٨٧١ هـ وذكر (البرموني) انه توفي ـ بالتحديد ـ في الثاني من شهر صفر سنة ٨٦٨ هو عن ١١٥ سنة اي ان مولده ـ على ضوء [illegible] ـ كان نحو ٧٥٧ [illegible]

[illegible] ان [illegible] (الاسيوطي) [illegible] في مقاله بالدوحة بعض ما نشر بجريدة الاهرام [illegible] الجانبة [illegible] مرة اخرى، فيما ذكره من ان (ابن عروس) هو الذي استحدث الشــكل العتري المسمى (بالمربعات) وان مدينة (سبتة) التي زارها كانت تونسية *

فضلا عن ان (سبتة) مدينه مغربية مشهورة ،وهي موطن القطب الصوفي (سيدي عبد الرحيم القناوي) الذي رحل الى مصر، ومات فيها، ودفن في مسجده الشهير بمدينة (قنا) *

فان احدا من الذين كتبوا عن (ابن عروس) من عارفيه ومريديه لم ينسب اليه ابتكار اسلوب النظم الرباعي في صياغة الحكم الصوفية، التي كان يســميها رواة سيرته (المقطعات) ويسميها غيرهم من المحدثين (المربعات) *

فالمعروف ان هذا الاسلوب، يعد من اقدم اثار المتصوفة الاوائل لملاءمته للاغراض التي تعرضوا لها ،ولسهولة نظمه وحفظه وصلاحيته للانشاد الصوفي *

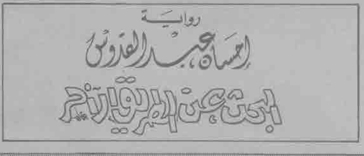
ويفهم من سيرة العارف بالله (ابي سعيد فضل الله بن ابي الخير) الذي ولد في سنة ٣٥٨ وتوفي سنة ٤٤٠ هـ ،ان نظم الرباعيات الصوفية وانشادها كان معروفا في طفولته، وقد روى على لسانه في كتــاب (اسرار التوحيد) لاحد احفاده ـ وهــو (محمد ابن المنور)ـ كثير من الرباعيات التي كان يرددها ، نقلا عن شــيوخه وان لم يثبت من نظمه سوى رباعية واحدة *

كما ثبتت نسبة العديد من الرباعيات الى بعض مشاهير الصوفية، من متوفي القرن السابع الهجري، امثال (جلال الدين الرومي) و (فريد الدين العطار) و (نجم الدين الرازي) وغيرهم *

وقد اورد (نجم الدين) في كتابه (مرصاد العباد) اكثر من مائة رباعية من نظمه تحت عنوان (التمثل) بينما نسبت الى (سحابي الاسترابادي) نحو ستة الاف رباعيه من هذا الطراز *

هذا ما اردت الاشارة اليه وفاء بحق قراء الدوحة في الحصول على اصدق المعلومات وادقها في هذا الموضوع *

العميد/ابراهيم محمد الفحام
عضو الادارة العامة للتنظيم والادارة
بوزارة الداخلية
(ج* م* ع*) القاهرة



لا لي.. ولا علي

كمال عمار



خرجت منك نافضا يدي
لا لي ولا علي
سبحت في تيارك العتي موسما
وحينما رأيت ..
أصابعي يصيبها الفتور
تحت باب البيت ...
[illegible] في ثوبه المهجور
وكأنما رميته ضمن الذي رميت
حين ارتضيت أن أدور
في ضوئك الذي يكاد يشحب فيه الزيت

● ●

عـــــزيزتي غنيت
وزارت الدموع مقلتي وما بكيت
لأنه في عصرنا الذي يحز سائر الأشياء
يفصلها في صمت
يبيعها لقاء جرعـة من ماء
يهون ما عانيت
هذا أنا على مشارف العبور
حيث يذوب الحزن والسرور
وتستوي الأشياء كلها لدى
ولست بعد نادما إذا أنا طويت
أسطورة الفراق واللقـاء
لأنني يا زينـة النساء
أخذت قدر ما أعطيت